
الدكتور
محمد علي البار
الخمر
بين الطب والفقه
دار الشروق
جدة
https://archive.org/details/@user082170



الدكتور
محمد علي البار

الخمر بين الطب والفقه

دار الشروق
للنشر والتوزيع والطباعة بجدة
هاتف ٢٦١١٠ ـ ص.ب ٤١٤٦



جدة ـ ص.ب ٤١٤٦



بسم الله الرحمن الرحيم

« يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » .
المائدة ٩٠ ، ٩١ صدق الله العظيم .

. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله أنزل الداء والدواء ، وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام . أبو داود

وقال إبن مسعود (رضي) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال:

« ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » أخرجه البخاري

وسأل طارق الجعفي النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه فقال :

إنما أصفها للدواء فقال صلى الله عليه وسلم : « انه ليس بدواء ولكنه داء » أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي .

وعن أبي هريرة (رضي) « نهى رسول الله عن الدواء الخبيث » .
أبو داود

وعن طارق بن سويد الحضرمي قال : قلت يا رسول الله ان بأرضنا أعنابا نعتصرها فنشرب منها ؟ قال لا فراجعته قلت : انا نستشفى للمريض . قال ان ذلك ليس بشفاء ولكنه داء » . أخرجه مسلم

تمهيـــد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فقد تواترت الأحاديث الصحيحة بأن الخمر داء ولما كان الصادق المصدوق لا ينطق عن الهوى وإنما هو وحي يوحى علمه شديد القوى ، بحثت فيما لدي من كتب الطب وجمعت معلوماتي عن الخمر وتجاربي مـع مرضاي ممن ارتكس في حمأتها فوضعت هـــذا الكتاب سائلاً من الله التوفيق والاعانة .. والايضاح والابانة ..

ووجدت كما سيجد القارىء عجبا .. أمراض وادواء لا حصر لهـا تسببها الخمر وابتدأت بفصل الخمر في اللغة والفقه ثم كيمياء الخمر وتركيبها و كيف تصنع؟ ثم أردفت ذلك بفصل عن آثارها في الجسم وذلك ما يسمى بعلم الاقربازين أو الفارماكولوجي أي علم العقاقير وتأثيرها في جسم الإنسان ثم أفضت فيها فصلاً فصلاً وابتدأت بالجهاز العصبي الذي يعلو إلى أثمن ما وهبه الله للانسان الا وهو المخ وهو محط العقل والفكر والروية . وبه مناط المسؤولية وهو الذي يسأل عما قدم وأخر . وابنت فيه كيف تفعل بـه الخمر . وكيف تغطي على العقل ومنه الخمار والخمر كما سنورده في المقدمة من معاني الخمر اللغوية .

واستطردت بعـد ذلك إلى الجهاز الهضمي وابتدأت فيه من الفم فالبلعوم

فالمريء فالمعدة فالامعاء الدقاق ابتداء من الاثني عشر حتى الصائم ومنـــه إلى الامعاء الغلاظ فالبنكرياس ووقفنا وقفة طويلة عند الكبد لأنها محط هجوم الخمر من أول وهلة وتفعل بها الخمور الأفاعيل فافضنا في ذلك بما يستحق .

ثم انتقلت إلى الجهـاز الدوري والقلب فالجهاز الدموي فبقية الأجهزة .. ثم تحدثت عن الأدمان ومشاكله الحاضرة .. وكيف أصبحت أوربا وأمريكا فريسة لهذا الادمان لا تدري كيف تخلص من براثن هذا الوحش المرعب . وقارنا مقارنة موجزة بين المجتمع العربي الجاهلي وهو مجتمع ادمان كيف بآية واحدة من السماء فيقرأها منادي رسول الله في طرقات المدينة . فتبطل الخمر وتسيل الدنان وتملأ أزقة المدينة بالخمر كالجداول .. ويبلغ الخبر الملأ وهم يشربون فيكسرون أقداحهم بل وتقف القدح في يدأحدهم قبل أن تصل شفتيه وترتعش يده ويقول انتهينا ربنا انتهينا ربنا .. ويريقها في الطريق . عند سماعه الآيةإلى قوله « فهل انتم منتهون ؟ » .

كل هذا بآية واحدة وأوربا وأمريكا تحاول بكل اجهزتها المعقدة وبكل حكمائها وعلمائها وأطبائها أن يمنعوا الادمان فلم يجدوا إزاء تلك الجهود الضخمة الجبارة إلا المزيد من الادمان . فقد بلغ المدمنون في الولايات المتحدة عشرة ملايين مدمن خمر وفي بريطانيا مليون وفي فرنسا أربعة ملايين .. هؤلاء مدمنون أي لا يستطيعون العيش ولا الحياة بدون الخمر .. وقد وصلت حالتهم الاجتماعية والصحية والنفسية إلى أسفل سافلين .. .. ولا علاج حتى الآن .

والفارق بين الطريقتين واضح لا لبس فيه ولا غموض . آية التحريم تنهي مشكلة من أعقد المشاكل لأمة جاهلة أمية تكاد تعبد الخمر .. والآلاف من الكتب الطبية والنشرات العلمية عن اضرار الخمر لا تحل ولو جزءاً من هــذا الاشكال .

والسبب بسيط .. ويكمن في كلمة واحدة تفعل أكثر ممـــا يفعل السحر .

تلك هي كلمة « الايمان » تلك الكلمة التي جعلت سحرة فرعون يسجدون لله عندما رأوا الآيات البينات ويقولون لفرعون الطاغية الجبار « لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا » طه . تلك الكلمة العجيبة الفذة التي تتصل بنور الله فتنداح أمامها الظلمات والغياهب كما تنداح الظلمات أمام أشعة الشمس .

والفرق يكمن بين منهجين : منهج رباني يربي الأفراد والمجتمع على الاتصال بالله والانصياع الفوري لأوامره وزواجره .. ومجتمع شيطاني مبني على الهوى « أفرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا ؟ » كيف تكون حالته وكيف يكون مصيره .

والانسان مخلوق غريب .. فقد جهد العلماء في أمريكا أن يصيبوا الحيوانات بادمان الخمر ففشلوا ولم يتمكنوا من إصابة حيوان واحد بالادمان .

وثبت أن الانسان هو الوحيد بين المخلوقات الذي يقبل على فعل أشياء وهو يعلم علم اليقين أنها تضره

فالانسان هو الوحيد بين المخلوقات الذي يقبل على شرب الخمر وهو يعلم يقيناً أنها تضره كما أنه الوحيد الذي يقبل على التدخين وهو يعرف آفاته واضراره .

وهو ارتكاس لا يصل إليه إلا من عميت بصيرته وضل طريقه شارداً عن طريق الله .

نعم ان الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .

ولقد خلق الله الانسان في أحسن تقويم ثم ارتكس إلى أسفل سافلين :

« لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون » .

فأنا لا أزعم إذاً في كتابي هذا انه سيمنع مدمن خمر من تناولها .. فما تغني الآيات والنذر من عميت بصيرته وعبد هواه ، ولكني أضعه لعل الله يفتح به آذاناً صماً وقلوباً غلفاً .. وقد أمرنا الله بالتذكير والتبيان كما أمر رسوله بأن يذكر بالقرآن من يخاف وعيدا .

ومن عرف عمق المشكلة وخطورتها في عالم اليوم كافرهم ومسلمهم .. عرف أن لا حل لهـــا إلا بالعودة إلى طريق الله . إلى ذلك الطريق الرحب الوارف الظلال الملتف الأغصان .. وإلا فهي متاهات وفيافي وقفار ومفازات قل أن ينجو منها أحد .. وإلا فهي حياة القلق والقرف والضيق والمخدرات والخمر والأفيون والحشيش .. حياة ضنكا وصـــدق الله العظيم حيث يقول: «ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا» وليس هناك حياة أشد ضنكاً وتعاسة من حياة الناس في أوروبا وأمريكا اليوم . وقد أحس بتفاهة هـــذه الحياة هناك أدباؤهم وفلاسفتهم وامتلأت كتبهم وأشعارهم بعبارات القرف والتفاهة وان يتقيأ المرء منهم نفسه . ثم ينتهي به الأمر إلى الانتحار كما فعل البير كامي الأديب الفيلسوف الوجودي الفرنسي وكما فعل الأديب العالمي الشهير أرنست همنجواي وكما فعلت مارلين منرو الممثلة المشهورة ولن احصي وإنمـــا هي أمثلة على ما تعانيه أوربا وأمريكا وحضارتها .

فمحاولتي إذن هي إثبات أن ليس هناك من سبيل وطريق إلا طريقاً واحداً وسبيلاً واحداً هو طريق الله .. للخلاص من مشاكل التفاهة والتمزق والضياع ومن مشاكل الخمر والأفيون والحشيش .

« وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بـــكم عن سبيله » .

والكتاب كله مصداق لحديث الرسول صلوات الله عليه عن الخمر أنها داء وليست دواء وقد قالها رسول الله في عهد كانت الخمر تعتـــبر فيه دواء .. بل

لقد ظل الناس يعتقدون ذلك إلى الماضي القريب بل أننا كنا نلقن في كليـــة الطب عن منافع الخمر للدورة التاجية بالقلب ثم جاءت الاكتشافات الحديثة فأبطلت هذا الزيف وبددت هذا الوهم وظهر أن الخمر تسبب الجلطة وان كان بطريق غير مباشر .

و كذلك أزاح الطب الحديث الوهم بأن الخمر تدفيء الجسم وابان أن ذلك هو الدفء الكاذب فمن يتعرض للبرد بعد شرب الخمر يحس بالدفء بينما هو يفقـــد حرارة جسمه ويتعرض لحتفه وهلاكه بيده .

وقد يجد القارىء صعوبة في فهم بعض التفاصيل الطبية المذكورة فليعذرنا القارىء فقد اضطررنا إلى الاتيان بآخر الابحاث العلمية الطبية حتى نقنع زملاءنا الأطباء والمثقفين الذين لم يطلعوا على هذه الابحاث . وهي ابحاث تخصصية لا يطلع عليها في العادة إلا من هو مهتم بهذا المجال وعلى قدر من التخصص فيه .

ويؤسفني أن تكون اللغة صعبة في بعض الفصول وذلك لصعوبة الترجمـــة من اللغة الانجليزية إذ ليس لبعض هـــذه العلوم الحديثة والاكتشافات الجديدة ترجمة باللغة العربية فقمت بمحاولة ترجمة بعض الاصطلاحات وتركت بعضها وهي أقلها كما هي بلغتها الانجليزية ويؤسفني أن تكون مراجع الكتاب في الأغلب انجليزية وبها للاسف يكتب اليوم الطب وبها تنشر آخر الابحاث فيه .

وليس ذلك عيباً في اللغة العربية وانما العيب فينا نحن الأطبـــاء العرب لم نجتهد في الترجمة ولا في البحث فصار معظم بحثنا نقلاً وصار حديثنا في الطب والعلوم مستعجماً .. بل وقد يكون أيسر علينا أن نتحدث أو نكتب حينما نريد الكتابة العلمية أو الطبية بلغـــة الاعجام الفرنجة من أن نكتب بلغتنا العربية .. ولست ابرىء نفسي ولكن هذه المحاولة للخروج عن هـذا الطوق والله المستعان .

الخمر بين الطب والفقه

للدكتور محمد علي البار

الخمر بين الطب والفقه

للدكتور محمد علي البار

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ؟ » . المائدة ٩٠ — ٩١ .

تعريف الخمر : لغة هي كل مسكر مخامر العقل مغط عليه . وخمر الشيء ستره وخمر الشهادة كتمها وخمر وجهه : غطاه وأخمر : توارى وخامر الشيء خالطه وخامر القلب داخله وخامره الداء أي دخل جوفه .

وواقع الأمر أن الخمر لا تفعل أكثر من ذلك أي أنهـــا تغطي المناطق المخية العليا وهي الموجودة في القشرة لفصي المخ Cerebral Cortex وهي مراكز الارادة والاخلاق والفكر والروية أي مـــا يجمع باسم العقل . وكلمة عقل في اللغة العربية من « عقل الناقة » أي شدها وربطها و « كأنما نشط من عقال » أي انطلق من رباط ووثاق ، فالعقل هو الرباط وهو الوثاق الذي يمنع الانسان من الانقياد للهوى والرغبات والعقل هو مجموعة الموانع الاخلاقية التي تتكون لدى الانسان . فالطفل الرضيع يبول ويتغوط لا ارادياً أي دونما أي مانع ، فإذا ما جاوز العام من عمره اشتد أهله في تربيته لمنعه من هذه العادة القبيحة .. ويتكون لدى الطفل المانع أثر المانع بالتربية والمران . ومجموع تلك الموانـــع والزواجر والروابط هي العقل .

ووظيفة الخمور هي إزالة هذه الموانع . فقد تجد الرجل الوقور يرتكس إلى

أسفل سافلين فينزوي على أهله وأقاربه . ويهذي بأتفه الكلام وقد يتبول في قارعة الطريق دون حياء أمام الناس .

فما أبدع اللغة العربية فقد سمت ذلك المسكر الخمر وهي تلك التي ترين على العقل وتواريه .. وأسمت مجموعـــة الموانع من فكر وأخلاق وإرادة العقل أي الوثاق والرباط وكشفت بذلك منذ زمن موغل في القـــدم ما أزاح العلم عنه الستار في القرن العشرين . فأكرم بها من لغة زادها شرفاً ان كانت لغـــة القرآن الكريم .

وتعريف الخمر في الفقه : هي كل ما كان مسكراً سواء كان متخـــذاً من الفواكه كالعنب والرطب والتين والزبيب أو من الحبوب كالحنطة (القمح) أو الشعير أو الذرة أو من الحلويات كالعسل وسواء كان مطبوخاً أي عولج بالنار أو نيئاً بدون معالجة بالنار .. وسواء كان معروفاً باسم قديم كالخمر والطلا أو باسم مستحدث كالعرق والكونياك والويسكي والبراندي والبـــيرة والشمبانيا وغيرها . فقد أخرج الامام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه عن أبي مالك الأشعري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ليشربن أناس من أمتي الخمر ويسمونها بغير اسمها » . وأخرج مسلم وأحمد وأصحاب السنن الأربعـــة « الخمر من الشجرتين : النخلة والعنبة » . وحديث النعمان بن بشير : « ان الخمر من العصير والزبيب والتمر والحنطة والشعير والذرة . واني انهاكم عن كل مسكر » . وروى أحمـــد وأبو داود عن ابي عمر (رضي الله عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : « كل مسكر خمر وكل خمر حرام » . وعن علي كرم الله وجهه « ان النبي صلى الله عليه وسلم نهاهم عن الجعة » وهي نبيذ الشعير أي ما يسمى البيرة اليوم . رواه أبو داود والنسائي .

ويدخل في تعريف الخمر الانبذة الموجودة اليوم بأنواعها المختلفة مثل البورت

والشيري والماديرا والكلارت والهوك والشمبانيا والبرجاندي .. لأنها تدخل في تعريف الخمر الذي يحدده الاصطلاح الفقهي بأنها : النيء (أي الذي لم يعالج بالنار) من ماء العنب بعدما غلى واشتد وقذف بالزبد . والغليان الفوران ، والاشتداد قوة التأثير بحيث يصير مسكراً ، والزبد الرغوة .

وهو تعريف دقيق فالنيء الذي لم يعالج بالنار من ماء العنب أو غيره من السكريات يتحول بفعل خميرة (انزايم) Enzyme موجودة في فطر يدعى الخميرة Yeast موجودة بكثرة في الهواء ويتساقط على الثمار – يتحول إلى كحول ايثلي بفعل ذلك الانزايم بعملية التخمر الذاتي أي بدون جهد صناعي . وينتج عن هذه العملية غاز ثاني اكسيد الكربون (الفحم) وهو الذي يسبب الرغوة والزبد .

وإذا عرفنا أن هذه الانبذة تصنع باضافة الفطر إلى العنب أو غيره من الفواكه ويحفظ في درجة حرارة ملائمة حتى تتم عملية التخمر بواسطة الانزيمات (الخمائر) في أسرع وقت .. ثم تبقى بعد ذلك فترة طويلة حتى يكتمل تحول المواد السكرية إلى كحول . وفي بعض الانبذة المقواة مثل البورت والشيري يضاف كمية من الكحول إليها.. حتى تزداد درجة اسكارها .. إذا عرفنا ذلك أيقنا ايقاناً تاماً بأن هذه الانبذة انما هي الخمر بعينها التي حرمها الله ورسوله .

ويدخل في تعريف الخمر المشروبات المخمرة Brewed Beverages مثل الجعة (البيرة) وهي نبيذ الشعير (Beer) والمزر وهو نبيذ الحنطة Ale والسكركة وهو نبيذ الذرة والبتع Meed وهو نبيذ العسل .

وهذه الانبذة تترك أكثر من ثلاثة أيام بلياليها حتى تتحلل المواد النشوية التي في الحبوب ثم تفعل بها الانزيمات (الخمائر) فعلها فتحولها أولاً بواسطة انزيم الدياسيتز Diastase من نشا إلى سكر ثنائي ثم يتحول السكر الثنائي إلى سكر

أحادي مثـــل الجلوكوز أو الفركتوز ثم يستمر تحول السكر الاحادي Monosaccharide إلى كحول أثيلي Ethyl Qlcohol وثاني أوكسيد كربون CO_2 ويترك ذلك حتى تتكون الكمية المطلوبـــة من الكحول من ثلاثة إلى تسعة بالمائة ثم توقف عملية التخمر وتضاف عندئذ بعض الأعشاب مثل عشب الجنجل ويسمى أيضاً حشيشة الدينار وهو نبات عشبي معمر وله طعم قارص ويعطي الشراب اللذعة المطلوبة عند من يبتغيها .

كما يدخل قطعاً في هذا التعريف الخمور المسماة بالخمور المقطرة Dlstilled Spirits مثل الويسكي والبراندي والروم والجين وهو لا شك أشد وأنكى من كل مـا ذكرنا من أنواع الخمور أي الانبذة والمشروبات المخمرة Brewed Beverages فهي تحتوي أولاً على نسبة عالية جداً عن الكحول (٤٠ الى ٦٠ بالمائة) بينما تحتوي الانبذة على نوعيها : في المقواة Fortified Wines إلى نسبة عشرين بالمائة والعادية Ordinary Wines إلى نسبة عشرة بالمائة . أما المشروبات المخمرة Brewed Beverages فلا تحتوي في العادة على أكثر من ستة بالمائة من الكحول .

تعريف الخمر في الكيمياء :

الخمر هي الاشربة التي بها كمية من الكحول . والكحول أو الغول في أصل اللغة العربية هو ما ينشأ عن الخمر من صداع وسكر لأنه يغتال العقل . وقد نفى الله تعالى عن خمر الجنة هذه الصفة فقـــال : « لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون » .

أول من اكتشف الغول (الكحول) هم الكيميائيون العرب وقاموا بتحضيره ثم ترجم الافرنج عنهم هذه الكلمة فنقلوها إلى لغتهم فصارت Aicohel وهـــذا ما تقرره المعاجم اللغوية الانجليزية والفرنسية مثل معجم لاروس الفرنسي .

والغول (الكحول) هو اسم عام يطلق على جملة من المركبات الكيماوية لها خصائص متشابهة ومكونة من ذرات الهيدروجين والكاربون (الفحم) وآخرها مجموعة هيدروكسيلية أي ذرتي أوكسيجين وهايدروجين Hydroxyl Group (OH) وهذه المركبات تدعى (الغولات) — أو (الأغوال) جمع غول ومنها الكحول المثيلي Methyl Qlcohol ولما كان الكحول الاثيلي أكثرها شيوعاً واستعمالاً اصطلح العلماء على تخصيصه باسم الكحول . وهو روح الخمر ويدعى بالانجليزية Spirit أي روح ويقصدون روح الخمر . والاسبيرتو الذي يستخدم للوقود يحتوي في العادة على كمية من الكحول المثيلي السام اذ تضيفه الحكومات عمداً حتى لا يشرب ، ولذا كان شرب السبيرتو مميتاً في أغلب الحالات على الفور بينما شرب الخمور مميت على المدى الطويل .

والكحول الأثيلي Ethyl Alcohol سائل طيار ليس له لون وله طعم لاذع وأقوى الخمور يحتوي في العادة ما بين ٤٠ إلى ٦٠ بالمائة منه. وهي الخمور المقطرة Distilled Spirits مثل الويسكي والجين والبراندي .

ويستعمل الكحول في الصناعة كحافظ لبعض المواد وكمادة منشفة للرطوبة Dehydrating Agent وكمذيب لبعض المواد القلوية والدهنية Solvent وكمقاوم للتجمد Antifreeze كما يستخدم في الطب كمطهر للجلد ومذيب لبعض الأدوية التي لا تذوب إلا في الكحول . ويستخدم بكثرة كمذيب للمواد العطرية (الكولونيا) والروائح .

وتتكون الكحول في الخمر بواسطة (انزيمات) خمائر موجودة في فطر يدعى Yeast تقوم بتحويل المواد السكرية الموجودة في الفواكه مثل العنب والرطب والتين ، والنشوية الموجودة في الشعير والذرة والحنطة إلى كحول أثيلي . وذلك بعمليات بطيئة متتابعة .

(٢)

وقد كانت هذه الطريقة تستعمل منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا للحصول على الخمور وبهذه الطريقة يمكن الحصول على جميع أنواع المشروبات الخمرة Brewed Beverages مثل الجعة (البيرة) من الشعير والمزر (Ale) من الحنطة والسكركة من الذرة والبتع من العسل . كما يمكن بهذه الطريقة الحصول على جميع أنواع الانبذة (بمفهومها اليوم) Wines مثل الشيري والبوردو والبورت والشمبانيا والعرق .. الخ . وذلك باضافة نبات الخميرة Yeast إلى الفواكه مثل العنب والتمر والتين . الخ . وفي العصر الحالي تزرع هذه الخميرة في المختبرات وتضاف إلى الفواكه بكميات ومقادير محسوبة وتوضع في درجة حرارة ملائمة أي أقل من ستين درجة مئوية لأن الحرارة الشديدة تقتل الانزيمات (الخمائر) كما أن البرودة الزائدة توقف عملها . وهكذا تحفظ هذه الفواكه بعد اضافة الخميرة في درجة حرارة ملائمة حتى تسرع عملية التخمر الذاتي Fermentation وهكذا يتحول السكر إلى كحول اثيلي Ethyl Alcohol وثاني أوكسيد كربون وماء .

وفي معظم الأنبذة يترك غاز ثاني أوكسيد الكربون يتطاير في الهواء وهو سبب الزبد أو الرغوة التي تظهر على الخمر عند اشتدادها كما عرفها الفقهاء ثم تسكن وترقد وذلك لتطاير الغاز المذكور . ولكن هذا الغاز يحبس في الشمبانيا ونبيذ المسكات مما يسبب فرقعة عند فتح قارورة من هذا الشراب لتطاير الغاز المضغوط فجأة كما أن هذا الغاز هو السبب في الحبب الذي يعلو الخمر عند صبها والذي يعجب به شعراء الخمريات مثل أبي نواس .

أما في العصور الحديثة فقد استخدمت طريقة جديدة مغايرة لتلك الطرق المعهودة منذ أقدم الأزمنة . وذلك باكتشاف عملية التقطير Distillation وتعتمد فكرة التقطير على أن درجة غليان الكحول تتم قبل غليان الماء فالكحول

يغلي ويتبخر عند درجة ٧٨ مئوية بينما لا يتبخر الماء حتى تصل درجة حرارته ١٠٠ . فاذا تبخر الكحول عند درجة ٧٨ والماء لا يزال سائلاً، يتطاير الكحول بمفرده إلى أعلى الأنبوبة . وهناك يبرد ويتكثف ثانيـة ويتحول إلى سائل مرة أخرى . وبهذه الطريقة أمكن تقطير النبيذ للحصول على البراندي وتقطـير الجعة (البيرة) للحصول على الويسكي ، أما الجين فيصنع بطريقة مغـــايرة : يحضر أولا كحول بـــتركيز خمسين في المائة ثم يضاف إليه توت نبات العرعر Juniper Beeries وبعض الأعشاب الأخرى وتترك فترة كافية حتى تذوب فيها.. أما شراب الروم Rum فيصنع بتقطير الخمر المصنوعة من دبس السكر (المولاس) Molasses وهو المادة اللزجة التي تنفصل عن قصب السكر عند صنع السكر . وقد صنع شراب سراً في بعض البلاد العربية التي تحرم الخمور بهذه الطريقة أي باضافة سكر وفطر خميرة وماء ثم يقطر محلياً حتى تتركز كمية الكحول وقـد أشتهر هذا الشراب باسم صديقي جوس Sidiqi Juice .

أما العرق المصنوع في كثير من البلاد العربية سراً وجهراً فهو يصنع في العادة من العنب أو التمر باضافة الماء وفطر الخميرة Yeast حتى يغلي ويعلوه الزبـد أي حتى تتحول المواد السكرية إلى كحول ايثلي وثاني أوكسيد كربون . وهو بهذه الصنعة يشبه تماماً الأنبذة المذكورة مثل الشمبانيا والبورت والكونياك الخ .

وقد أضاف بعض من يصنعون العرق سراً في بعض البلاد العربية حبوب الداتوره التي بها مادة الاتروبين والهايوسايمين Atropine and Hyoscyamine وذلك للاسراع بغليانه واشتداد مفعوله .. وبذلك تزداد سمية هذا المنقوع السام .

كما انتشر في السنوات الأخيرة استعمال حبوب (الامفيتامين) Amphetamine وتعرف عند العامة بحبوب الكونغو لأنها هربت أول مرة مع بعض من يأتون

من الكونغو . ويستعملها بكثرة السواقون وخاصة في أيام المواسم لأنها تساعد على السهر والعمل المتواصل دون كلل أول الأمر . ولكن عاقبتها وخيمة إذ يشبه ذلك ضرب حصان ودفعه إلى الجري حتى يقع مغشياً عليه .. كما أنها تسبب الادمان وأول من استعملها على نطاق واسع هو هتلر عندما أعطاها لجنوده فكانوا يقومون بأعمال متواصلة لعدة ايام دون كلل . كما اشتهر بها انتوني ايدن رئيس وزراء بريطانيا الأسبق وصاحب حملة السويس المشهورة .. وأدى ذلك إلى اخراجه من كرسي الحكم ومن رياسة حزب المحافظين وانتهى به الأمر إلى مصحة .

وقد ذكرنا عنها هذه النبذة لأنها تضاف إلى العرق المصنوع سراً حتى تزيد مفعوله . لا شك أنها تسبب الهياج الشديد كما تسبب زيادة مؤقتة في النشاط الجنسي ويعقب ذلك رد فعل عنيف فيدخل المرء في سبات عميق بعدها وينتهي الأمر إلى العنة .

كما قد يضيف بعض من يصنعون العرق سراً مادة مذيب البوية وكحول نشارة الخشب وهما من الكحول المثيلي أشد أنواع الكحول سمية .. ويسبب العمى وتسمم عضلة القلب Toxic Myocarditis مما يؤدي إلى الوفاة خلال أيام قلائل .

وهناك العديد من الطرق التي يستخدمها صناع الخمور السرية ليزيدوا من درجة الاسكار وبالتالي درجة السمية Toxicity لهذه الموادالتي يبيعونها سراً فأفٍ لهم وأف لتلك العقول الضالة التي تشتري هذا السم الزعاف بدلاً من شراء القوت الضروري للنفس والأسرة .

* * *

الغول (الكحول) وعلم الادوية والسموم

(أ) التداوي بالخمر .

هل الخمر (الغول) وبالتـــالي الخمور دواء أم هي سم ؟ يقول الدكتور أوبري لوبس رئيس قسم الأمراض النفسية في جامعـــة لندن في أكبر وأشهر مرجع طبي بريطاني « مرجع برايس الطبي » Price Textbook of Medicine

« ان الكحول هو السم الوحيد المرخص بتداوله على نطاق واسع في العالم كله . ويجده تحت يده كل من يريد أن يهرب من مشاكله . ولذا يتناوله بكثرة كل مضطربي الشخصيـــة ويؤدي هو إلى إضطراب الشخصية ومرضهـــا «Psychopathic Anomaly» ان جرعة واحدةمن الكحول تسببالتسمم وتؤدي: اما إلى الهيجان أو الخمود . وقد تؤدي إلى الغيبوبة . أما شاربو الخمر المزمنون Chronic Alcoholics فيتعرضون للتحلل الأخلاقي الكامل مع الجنون » .

وقد كان الأطباء يزعمون في الأزمنة الغابرة وعلى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده وحتى عهد قريب أن للخمر بعض المنافع الطبية ثم تقدمت الاكتشافات العلمية وبطلت تلك المزاعم وتبين أنها أوهام . وان كلام الصادق المصدوق عنها هو الحق الذي لا ريب فيه ولا إلتباس . فقد قال عنها صلى الله عليه وسلم لطارق الجعفي عندما سأله عن الخمر فنهاه فقال طارق : انما اصفها للدواء ، فقال صلى الله عليه وسلم إنه ليس بدواء ولكنه داء . أخرجـه مسلم والترمذي وعن أبي هريرة « نهـى رسول الله عن الدواء الخبيث » أبو داود وأخرج أبو داود أيضاً في سننه : ان الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام . وعن طارق بن سويد الحضرمي قال : قلت يا رسول الله ان بأرضنا أعناباً نعصرها فنشرب منها ؟ قال : لا . فراجعتـــه

قلت : انا نستشفي للمريض . قال : ان ذلك ليس بشفاء ولكنه داء . أخرجه مسلم .

وتوهم بعض المتقدمين أن في الخمر منافع طبية واستدل على ذلك بقوله تعالى: « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس ، واثمهما أكبر من نفعهما» وقد رد كثير من الائمة على هذا الزعم . فيقول الأمير الصنعاني في كتابه سبل السلام : « وفي كتاب النجم الوهاج قال الشيخ : كل ما يقوله الأطباء من المنافع في الخمر وشربها كان عند شهادة القرآن أن فيها منافع للناس قبل . وأما بعد نزول آية المائدة : « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » الآية فان الله تعالى الخالق لكل شيء سلبها المنافع جملة فليس فيها شيء من المنافع . وبهذا تسقط مسألة التداوي بالخمر . والذي قاله منقول عن الربيع والضحاك . وفيه حديث أسنده الثعلبي وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله تعالى لما حرم الخمر سلبها المنافع » ص ٣٦ الجزء الثاني .

والمنافع في الخمر موهومة فهي اما منافع مادية لمن يبيع الخمر ويتجر بها ولكنها طامة كبرى على المجتمع وخسارة مادية أي خسارة . واما منافع طبية وصناعية وأغلبها موهوم، مثل الاعتقاد بأن الخمر تفتح الشهية . وقد استخدمت الخمر كفاتح للشهية منذ أقدم العصور واستخدمها اليونان والرومان والفرس والعرب وتفننوا فيها .. ويستخدمها الاوروبيون اليوم وخاصة الفرنسيون وتدعى Appertif أي فاتح للشهية ، وعادتهم أن لا يشربوا مع الاطعمة إلا النبيذ وكذلك الايطاليون .. والخمر تفتح الشهية أول الأمر فتزيد من افراز حامض المعدة كلور الماء Hydrochloric Acid ولكنها بعد فترة تسبب إلتهاب المعدة وتعقب تلك المنفعة الموهومة مضرات وعواقب وبيلة وخيمة أولها

التهابات المعدة وفقدان الشهية والقيء المتكرر وآخرها سرطان المريء .

ومن تلك المنافع الطبية الموهومة أنها تدفيء الجسم . وقد جاء وفد اليمن ووفد حضرموت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه أن يسمح لهم بشرب الخمر بحجة أن بلادهم باردة . فأبى عليهم ذلك . فقد روى أبو داود أن ديلم الحميري سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إننا بأرض باردة نعالج فيها عملاً شديداً . وإننا نتخذ شراباً من هذا القمح نتقوى به على أعمالنا وبرد بلادنا ؟ قـــال رسول الله هل يسكر ؟ قال : نعم . قال : فاجتنبوه . قال : ان الناس غير تاركيه . قال : فان لم يتركوه فقاتلوهم .

وجاء الطب الحديث بعد هذه الحادثة بألف وأربعمائة عام تقريباً ليقول لنـــا ان ذلك الدفء ليس إلا من قبيل الوهم . فالخمر توسع الأوعية الدموية وخاصة تلك التي تحت الجلد فيشعر المرء بالدفء ويفقد حرارة جسمه في الجو القارس . وقد يؤدي ذلك إلى وفاته وهو ينعم بالدفء الكاذب . كما يحصل في أعياد رأس السنة وأعياد الميلاد في أوربا وأمريكا حيث يسكر كثير من الناس ويبقى بعضهم في الشوارع والحدائق يتعرضون للبرد القارس فيموتون من البرد وهم ينعمون بالاحساس الكاذب بالدفء .

ومن تلك المنافع استخدامها في الصناعة كحافظ لبعض المواد وكمادة منشفة للرطوبة Dehydrating Agent وكمذيب لبعض المواد القلوية والدهنية Anti Freeze Solvent كما يستخدم في الطب كمطهر للجلد وكمذيب لبعض الأدوية التي لا تذوب إلا في الكحول . كما يستخدم الكحول كمذيب للمواد العطرية ويستخدم بكثرة في صنع الروائح والعطور (الكولونيا والبارفان) .

وقد بطل استخـــدام الخمر كترياق ودواء في الطب الحديث ولكن بقي

استعمال الكحول كمذيب لبعض الأدوية والعقاقير . والعجيب حقاً أن علماء الإسلام قد بحثوا هـــذه المسألة بحثاً دقيقاً وأتوا فيها بالعجب العجاب . يقول مغني المحتاج :

« ان التداوي بالخمر حرام إذا كانت صرفاً غير ممزوجة بشيء آخر تستهلك فيه . أما الترياق المعجون بها ونحوه مما تستهلك فيه فيجوز التداوي به عنــد فقد ما يقوم بــه التداوي من الطاهرات . فعندئذ يتبع حكم التداوي بنجس كلحم حية وبول . وكذا يجوز التداوي بذلك لتعجيل الشفــاء بشرط اخبار طبيب مسلم عدل بذلك ، أو معرفته للتداوي به وبشرط أن يكون القدر المستعمل قليلاً لا يسكر » .

ولا شك في حرمة الخمر الصرفة كدواء فهي داء وليست دواء . ولكن استعمالها في الـــترياق ، وهي الآن تستعمل في كثير من الأدوية كمذيب لبعض المواد القلوية أو الدهنية التي لا تذوب في الماء ، هذا الاستعمال هو المذكور في مغنى المحتاج وهو جائز بشروط :

١ ـ أن لا يكون هناك دواء آخر خال من الكحول ينفع لتلك الحالة .

٢ ـ أن يدل على ذلك طبيب مسلم عدل .

٣ ـ أن يكون القدر المستعمل قليلاً لا يسكر .

وإذا نظرنا إلى الأدوية الموجودة التي بها شيء من الكحول نجدها على ضربين: الأول مواد قلوية أو دهنية تستعمل كأدوية ولا بد لاذابتها من الكحول .

أما الثاني : فمواد يضاف إليها شيء يسير من الكحول لا لضرورة وانمـــا لاعطاء الشراب نكهة خاصة ومذاقاً خاصاً تعود عليه أهل أوربا وأمريكا أي من حيث يأتينا الدواء جاهزاً مصنعاً .

وهذا النوع الثاني لا شك في حرمته . ولا بد للطبيب المسلم أن يتروى في وصف الأدوية التي بها شيء من الكحول وليتجنبها ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

ولم يسمح أحد من فقهاء الإسلام باستخدام الخمر كدواء إلا عند الضرورة القصوى مثـل أن يغص امرؤ ما بلقمة ولا يجد أمـامه إلا الخمر فعندئذ يجوز شربها لإزالة الغصة . ويقول سيد سابق في فقه السنة : « ومثلّ الفقهاء لذلك بمن غص بلقمة فكاد يختنق ولم يجد ما يسيغها به سوى الخمر» . ولكنه أي سيد سابق يقع في خطأ فاحش عندما يقول : أو من اشرف على الهلاك من البرد ولم يجد ما يدفع به هذا الهلاك غير كوب أو جرعة خمر . وقد أوضحنا زيف ذلك الوهم الذي يقول ان الخمر تدفىء الجسم وكذلك يقع في الخطأ الفاحش حين يقول: « أو من اصابته ازمة قلبية وكاد يموت فعلم أو أخبره الطبيب بأنه لا يجد مـا يدفع به الخطر سوى شرب مقدار معين من الخمر » . فهذا أيضاً خطأ فاحش.. ووهم قاتل ، فان الخمر لا توسع الشرايين التاجية المغذية للقلب كما كان موهوماً من قبل وإنما تضيقها وذلك بترسيب الدهنيات والكوليسترول في جوفها وبذلك تساعد على تسبب جلطات القلب والذبحة الصدرية وخاصة مع التدخين . فكلتا المادتين تساهم في إنسداد الشرايين التاجية الأولى (أي الخمر) بترسيب الدهنيات والكوليسترول والثانية بانقباض الشرايين وتضييق مجراها .. وللخمر خاصية أخرى فهي تصيب عضـلة القلب بالتسمم Toxic Myocarditis وسنعرض لذلك بالتفصيل عندما نتحدث عن الخمر والقلب والجهاز الدوري .. ونقول للشيخ سيد سابق غفر الله له انها ليست من باب الضرورات التي تبيح المحظورات كما توهم . وانما هي المضرات والمفاسد التي ينبغي أن تحظر . وقـد أعجبني الامام ابن القيم عندما تعرض لهذة النقطة في كتابه الطب النبوي . فقد كان عملاقـاً شامخاً كالطود لم يهله ادعاء الأطباء في زمانه ان الخمر دواء فأوضح وأبان كيف هي داء .. وكان صدق إيمانه بربه وبرسوله قد انتهى به إلى النهايات الصحيحة

وأتى بما لم يأت به الطب في زمانه بل والتفت إلى نقط دقيقة كل الدقة .. ولم ينتبه لها الطب إلا في الآونة الأخيرة ومنها تأثير الاعتقاد في الدواء فاذا كان اعتقاد المريض في الدواء والطبيب حسناً حصل له نوع شفاء وان كان اعتقاده سيئاً لم يحصل له ذلك . ويسمى ذلك التأثير Placebo Effect ويعرفه الأطباء كافة . فيقول ابن القيم : « انما حرم الله على هذه الأمة ما حرم لخبثه . وتحريمه له حمية لهم وصيانة عن تناوله فلا يناسب أن يطلب به الشفاء من الاسقام والعلل . فانه وان أثر في ازالتها (هذا الكلام حسب رأي الطب في زمنه) لكنه يعقب سقماً أعظم منه في القلب بقوة الخبث الذي فيه ، فيكون المداوي به قد سعى في ازالة سقم البدن بسقم القلب « وتحريمه يقتضي تجنبه والبعد عنه بكل طريق وفي اتخاذه دواء حض على الترغيب فيه وملابسته . وهذا ضد مقصود الشارع» .

« وهو داء كما نص عليه صاحب الشريعة فلا يجوز أن يتخذ دواء . وهو يكسب الطبيعة والروح صفة الخبث لأن الطبيعة تنفعل عن كيفية الدواء انفعالاً بيناً . فاذا كان كيفيته خبيثة أكسب الطبيعة منه خبثاً ، فكيف إذا كان خبيثاً في ذاته . ولهذا حرم الله سبحانه على عباده الاغذية والاشربة والملابس الخبيثة لما تكتسب النفس من هيئة الخبث وصفته » .

ولنا هنا تعليق سريع . فهذه المسألة في منتهى الدقة ولم يتبينها الطب بعد بالتفصيل . فان الأغذية والاشربة تتحول بعد الهضم والامتصاص اما إلى طاقة تحرك الجسم ووقود للعقل والقلب أو إلى مواد لبناء الانسجة وابدال التالف منها بجديد صالح .

ونحن نعرف الآن أن المواد النشوية والدهنية تتحول إلى طاقة بينما تتحول المواد البروتينية إلى خلايا وانسجة ويقع ذلك ضمن عمليات كيماوية معقدة فدورة كريب Kreb's Citric Acid Cycle مثلاً هي مجموعة من العمليات الكيماوية

البالغة التعقيد التي تحول سكر الدم الجلوكوز في ميتوكوندريا الخلايا إلى طاقة مخزونة عبر ما يقرب من أربعين عمليـة كيماوية . وتتحول ضمن دورة كريب وخارجها بمجموعة من الاحماض الامينية Amino Acids الهامة لبناء الخلايا والانسجة. فالمواد البروتينية ليست إلا مجموعة ضخمة من الاحماض الامينية هذه .

وهكذا ترى أن ما تأكله أو تشربه يتحول بالتالي إلى محرك لعضلة يدك أو عضلة قلبك أو قادح لزناد فكرك أو يتحول إلى نفس تلك العضلة في اليد أو اللسان أو القلب أو يجري في عروقك مـع دمك مكوناً الكرويات الحمراء أو البيضاء أو الصفائح . أو حيواناً منوياً يخرج من صلبك أفلا يدخل في تركيب جسمك وتكوين فكرك بعد هذا ما تأكله أو تشربه من الخبائث كالخمر ولحم الخنزير وغيرها مما حرمها الله ؟ بلى أنها لكذلك .

أفلا يكون كلام ابن القيم بعد هذا دقيقاً كل الدقة بارعـاً كلا البراعة في وصف ما لم يهتم به الطب الحديث إلى اليوم ؟ بلى انه لكذلك . وانه كما قال ابن القيم يكسب الطبيعة والروح صفة الخبث . فكل أكل أو شرب يدخل الجوف ويجري في العروق مـع الدم يتمثله الجسم اما بالهدم Catabolism فيتحول إلى طاقة نعيش بها ونتحرك أو إلى بناء Anabolism فيتحول إلى خلايا وانسجة .

فاذا دخل الخبث جوف ابن آدم وجرى في عروقه مجرى الدم .. وكان الخبث مصدر نشاط يده ولسانه وفكره وقلبه وكان الخبث عضلة من عضلات جسمه أو خلية من خلايا دمه أو حيواناً منوياً يخرج من صلبه فالخبث لا شك يؤثر في كل ذلك .

وهكذا تصدق عبارة ابن القيم « ولهذا حرم الله سبحانه على عباده الأغذية والاشربة والملابس الخبيثة لما تكتسب النفس من هيئة الخبث وصفته » .

ونستطرد فنسمع لابن القيم قوله :

« ان في اباحة التداوي به (المحرم) ولا سيما إذا كانت النفوس تميل إليه ذريعة إلى تناوله للشهوة واللذة لا سيما إذا عرفت النفوس انه نافع لها ، مزيل لاسقامها جالب لشفائها فهذا أحب شيء إليها . والشارع سد الذريعة إلى تناوله بكل ممكن . ولا ريب أن بين سد الذريعة إلى تناوله وفتح الذريعة إلى تناوله تناقضاً وتعارضاً وايضاً فان هذا الدواء المحرم (ليس دواء) ما يزيد على مـــا يظن فيه من الشفاء وأخيراً يقول :

« وهنا سر لطيف في كون المحرمات لا يستشفى بها . فان شرط الشفاء بالدواء تلقيه بالقبول واعتقاد منفعته » . وهذا كلام يعرفه الأطباء ، ويسمى هذا التأثير Placebo Effect .

ثم يقول ابن القيم : « ومعلوم أن اعتقاد المسلم تحريم هذه العين (الخمرة) مما يحول بينه وبين اعتقاد بركتها ومنفعتها وبين حسن ظنه بها وتلقي طبعه لها بالقبول . بل كلما كان العبد أعظم ايماناً كان أكره لها وأسوأ اعتقاداً فيهـــا . وطبعه أكره شيء لها . فاذا تناولها في هذه الحال كانت داء له لا دواء » .

وهذا كلام عجيب والابحاث الطبية اليوم تتجه إليـــه . وذلك : اختلاف تأثير الدواء الواحدفي المجتمعات المختلفة فبينما يؤثر الدواء في مجتمع بعينهبطريقة خاصة يختلف ذلك التأثير ولو يسيراً في مجتمع آخر بل أن تأثير الدواء يختلف من شخص إلى آخر ويؤثر في ذلك عوامل عديدة ليس أقلهـــا أهميـــة العامل النفسي لدى متناول الدواء فان كان تلقيه للدواء بالقبول واعتقاد المنفعة حصل له ولو نوع شفـــاء وان كان تلقيه له بسوء الظن فيـــه واعتقاد مضرته لم يحصل له نوع شفـــاء بل ربمـــا حصل له نوع

ضرر . وهذا باب جديد في الطب . فلله در ابن القيم كيف استطاع أن يدرك التأثير النفسي في تلقي الدواء وهو أمر لم يدرك بعد على حقيقته بصورة واضحة إلى اليوم . والابحاث لا تزال جارية في هذا الميدان .

أما تأثير الدواء الخبيث أو المـــأكل أو المشرب الخبيث في النسل فهو باب جديد من أبواب الطب. وقد كثر الكلام فيه بعد اكتشاف قصة عقار الثاليدوميد Thalidomide وهو عقار مهدىء خال من المضاعفات فلما أعطى للحوامل تشوهت الأجنحة وخرج الأطفال بدون أطراف. وثارت قضايا أمـــام المحاكم في أوربا وخاصة في المانيا حيث اكتشف هذا الدواء . وسحب الدواء ولكن الشركة التي انتجته أفلست لفرط ما دفعت من غرامات وتعويضات .

وقد اتضح أن أولاد مدمن الخمر يكونون في الغالب مدمنين وتكـــثر فيهم نزعـــة الاجرام كما يكثر فيهم الخلل العقلي والعته والجنون . ولكن هل ذلك ناتج من تأثير الخمر في الصبغيات (الكروموسومات) والناسلات (الجينات) التي تحمل الصفات الوراثية عبر الحيوان المنوي للرجل أو البويضة للانثى . أم أن ذلك ناتج عن تأثير البيئة الفاسدة .

يجيب العلماء في هذا بقولهم : اننا لم نكتشف (جينا) ناسلا خاصـــاً في الحيوان المنوي أو البويضة يحمل خاصية الادمان ولكننا نعلم ان نسبة المدمنين عالية جداً بين الذين لهم تاريخ عائلي بالادمان ٦٢ بالمائة بينما تكون النسبة لدى شاربي الكحول العاديين Social Drinkers منخفضة وهي ١٦ بالمائـــة كما يقول الدكاترة سيتل وفوجتلين ولامير الذين يعملون في مصح شادل لمعالجة الادمان وهو أشهر مصح لمعالجة الادمان في الولايات المتحدة .. كما اجريت تجارب أخرى فنقل أولاد المدمنين من بيوت اسرهم وهم أطفال وانشئوا نشأة عادية في بيئـــة بعيدة عن الادمان فوجد أن نسبـــة كبيرة منهم انقلبت إلى الأدمان عندما

تعرضت لشرب الخمور . وهذا يدل على أن هناك استعداد وراثي على الأقل للادمان بين المدمنين . وان شرب الخمور يؤدي بالتالي إلى إيجاد حيوانات منوية لدى الرجل أو بويضة لدي المرأة مصابة في إحدى ناسلاتها (جيناتها) بالاستعداد لشرب الخمور لدرجة الادمان . وباختصار كما يقول الدكتور لنكولن ويلمز Dr, Lincolin Williams في كتابه القيم : Alcoholism Explained شرح ادمان الخمر « ان بذرة الادمان تنمو بسرعة في تربة الادمان العائلي » .

وهكذا تتضافر عوامل الوراثة مع عوامل البيئة في ايجاد ذرية تميل إلى الادمان أي أنها بمجرد شرب الخمور لا تملك القدرة على التوقف كما يتوقف معظم الشاربين وانما يستمرون في الشراب حتى الثمالة .

وقبل أن ننهي هذا الفصل عن التداوي بالخمر نورد بعض الحوادث التي تدل على عمق الايمان . وكيف كان المسلمون يتقبلون كلام الله ورسوله بالطاعة التامة .. ولا يصدقون في ذلك أقوال الاطباء في زمنهم .. ثم يتطور العلم ويتقدم الطب فاذا الطب الحديث يكتشف صدق ما ذهب اليه هؤلاء وزيف ما اعتقده الاطباء في تلك الأزمنة وقد أوردنا مقالة ابن القيم في هذا الصدد وقد قالها في زمن كان الطب مجمعاً فيه على أن الخمر دواء .. ورفض بصدق ايمانه تلك الخرافة ونعرض الآن لبعض ما روي عن الإمام جعفر الصادق في هذا الصدد ففيه غناء:

« سأل أحدهم الإمام الصادق عن رجل به البواسير الشديد وقد وصف له دواء من نبيذ لا يريد به اللذة بل يريد الدواء فقال : لا ولا جرعة . قيل : ولم؟ قال : لأنه حرام وان الله لم يجعل في شيء مما حرمه دواء ولا شفاء » . وقد كان الطب في تلك الأزمنة الغابرة يظن ان علاج البواسير بالخمر ، وما درى الطب آنذاك ان الخمر تسبب البواسير وتهيجها وذلك بطريقتين : مباشرة

وثانيها بواسطة تليف الكبد وازدياد ضغط الدم في الوريد البابي .. وسنعرض لذلك عندما نتحدث عن الكبد إن شاء الله .

« قال أحدهم للامام جعفر الصادق : ان بي وجعاً وأنا أشرب النبيذ ووصفه لي الطبيب فقال له ما يمنعك من الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي ؟ قال : لا يوافقني . قال : فما يمنعك من العسل الذي قال الله فيه شفاء للناس ؟ قال : لا أجده . قال فما يمنعك من اللبن الذي نبت منه لحمك واشتد عظمك ؟ قال لا يوافقني . قال : تريد أن آمرك بشرب الخمر لا والله لا آمرك .

وسئل الصادق عن الدواء يعجن بالخمر . فقال : ما أحببت أن أنظر إليه ولا أشمه فكيف أتداوى به .

ونكتفي بهذا القدر في هذا الصدد فان فيه غناء .

(ب) أقرابازين الكحول Alcohol Pharmacology

الكحول سائل طيار ذو رائحة معروفة . ويستعمل في الطب كمطهر كما يستعمل في بعض الصناعات الكيميائية والمختبرات كمذيب للدهون ولبعض المواد الكيميائية .

ولكن التسمم منه يكاد يكون محصوراً في تناول الخمور التي تختلف نسبة الكحول فيها كالآتي :

البيرة	٢ — ٨ في المائة
الأنبذة الخفيفة	٥ — ١٠ في المائة
الأنبذة القوية	١٠ — ٢٠ في المائة
الويسكي } الروم } البراندي } العرقي }	٤٠ — ٦٠ في المائة

ان كأساً من البيرة تحتوي على نصف لتر بها كمية من الكحول تساوي تلك الموجودة بكأس الويسكي ٣٠ سنتي أو كأساً من الشمبانيـــا من التشيري (الشيري) .

(٣)

كميات متساوية من الكحول في هذه الكؤوس

نوع الخمر :	كأس البيرة	كأس الويسكي	كأس من النبيذ العادي مثل الشمبانيا	كأس من النبيذ القوي مثل الشيري والبورت
الحجم :	لتر ونصف	٣٠ سنتي	١٥٠ سنتي	٨٠ سنتي
نسبة الكحول :	٣ - ٨ ٪	٥٠ ٪	٢٠ ٪	٢٠ ٪

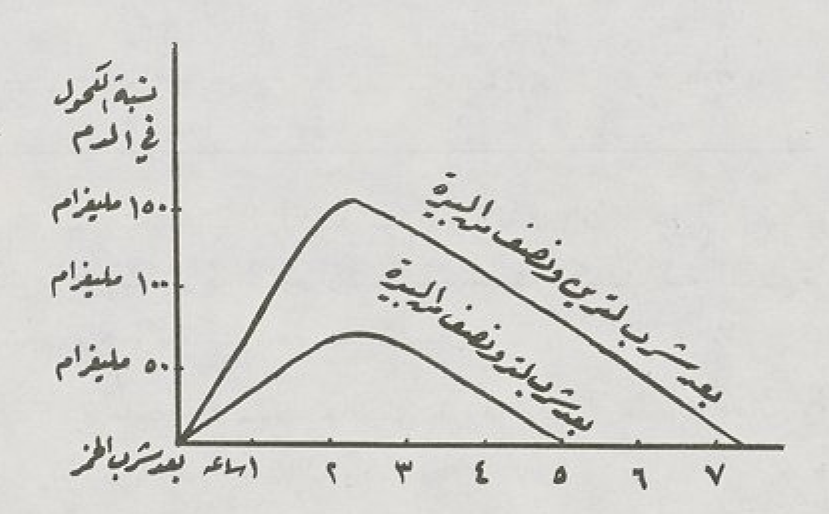
فكمية الكحول متساوية تقريباً في أي كأس من هذه الكؤوس كما ترى في الرسم فان كأس البيرة كبيرة جداً وكأس الويسكي أو البراندي صغيرة جداً وكأس النبيذ القوية تساوي كأس النبيذ الخفيفة .

وبمجرد شرب ثلاث كاسات Tarts أي ما يعادل مائة سانتي من الويسكي أو لتر ونصف من البيرة يؤدي إلى ارتفاع نسبة الكحول في الدم في خلال ساعة ونصف إلى خمسين مليجراماً بالمائة ولن يتخلص الجسم من هذه الكمية قبل مضي ثماني ساعات ويستطيع الجسم أن يمثل غذائياً من ١٠ إلى ١٥ سنتي من الكحول في الساعـة .

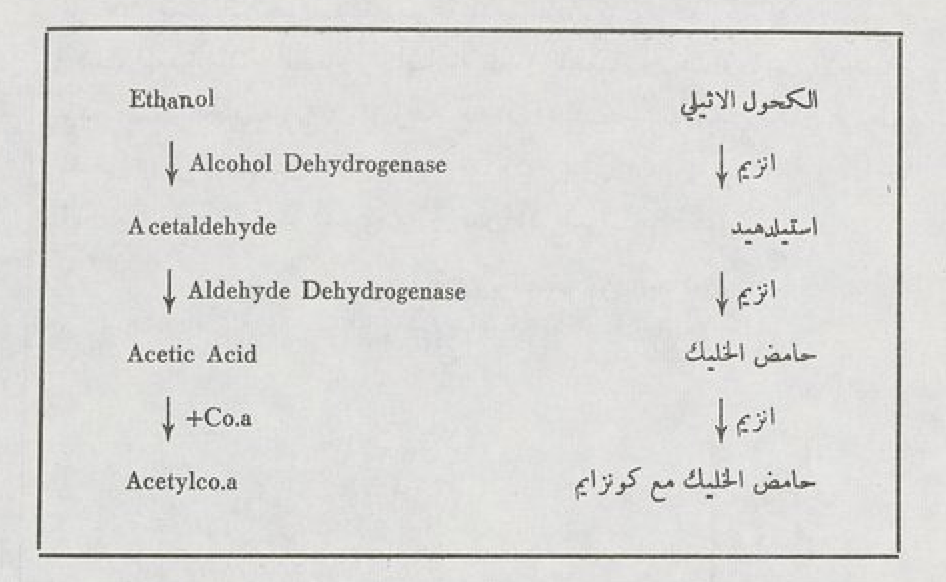
ويدخل الكحول إلى الجسم بأي طريق خاضعاً لقوانين الانتشار الطبيعية

فهو يمتص من الفم والمعدة والاثني عشر . وتتوقف سرعـــة امتصاصه على نوع المشروب وحالة المعدة عند الشراب . وهو اسرع ما يكون امتصاصاً عندما تكون المعدة خالية وتكون نسبة الكحول من ١٠ إلى ٢٠ في المائة . أما إذا ازدادت نسبة الكحول فتقل سرعة الامتصاص كما تقل سرعة الامتصاص إذا كانت المعدة مليئة بالطعام وخاصة الاطعمة الدهنية وأهم غذاء يؤخر الامتصاص ويعرقله هو الحليب (اللبن) ولذا نجد أن الحليب — اللبن — والخمر على طرفي نقيض في كل الخصائص . والعجيب حقاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اختار اللبن من جبريل عندما أسرى به ورفض أن يشرب من الخمر .

بعد شرب لترين ونصف من البيرة



ويوزع الكحول بعد امتصاصه على أنسجـة الجسم بنسبة واحدة تقريباً . ويتحول الكحول في الكبد إلى استيلهيد بواسطة انزيم (خميرة) وهذا بدوره يتحول إلى حامض الخليك (الخل) .



وبالتالي يتحول إلى ثاني أكسيد كربون وطاقة .. إن كل جرام من الكحول يحتوي على سبع وحدات حرارية . وهذه تتطلب لاكسدتها كمية كبـــيرة من فيتامين ب١ وكمية كبيرة من الدهنيات البروتينية .

كما أن حاجة الجسم لمادة الكولين التي تفرزها الكبد في الصفراء تزداد . وهي المادة الضرورية لهضم المواد الدهنية .

وينتج عن ذلك نقص في فيتامين ب١ ونقص في البروتينات الدهنية . كما يضطرب هضم المواد الدهنية فترسب في الكبد .

وينتج عن نقص فيتامـــين ب١ مرض البربري والتهاب الاعصاب الطرفي

وغيره من الأمراض التي سنعرض لها في حينها في باب الجهاز العصبي والجهاز الدوري .

وبوجود الكحول في الدم تقل دورة كريب الهامة جداً في أكسدة المواد السكرية والدهنية إلى طاقة وماء .

كما أن حامض البروفيك Pyruvic Acid يتحول إلى حامض اللبنيك Iactic Acid بدلاً من دخوله في دورة كريب ويزداد بذلك حامض اللبنيك في الدم وتزداد حموضة الدم كما ينتج عن ذلك آثار نقص الجلوكوز بالدم رغم وفرة المواد السكرية في الأصل . ولذا فان شاربي الكحول من مرضى السكر كثيراً ما يصابون بنوبات اغماء شديدة قد تودي بحياتهم بسبب انخفاض مفاجىء في سكر الدم كما أن شرب الخمور يؤدي إلى زيادة الدهون في الدم وفي الكبد . وذلك للاسباب الآتية :

١ ــ تؤثر الخمر على قدرة الكبد على تمثيل الدهون الممتصة من الأمعاء وتقل قدرة الكبد على تكوين مركب دهني بروتيني Lipo Proteins

٢ ــ تأثير مباشر للكحول على ميكروسكوم الخلية الكبدية حيث يصنع المزيد من المواد الدهنية مثل التراجلسرين (ثلاثي الحلوين) Triglycerides بدلاً من الدهنيات الفسفورية Phospholipids

٣ ــ ازدياد كمية الاحماض الدهنية الآتية من مخازن الدهن بالجسم .

وكل هذا يؤدي إلى ترسيب الدهنيات بالكبد . كما يؤدي إلى زيادة الدهنيات بالدم مما يؤدي إلى ترسيبها على جدر الأوعية الدموية ويؤدي ذلك إلى تصلب الشرايين مما سنعرض له في بابه بالتفصيل ان شاء الله.

وقد أوضحنا كيف أن الكحول الاثيلي يتحول إلى استيلدهيد ومن ثم الى

حامض الخليك .

وقد اكتشفت مادة انتابيوس Antabuse اذا أخذهـــا الشخص وتعاطى الكحول الاثيلي فان الاخير يتحول إلى استيلدهيد Acetaldehyde ولا يتحول إلى حامض الخليك Acetic Acid وهذه المادة Acetaldehyde شديدة السميـــة وتؤدي إلى القيء الشديد المتكرر وإلى صعوبة التنفس وإلى هبوط ضغط الدم مع سرعة ضربات القلب وقد استخدمت مع المدمنين حتى أن المدمن بعد تجربة قاسية من القيء العنيف والدوار يقلع عن شرب الخمر وتكون لديه كراهية شديدة للخمر . إلا أن هذه المـــادة شديدة الخطورة إذا لو أصر الشخص على شرب كمية كبيرة من الكحول رغم تناوله هــذه الحبوب فانه يقود نفسه إلى حتفه وهلاكه بيده .

ويمثل الجسم ٩٠ ٪ من الكحول المتعاطاة أما العشرة في المائة الباقية فتفرز وتعرف نسبة الكحول في الدم بطريقتين مع هواء الزفير ومع البول وبتحليل الدم مباشرة .

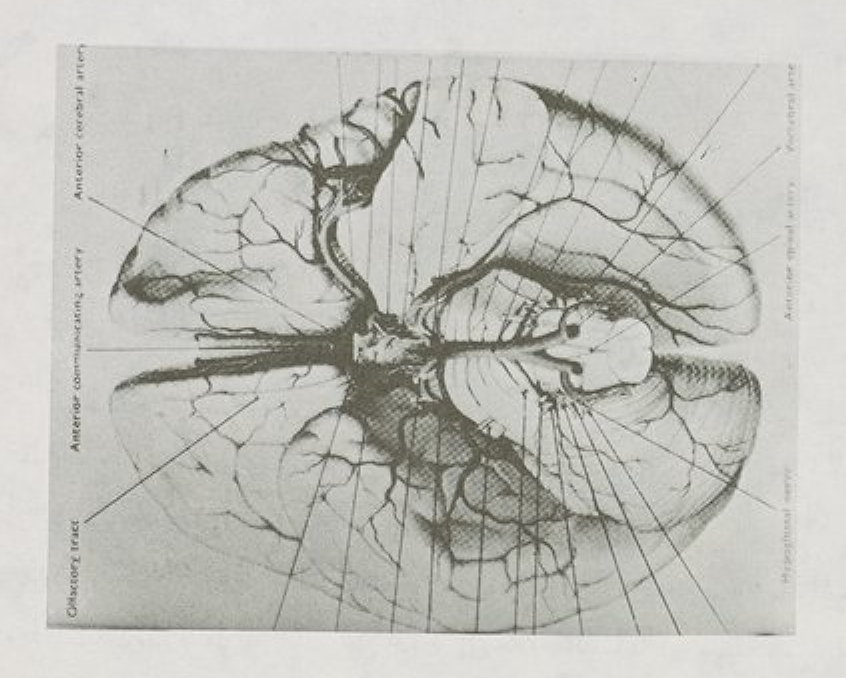
الأولى التنفس : بواسطة جهاز مقياس الشرب Drinko Meter ويحمل الجهاز عادة شرطي البوليس في البلاد المتقدمة ليعرف ما اذا كان السائق مخموراً أم لا وتعتمد فكرة الجهاز على أن الكحول يتوزع في أنسجة الجسم بنسبة واحدة ويخرج مع هواء الزفير وبمعاملة حسابية بسيطة تعرف كميـــة الكحول في هواء الزفير وبالتالي في الدم .

والطريقة الثانية : هي بواسطة تحليل الدم وهي أدق ولكن لا يمكن القيام بها إلا في مختبر كيميائي أو طبي وقد اكتشف جهــاز جديد اليكتروني يقيس نسبة الكحول في الدم في دقيقة ونصف بدلاً من ٢٠ دقيقة بالطريقة القديمـــة ويبلغ ثمن الجهاز ٣٧٥٠ دولاراً .

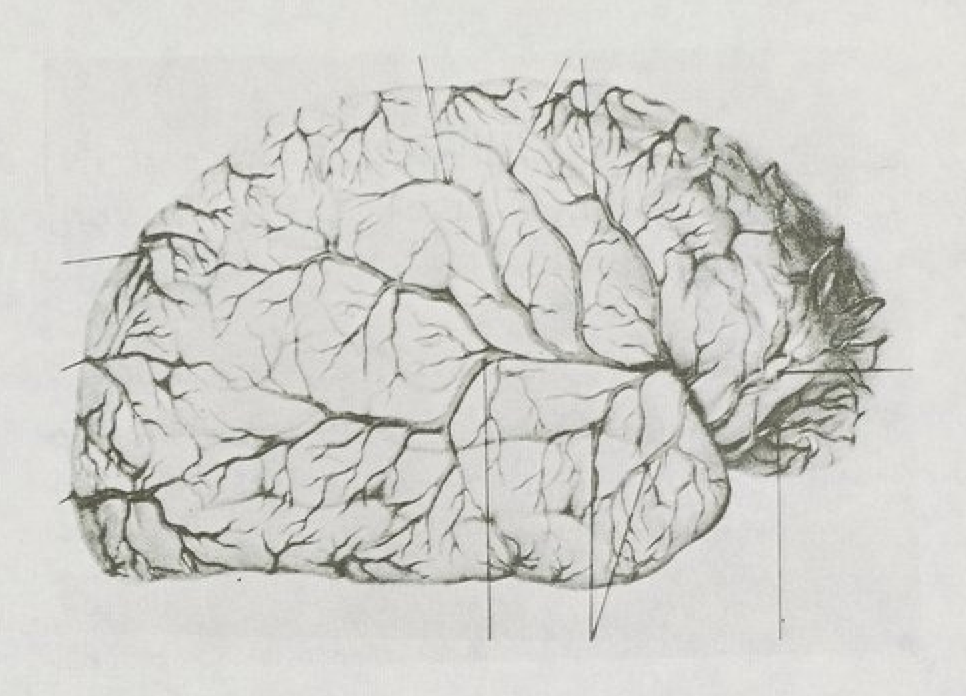
تأثير الكحول على الجهاز العصبي

أهم تأثير للكحول هو تخديره لخلايا المخ جميعاً ولكن أهم الخلايا التي تصاب هي خلايا القشرة Cortex وهي الخلايا المتحكمة في الارادة أو ما نعبر عنه بكلمة العقل . وكلمة العقل كما ذكرنا في اللغة العربية من عقل الناقة أي ربطها وشدها .

والعقل هو مجموعة الموانع الأخلاقية التي تتكون لدى الانسان فالطفل يتبول ويتغوط دونما أي مانع فاذا كبر قليلاً تكون لديه المانع بالتربية وهكذا فانه لا يمارس الجنس كالحيوانات في قارعة الطريق إلا من ارتكس إلى مرحلة الحيوانات البهيمية التي تتبول وتتغوط كذلك في قارعة الطريق .



صورة من قاع الجمجمة للمخ الانساني



صورة للمخ حيث يتركز تأثير الكحول

بل أن الحيوانات يمكن تربيتها وتأديبها حتى تمتنع من القاء قاذوراتها في الشوارع العامة أو الصالونات وغرف الاستقبال . ويعرف الكلب أو الهرة ان له مكاناً خاصاً ليفرز قاذورات جسمه . فيذهب إليه .

ووظيفة الكحول هي إزاحة هذه الموانع وليس للكحول تأثير تنبيهي قط للخلايا وانما هو تأثير تخديري وتثبيطي Depressive Action على الجهاز العصبي .

فاذا ذهبت الموانع انطلق الشخص دون تحكم فيكثر الكلام ويزداد الهياج ويفقد القدرة على الاعمال التي تحتاج إلى دقة كالطباعة أو سياقة السيارات وتختل الموازين الزمنية والمكانية . فلا يستطيع السائق المخمور أن يتحكم في السرعة وتفادي الحوادث . وتقديره للمسافة مضطرب كما أن تقديره للزمن

كذلك . لذا تحرم جميع الدول سياقة السيارات تحت تأثير الخمر وتعاقب على ذلك عقوبات شديدة .

يقول البرفسور الدكتور لورانس رئيس قسم الطب العلاجي واستاذ قسم الفارماكولوجي في جامعة لندن University College - London في كتابه القيم الاقربازين الاكلينيكية Clinical Pharmacology .

يقول الدكتور لورانس : « أول ما يفقد من وظائف المخ بواسطة الكحول هو القدرات الدقيقة على الحكم والملاحظة والانتباه أي الخصائص التي حصل عليها الانسان بالتربية والتعليم التي تشمل مجموع قوى العقل والحكمة في الانسان. وعند تناول الكحول يجد الخطيب نفسه ينطلق في الحديث دون أن يفكر في العواقب كما أنه يفقد القدرة على التحكم في عواطفه . كما أن الكفاءة العقلية والبدنية تنخفض بتناول الكحول مهما كانت الكمية المتعاطاة قليلة » .

« وان الفحوص التي تفوق الحصر قد أكدت هذه الحقيقة . وهي أن الكفاءة والمقدرة لدى الشخص المتعاطي تنخفض بمجرد شرب الكحول حتى ولو كان متعوداً عليها وحتى لو كانت الكمية ضئيلة . ونتائج الفحوص تدل على أن الكحول يقلل من دقة النظر ومن القدرة على السمع الجيد وعلى الشم والطعم كما أن توازن العضلات تفقد . وقدرة الشخص على تغيير موقفه وأفعاله الانعكاسية تختل خللاً مشيناً . ويبدأ الدوار Vertigo والرأرأة Nystagmus والتخلج Ataxia كما أن انتباه الشخص وفهم الأمور والقدرة على اتخاذ القرارات السريعة تختل مهما كانت الكمية المتعاطاة ضئيلة .

ولهذا فان أي شخص مسؤول أو عامل فني أو سائق لسيارة أو طائرة أو مركبة يعرض نفسه والآخرين لأخطار جمة بل يعرضهم للموت المحقق عندما يقدم على شرب الخمر أثناء عمله أو قبله مباشرة .



صورة لحادث تصادم نتيجة الكحول نشرته مجلة التايمز الامريكية

والأدلة الآن متوافرة على أن شرب الكحول بأية كمية قليلة كانت أم كثيرة (كلما زادت الكمية زاد التأثير) تؤثر في مهارة السائق وقدرتـــه على تفادي الأخطار وفي الواقع ان الخطر الأعظم على الجمهور ليس من الأفراد القليلين الذين يتعاطون كميات ضخمة من الكحول . وانما الخطر الأعظم هو من الكثيرين الذين يتعاطون كميات قليلة من الخمر ثم يقومون بسياقة سياراتهم . إذ أن هؤلاء نادراً ما يقعون تحت طائـــلة القانون . ويحسون بالثقة الكاذبة في أنفسهم فيقومون بسياقة سياراتهم وهم فاقدون لكثير من مهارتهم وقدراتهم على التحكم .

ويقول الدكتور سيـــدني كاي في كتابه علم السموم ان الخمر هي السبب المبـــاشر وغير المباشر في خمسين في المائة من مجموع حالات الوفاة التي يفحصها

بمعمل الطب الشرعي بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة .

وقد أقيمت في مدينة مانشستر بانجلترا تجربة على أمهر سائقي الاوتوبيسات هناك وأعطى كل واحد منهم كمية قليلة من الخمر . ثم سمح لهم بسياقة الاوتوبيسات تحت الاختبار ورغم الثقة الزائدة التي كانت تبدو على السائقين الا أن أخطاءهم كانت مرعبة وستؤدي إلى كوارث .

« ولا يوجد شك في أن الكحول هي السبب الأول في حوادث السيارات والطائرات وما لا يقل عن خمسين في المائة من جميع حوادث السيارات. وللاسف فان تقارير البوليس هي أقل من هذه النسبة . وذلك لأن اثبات حالة السكر البين ليست يسيرة وخاصة إذا كانت الكمية المتعاطاة قليلة فلا تظهر آثارها كاملة ولا ترتفع نسبة الدم إلى الحد الذي يمنعه القانون . فالقوانين في أوربا وأمريكا تعاقب على شرب الخمور وقيادة السيارات إذا كانت النسبة مائة مليجراماً في كل مائة سنتي من الدم .

ويمكن تقسيم أطوار التسمم بالخمر إلى درجات ثلاث :

١ – السكر الخفيف :

وتظهر أعراضه بازدياد الألفة الاجتماعية والابتهاج مع احتقان الوجه واحساس كاذب بالتنبيه دون ظهور أي خلل عقلي أو عضلي . وفي هذا الطور يقل الوازع الأخلاقي وتنطلق نوازع الافكار الجنسية . ولذلك كثيراً ما ترتكب الجرائم الجنسية في هذا الطور . وتتراوح نسبة الكحول في الدم في هذا الدور ما بين خمسين ومائة مليجراماً في كل مائة سنتي من الدم .

٢ – السكر البين :

وتظهر أعراضه بكثرة الكلام واختلال السلوك . وعدم التحكم فيه . فقد

يبول الرجل الوقور أمام الناس أو على الأقل يتفوه بكلام بذيء لا يتوقع صدوره منه ويبدأ ظهور الاضطراب على الحركات الدقيقة كالكتابة والرسم والطباعة على الآلة الكاتبة وان تأخر ظهوره على الحركات الجسمية كالمشي والكلام التي تبدأ في الاضطراب فيختلج المشي ويتلعثم الكلام ويثقل اللسان ويتشوش الذهن وتختلط المشاعر والاحاسيس . كما يقل الاحساس بالألم وتقل القدرة على الرؤية الواضحة كما تقل القدرة على السمع الجيد والشم والطعم. ويزداد احتقان الوجه والعينين . وتزغلل الرؤية فيرى الواحد اثنين Diplopia وتبدأ الرأرأة Nystagmus ويظهر التخلج في المشي Ataxia كما يتلعثم الكلام Dysartheria وتكون نسبة الكحول في الدم من ١٠٠ إلى ٢٠٠ مجم .



احتقان الانف وتورمها الذي يكثر عند مدمني الخمور

٣ – السكر الطافح :

ويبدأ هذا الدور بالخمول والنعاس وخمود الحركة وتبلد الاحساسات حتى ليصبح الجسم كأنه مشلول تماماً . ولا يستطيع المصاب القيـــام إلا بالقليل من الحركات. ويبدأ القيء ويتكرر مع الفواق Hiccough ثم تبدأ الغيبوبة وتنخفض درجة حرارة الجسم وفي هذه المرحلة تنشل كرويات الدم البيضاء وتقل مقاومة الجسم للامراض كما ان مراكز التنفس في المخ تتأثر وتبدأ في مرحلة الشلل .

وكثيراً ما يصاب الشخص بالالتهابات الرئوية في هـــذه المرحلة .. وذلك للاسباب التالية :

١ – تدخل مواد القيء في الجوف إلى الرئتين نتيجة شلل الافعال المنعكسة Beflux Actions في البلعوم والحنجرة فـــلا يغطي لسان المزمار أو الغلصمة Epiglottis على فتحة الحنجرة فتذهب المواد المتجمعة من القيء والافرازات من الفم إلى الحنجرة إلى القصبة الهوائية فالرئتين .

٢ – شلل المراكز المخية المسؤولة عن التنفس .. ويكون التنفس سطحيا . ومع نزول الافرازات ومواد القيء إلى الرئتين وشلل مراكز الكحـة وطرد البلغم فتتجمع هذه المواد في الرئتين وتسبب التهابها .

٣ – قلةمقاومة الجسم أثناء هذه المرحلة..حتىأن كراتالدم البيضاءالمسؤولة عن مقاومة البكتيريا الغازية تنشل وتفقد قدرتها على الدفاع . وكذلك وسائل الدفاع الأخرى تكون غير قادرة على صد العدوان البكتيري والفطري فتهجم هذه الميكروبات على الجسم وترتع فيه دون أن تجد مقاومة تذكر .

وسرعان ما تقضي على الشخص المذكور إلا إذا اسرع بعلاجه وبـــذل في

ذلك جهد ضخم . ومع هذا فرغم الوسائل الطبية الحديثة إلا أن كثيراً من هذه الحالات تخفق رغم ما يبذله الطب .

وخاصة أن هذه الحالات تكون مصحوبة عادة بهبوط القلب نتيجة التسمم الكحولي فاذا ما خرج المريض من داء فان عليه أن يواجه ادواء أخرى كثيرة كل واحد منها يكفي لقتل انسان كامل البنية صحيح الجسم . فكيف بمريض تعاورته الأمراض من كل حدب وصوب .. وفقد جسمه القدرة على المقاومة .

وتبلغ نسبة الكحول في الدم ٢٠٠ إلى ٣٠٠ مليجرام في المائة في هـــذه الحالة (المليجرام واحد على ألف من الجرام) .

والكمية القاتلة من الكحول هي مائتان سنتي أو ما يعادلها من الخمور أي أربعمائة سنتي من الويسكي أو العرقي مثلاً ولكن المدمن لا تقتله أضعاف هذه الكمية لتعود جسمه عليها .. وان كان قتله بطيئاً ففي كل لحظـــة تموت خلايا وتهلك ويمشي حثيثاً نحو حتفه ونهايته المحتومة . (ملحوظة : إذا شربت هذه الكمية دفعة واحدة أو خلال ساعة على الأكثر .. أما اذا شربت خلال ساعات فلا تكون هذه الكمية قاتلة لأن الكبد يستطيع تمثيل ١٠ سنتي في الساعة) .

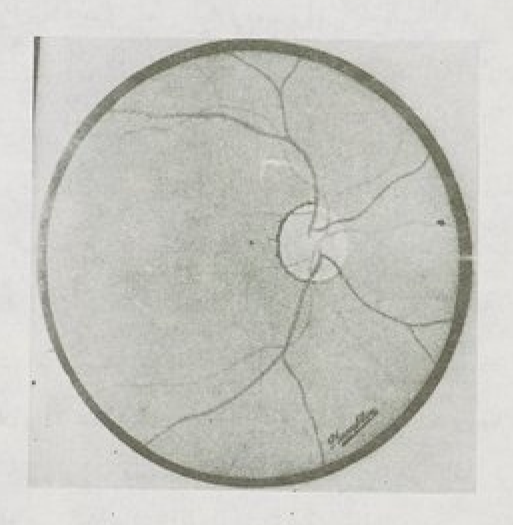
الكحول والجلد :

يسبب الكحول توسعاً في الأوعية الدموية للجلد نتيجة شلل مؤقت بالمركز الدموي الحركي في النخاع المستطيل .

كما أن هناك تأثيراً مباشراً للكحول بزيادة كمية الماء في الدم ولذا يحتقن وجه شارب الخمر وتحمر وجناته وتحتقن الملتحمة في عينيه . ويحس الشخص بالدفء بعد تناول الكحول . ويفقد الجسم حرارته . ولهذا السبب نفسه يصبح من الخطر على المرء أن يشرب الخمر ويتعرض للجو البـــارد . فرغم احساسه

بالدفء الا أنه يفقـــد حرارة جسمه بسرعة في الجو البارد وينتهي بذلك إلى الغيبوبة فالموت المحقق .

وكثيرون من شاربي الخمور يتعرضون في « أعيـــاد الميلاد ورأس السنة » نتيجـــة شربهم الخمور وخروجهم إلى الهواء الطلق حيث الجو البارد والثلوج فتهبط حرارة اجسامهم ويلاقون حتفهم من البرد وهم يحسون بالدفء .



الصورة لقاع العين لشخص أصيب بالعمى الكامل من جراء شرب هذه الخمر اللعينة (كحول نشارة الخشب)

تصور .. يموت الشخص من الـــبرد دون أن يرتجف بل على العكس يموت وهو في منتهى الشعور بالدفء .

أما الشخص الذي لم يشرب الخمر فيرتجف والارتجاف والارتعاش هو عملية كيمبائية معقدة لتحويل الجليكوجين (السكر المخزون) في العضـــلات إلى

سكر جلوكوز وطاقـــة نتيجة مادة الادرينالين . ثم تفرز مادة الادرينالين فتنقبض الاوعيـــة الدموية للجلد وتحفظ بذلك حرارة الجسم ويحس الانسان بالبرد فيفر منه الى حيث الدفء . وكل هذه وسائل لوقاية الجسم من فقدان حرارته . أما شارب الخمر فانه يفقد كل هذه الوسائل الفسيولوجية التي منحه الله إياها . . ويفقد حرارة جسمه ويموت من البرد وهو ينعم بالدفء الكاذب . لذا عندما جاء وفد اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه أن يسمح لهم بشرب الخمر لأن بلادهم باردة في الشتـــاء . والخمر تساعدهم على الدفء رفض ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى عليهم ذلك . وها هو العلم يثبت بعد ١٤٠٠ عامـــاً أن التدفئة بالخمر ليست إلا خرافة ووهماً مثل الخرافات والاساطير الأخرى المنسوجة حول الخمر والتي سنثبت زيفها بالادلة العملية . وليست الخمر دواء وانما هي داء . كما أخبر بذلك الرسول صلوات الله عليـــه . وقد حكي ان مجموعة من الشخصيات الروسية عرضت اسلامها على الخلافـــة العثمانية على شرط أن يسمح لهم علماء الشريعة بالخمور بحجة أن بلادهم قارسة البرد . ولكن علماء الاسلام في دار الخلافة رفضوا أن يبيحوا الخمر . . وبقيت فتوى هؤلاء العلماء الاجلاء ليثبت الطب بعد قرون صدق ما ذهبوا إليه من أن الخمر لا تدفىء الجسم وإنما تسبب البرد والوفاة من الجو القارس . وانمـــا هو الدفء الكاذب الذي يعقبه فقدان حرارة الجسم فالموت .

ورغم أن الكحول تؤدي إلى تمدد الأوعية الدموية التي في الجلد وفي الجسم عامة الا أنها لا توسع الأوعية التاجية (التي تغذي القلب) .

وللأسف فان هذه الحقيقة لا تزال مجهولة حتى بالنسبة لبعض الأطباء الذين لم يطلعوا على منجزات الطب الحديثة . فقد كان الوهم السائد الى عهـــد ليس ببعيد ان الكحول توسع الاوعية الدموية بما في ذلك الأوعية التاجيـــة للقلب .

ولذا كان الأطباء القدامى يصفونه لمرضى ضيق الشرايين التاجية على أمل أن يحسن ذلك من الدورة التاجية .

ولكن الطب الحديث أثبت أن ذلك الظن ليس إلا من قبيـــل الوهم . فالكحول لا توسع شرايـــين القلب التاجية بل على العكس تتسبب في تصلب الشرايين التاجيـــة . فالكحول تسبب زيادة في دهنيات الدم من الكلسترول والتراجلسريد Cholesterol and Triglycerides وهذه تترسب على جدر الأوعيـة الدموية فتسبب تصلب الشرايين وضيقها .

وهذا بالتالي يؤدي إلى الذبحات الصدرية Angina Pectoris كما يؤدي إلي جلطة القلب Coronary Thrombosis كما أن تضخم عضلة القلب نتيجـــة الخمور يسبب زيادة في احتياجاتها من الدم وهذا بالتالي يسبب قصوراً نسبياً في الدورة التاجية كما أن هبوط القلب الناتج عن شرب الخمور يؤدي إلى انخفاض قدرة القلب على الضخ وبالتالي يقل الدم في الدورة التاجية .

وهكذا ترى الكحول تسبب نقصاً في الدورة التاجية للقلب من عدة طرق. ولا تسبب توسعاً في الشرايين التاجية كما كان الوهم سائداً وإنما هي داء وليست دواء . وداء عسير علاجه إلا بالتوقف الفوري عن شرب الخمور . وسنعرض لهذا الموضوع بالتفصيل في باب الخمر والقلب إن شاء الله .

والكحول مدر للبول : لا جدال في ذلك . وهناك سببان لذلك . أولهما ان الكحول يمنع الغدة النخامية الخلفية Posterior Pituitary من افراز الهرمون المضاد للادرار Anti Diuretic Hormone (A. D. H.) وهـــذه الغدة يتحكم فيها المهاد وتحت المهاد من المخ Thalamus and Hypothalamus وبما أن الكحول يعطل المناطق المخية فانه كذلك يعطل وظيفة هذه الغدة فيقل افراز الهرمون المضاد للادرار .

(٤)

وثانيها أن متعاطي الخمور وخاصة البيرة يشرب كميات كبيرة من السوائل فتقوم الكلي بطرد هذه الكميات الزائدة عن حاجة الجسم .

وبالنسبة للمرضع والحامل فـــان الخمور تقلل من افراز مادة الاوكستوسين Oxytocine التي تفرزها الغدة النخامية الخلفية . وهذه المادة هامـــة لانقباض الرحم بعد الولادة حتى يعود إلى حجمه الطبيعي إذ يبلغ حجم رحم الأم قبيل الولادة أربعين ضعف حجمه الطبيعي بدون حمل . ولا بد من عودة الرحم إلى سابق عهده وإلا تعرض للالتهابات الخطيرة والخمر تعوق ذلك .

كما أن لمادة الاكسيتوسين Oxytocine خاصية إنزال اللـــبن من ثدي الأم . والخمر تمنع ذلك ويؤدي ذلك إلى نقص ادرار اللبن من ثدي الأم التي تشرب الخمر .

كما أن اصابة الأم بنقص التغذية وأمراضها نتيجة لشرب الخمور . يضاعف من أمراض الحمل والولادة كما تقل نسبة ادرار اللبن ويكون الرضيع مصابـــاً بامراض نقص التغذية وتنزل الخمر في اللبن ويصاب الرضيع باضرار الخمر وهو لا يزال في المهد .

الخمر والجهاز الهضمي:

ان الكحول بكميات قليـــلة تهيج الاغشية المخاطية لجدار المعدة وتزيد من افراز حامض المعدة وهذا يؤدي إذا زاد عن حده إلى قرحة المعدة وقرحـــة الاثني عشر .

أما اذا شربت الكحول بكميات مركزة مثل الويسكي والبراندي أو بكميات كبيرة من أي نوع ولو كان خفيفاً مثل البيرة فانهـــا تؤدي إلى نقصان إفراز الحامض وإلى التهاب المعدة المزمن .

ان كأساً واحدة من الخمر تكفي لاحداث كارثة لمريض قرحـة المعدة أو الاثني عشر إذ أنها ربما تسبب نزفاً أو انثقاباً . مما يؤدي إلى الوفاة إذا لم ينقذ المريض بعملية مستعجلة .

وسنذكر بالتفصيل آثار الخمر على الجهـاز الهضمي من الفم إلى المريء إلى المعدة فالاثني عشر فالامعاء فالبنكرياس والكبد . وذلك في بابه إن شاء الله .

الخمر والجنس :

هناك وهم شائع وذائع منذ أقدم الأزمنة بأن الكحول تزيد من القـدرة الجنسية وواقع الأمر هو كما وصفها شاكسبير الشاكر الانجليزي المشهور بقوله :

It Provokes the Desire, But it Takes Away the Performance.

« انها تحفز الرغبـة ولكنها تأخذ معها القدرة على التنفيذ » ولا شك أن الخمور بتخديرها للمناطق المخية العليا تذهب الحياء والاعتبارات الأخلاقية عند الانسان بل تزيد الرغبـة في الجنس وتؤدي في كثير من الأحيان إلى الجرائم الجنسية الغريبة والشاذة إذ أن الوازع الأخلاقي والتفكـير في العواقب تشل شللاً تاماً بالخمر .

ولكن الاستمرار في شرب الخمر يؤدي إلى فقدان القدرة على اداء العمل الجنسي وذلك لأن الخمر تؤثر على الجهـاز العصبي السمبتاوي – التعاطفي – والنظير السمبتاوي .

وتجد مدمن الخمر لا يكف عن حضور النوادي الليليـة وأماكن العري ويستمتـع بالمناظر دون أن تكون لديه القدرة على التنفيذ . بل بلغ الأمر ببعضهم أن يدفع نقوداً لشباب كي يمارسوا العملية امامه ويستمتع هو بدور المتفرج والمشجع .

الكحول الميثيلي أو كحول نشارة الخشب Methyl Alcohol

وهنـاك أنواع أخرى من الكحول كالكحول الميثيلي (كحول الخشب) ويوجد في الأنواع الرديئة من الخمور . والتي يتعاطاها المدمنون عندما لا يجدون في حوزتهم ما يكفي لشراب الخمور الباهظة أو يشربها المدمن عندما تتحطم كل القيم في ذهنه . كما تشرب سراً في البلاد التي تمنع فيها الخمور . وقد شربت بكثرة عندمـــا قامت الولايات المتحدة بمنع شرب الخمور وتكونت عندئذ عصابات آل كابوني الشهيرة وعصابات بيع الخمر الرديئة . وقد رأينا نحن عدة حالات تسمم من الكحول الميثيلي وكثيراً مـــا يصاب المريض بزغللة في الرؤية تنتهي سريعاً بالعمى الكامل .. كما أن كثيراً من هذه الحالات لم يمكن إنقاذهـا وكان سبب الوفـــاة في جميع الحالات التي لم يمكن انقاذها هو هبوط القلب Heart Failure نتيجة تسمم عضلة القلب بالكحول الميثيلي .

يتحول الكحول الميثيـــلي في الدم الى فورمالدهيد ثم الى حامض النمليك Formic Acid وتزداد بذلك حموضة الدم . ويحتـــاج العلاج إلى بيكربونات الصوديوم .

كذلك توجد أنواع أخرى من الكحول وهي الكحول الاميلي والبروبيلي Amyl And Propyl Alcohols وهما أشد خطراً من الكحولين السابقين .

وتوجد في الخمور الرخيصة مثل الابسنث Absinth مـــادة تسبب الصرع والتشنجات هي مادة الثوجون Thujone وما أكثر ما تسبب هذه السموم الناقعة من ادواء وبيلة . وهي كما قال الصادق المصدوق داء وليست دواء . وسيأتي معنا في الحلقات القادمة المزيد من التفصيل حول الخمر وكل جهاز من اجهزة الجسم وكيف تفعل به الخمر . (ملحوظة : يوجـــد الكحول الميثيلي في الكحول المصنوع من نشارة الخشب وذلك باضافة الخميرة والماء إليه ويوجد هذا الكحول في مزيل الطلاء (البوية والورنيش) الطلاء

الخمر والجهاز العصبي

وظائف الجهاز العصبي :

لا بد لنا من عرض موجز سريع للجهاز العصبي قبل أن نفصل في الأمراض التي تصيب الجهاز العصبي نتيجة شرب الخمور .. الجهاز العصبي هو أثمن ما خلق الله للانسان . وهو عبارة عن الجهاز الذي يسيطر على أجهزة الجسم الأخرى لضبط وتكييف العمليات الحيوية المختلفة الضرورية للحياة بانتظام وتآلف تام . فيقوم كل عضو بما وضع له وخصص به في الوقت المناسب ، ويشمل هذا الجهاز العجيب مجموعتين أساسيتين .

الأولى : المجموعة المركزية :

وهي تتألف من المخ الذي يرتفع به الانسان إلى عالم الفكر والروية وبه مناط المسؤولية .. وبه مراكز الحركة والاحساس والسمع والابصار والنطق والكتابة والكلام .. كما أن به مراكز جمـــع المعلومات والفهم والادراك .. ولأهميته القصوى جعله الله محروساً بعظام من كل جهة هي عظام الجمجمة وعددها إثنان وعشرون عظماً متصلة إتصالاً وثيقاً محكماً بالتداريز بحيث تحرس المخ من كل جهة .. وليس بها سوى ثقوب صغيرة لخروج الاعصاب المخية من المخ إلى مقرها ومثواها في الوجه والجسم وثقوب صغيرة لدخول الأوعية الدموية لتغذية المخ . كما أن بها ثقباً كبيراً يدعى الثقب المؤخري العظيم في قاع الجمجمة

حيث يتصل المخ بالنخـــاع الشوكي الموجود بداخل القناة الفقرية والمحروس بالفقرات المبتدئة بالعنق والمنتهية بالعصعص في أسفل الظهر .

ولقد جعل الله للمخ والنخاع الشوكي طبقة أخرى حارسة بعد طبقة العظام الصلبة هي : الأم الجافة وهي من ألياف قوية ثم بعدهـــا الأم العنكبوتية ثم الأم الحنون وهي قشرة رقيقة متصلة بالمخ والنخاع الشوكي . وبين الأم العنكبوتية والأم الحنون يجري سائل يفرز في بطينات المخ . ويجري في القنوات حتى يصل بين الأم العنكبوتية والأم الحنون .. ويكون ذلك السائل المخ – شوكي واقياً للمخ والنخاع الشوكي من الهزات والصدمات ويكون كالفراش الوثير لهما (للمخ والنخاع الشوكي) يقيهما شر الهزات المفاجئة والصدمات الطارئة والحركات العنيفة .

المجموعة الثانية : وتدعى الجهاز العصبي الفرعي .

وتشمل الألياف العصبية وعقدها المختلفة وجميعها متفرعة اما من المخ أو من النخاع الشوكي . فالاعصاب المخية هي اثنا عشر عصباً على كل جانب أي (اربعة وعشرون عصباً في مجموعها) وهي أعصاب خارجة من المخ إلى الوجه والجسم وبيانها كالتالي :

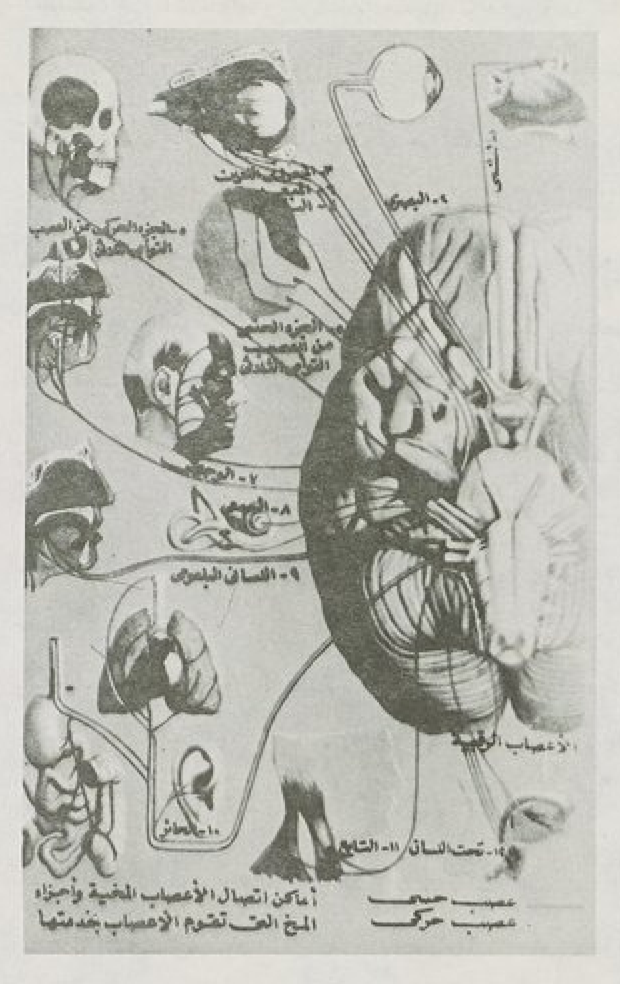
(١) العصب المخي الأول : وهو العصب الشمي الخاص بحاسة الشم .

(٢) العصب المخي الثاني : وهو العصب البصري الخاص بحاسة الابصار .

(٣) العصب المخي الثالث : وهو محرك لمعظم عضلات مقلة العين .

(٤) العصب المخي الرابع : وهو محرك للعضلة المنحرفة العليا بمقلة العين .

(٥) العصب المخي الخامس : ويعرف بالعصب ذي الرؤوس الثلاثـــة .



صورة للمخ باجزائه مع أعصاب المخ الاثني عشر

وينقل الاحساس من الوجه والجبهة وفروة الرأس والأسنان ومحرك أيضاً لبعض عضلات المضغ .

(٦) العصب المخي السادس : محرك للعضلة المستقيمة الوحشية بمقلة العين .

(٧) العصب المخي السابع : ويعرف بالعصب الوجهي وهو المحرك لعضلات الوجه والشفاه كما يحمل الياقاً خاصة بحاسة التذوق للسان .

(٨) العصب المخي الثامن : وهو مكون من شقين سمعي وهو خاص بحاسة السمع واتزانه وهو خاص بحفظ اتزان الجسم أثناء المشي أو الالتفاف أو الصعود أو الهبوط .. ويتعاون في ذلك مع المخيخ .

(٩) العصب المخي التاسع : ويعرف بالعصب اللساني البلعومي ويحمل الاحاسيس من الجزء الخلفي للسان والبلعوم كما يغذي عضلات البلعوم.

(١٠) العصب المخي العاشر : ويعرف بالعصب الحائر أو العصب الرئوي – المعدي وهو يهديء ضربات القلب ويبطئها بعد اسراعها . ويغذي القصبة الهوائية والشعب الهوائية ويسبب ضيقها إذا زاد التأثير عن حده .. كما أنه يغذي الرئتين والجهاز الهضمي من المريء فالمعدة فالامعاء ويزيد من حركة عضلات المريء والمعدة والأمعاء . والعصب العاشر يتبع المجموعة الذاتية أي اللاارادية Autonomic Nervous System التي سنتحدث عنها بايجاز شديد فيما بعد .

(١١) العصب المخي الحادي عشر : ويسمى العصب المساعد ويشترك مع العصب العاشر في عمله . ويغذي عضلات في العنق وفوق الكتف .

(١٢) العصب الثاني عشر : ويسمى « العصب تحت اللسان » وهو يغذي عضلات اللسان ولولاه لفقدنا القدرة على النطق والاكل .

وهذا القدر يكفي عن الأعصاب المخية ، أما الأعصاب النخاعية الشوكية Spinal Nerves فهي واحد وثلاثون عصباً من كل جانب (أي اثنان وستون عصباً للجسم الانساني) . وتخرج هذه الاعصاب من النخاع الشوكي وتسير

عبر خروم صغيرة بين الفقرات ثم توزع على الجسم الانساني بأكمله مـا عدا مناطق توزيع الاعصاب المخية التي ذكرناها آنفاً .. وتعرف الاعصاب الثمانية الأولى بالأعصاب الشوكية العنقية لأنها تمر بين الفقار العنقية وتعرف الأعصاب التي تمر بين الفقار الظهرية بالاعصاب الظهرية Dorsal Nerves وعددها اثنا عشر في كل جانب تليها خمسة أعصاب قطنية Lubar Nerves لأنها تخرج بين الفقار القطنية Lumbar Verte·brae ثم تليها الأعصاب العجزية وعددها خمسة من كل ناحية Sacral Nerves وآخرها العصب العصعصي Coccygeal Nerve لأنه يخرج من العصعص .

وكل عصب شوكي يحمل الأحاسيس من الجلد كالالم والبرودة والحرارة واللمس أو ما تحت الجلد من الاحساس بالوزن وينقل هذه الاحاسيس إلى النخاع الشوكي ومن ثم في مسارات عجيبة رائعة إلى المخ . كما ينقل العصب الشوكي أوامر من النخاع الشوكي تلقاهـا من المخ إلى العضلات بالانقباض فتنقبض وبالانبساط فتنبسط . وبذلك نتمكن من الحركة .. ولولا ذلك لما استطعنا أن نحرك أنملة من أناملنا ولا اصبعاً من أصابعنا ولما استطعنا مشياً ولا وقوفاً ولما استطعنا حركاً ولا جيئة ولا ذهاباً . ولما استطاع الفرد فينا ان يرفع إلى شفتيه كأس ماء .. وما هو ببالغه . فسبحان البديع الصنع الذي أتقن صنع كل شيء خلقه وقدره تقديرا .

وليس الأمر متروكاً لأي عصب يغذي أية عضلة ولا لكل عصب ينقـل الأحاسيس من أي جهة شاء .. وانما هي خرائط دقيقة ونظام باهر رائع ، فالأعصاب مختصة بالعنق والكتف والعضد والذراع والساعد واليد والأنامل ، ويتخصص كل عصب في نقل الاحاسيس من مكان معين لا يحيد عنه كما يتخصص كل عصب في أمر مجموعة معينة من العضلات بالانقباض أو الانبساط حتى يتم تحريك الذراع أو الساعد أو اليد أو الأنامل .. والمتـأمل في ذلك ينبهر من

دقة النظام ودقة التنفيذ ودقة التناسق بين هذه الأعصاب بعضها وبعض وبين هذه الأعصاب والعضلات وبين هذه الأعصاب والنخاع الشوكي وبينها وبين المخ .. إذا أراد الواحد منا أن يتناول قلماً ويكتب فالأمر سهل هين بالنسبة له ..وما درى ان ذلك يشمل ملايين العمليات الدقيقة الرهيبة البديعة الصنع .. الرائعة النظم والتنسيق . ويحتاج ذلك إلى أوامر من مناطق الارادة بالمخ إلى مناطق الحركة فترسل الاشارات بسرعة رهيبة إلى الأعصاب التي تنقل الأوامر من المخ إلى النخاع الشوكي فينفذ النخاع الشوكي الأوامر بدقة متناهية فتنبسط عضلات وتنقبض أخرى في حركات بديعة متناسقة وتأتي الأوامر المساعدة من المخيخ تحفظ الاتزان وكذلك تأتي الأوامر من النويات الغائرة في داخل المخ .. وتتجاوب الأصداء بحركة رشيقة هي حركة القلم بالكتابة أو حركة اليد والأنامل تمتد إلى الكأس فترفعه إلى الشفاه فترشف رشفة أو رشفتين ولو تتبعنا أمر هذه الرشفة لهالنا ما نرى : تتحرك عضلات الوجه والشفاه بأوامر محمولة على العصب الوجهي (العصب المخي السابع) كما تتحرك لذلك عضلات اللسان التي يغذيها العصب المخي الثاني عشر كما تتحرك عضلات البلعوم التي يغذيها العصب الحادي عشر ولا تصل الى المعدة الا بعد عمليات هائلة دقيقة بديعة يغذيها العصب العاشر . انها تنبئنا عن الخالق المدبر البديع الصنع الذي أتقن كل شيء خلقه وقدره تقديراً . وجعله في غاية الحكمة والخبرة والعلم والقدرة ليدلنا على الحكيم الخبير والعليم القدير .. سبحانه ما أعلى شأنه وما أعظم صفاته وما أكثر نعمه وما أقل شكرنا وما أكثر جحودنا وعصياننا .

ولا نزيد تفصيلاً وانما هي لمحة تكفي من كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد .

ننتقل بعد هذا إلى لمحة سريعة عن الجهاز العصبي الذاتي (اللاارادي) Autonomic Nervous System وهذه المجموعة من الأعصاب بجانب الأعصاب المخية

والأعصاب الشوكية تشكل الجهاز العصبي الفرعي Peripheral Nervous System وقد تحدثنا عن الأعصاب المخية والأعصاب الشوكية وبقي أن نتحدث عن الأعصاب الذاتية أو اللاارادية .

والأعصاب الذاتية هي مجموعة من الأعصاب تسير مع بعض الأعصاب المخية أو تكون منفصلة عنها وخارجة من النخاع الشوكي . وتنقسم نتيجة عملها إلى مجموعتين :

١ – المجموعة التعاطفية (السمبثاوية) Sympathatic Nervous System

٢ – المجموعة نظير التعاطفية Para Sympathatic Nervous System

وعمل كل مجموعة منهما على النقيض من الآخر .. فالمجموعة التعاطفية تهيء الجسم لحالات الاستعداد للعراك أو الفرار Fight Flight فإذا رأيت ثعباناً مثلاً فان رؤية الثعبان بعد أن تسجل في المخ وتترجم إلى معنى مرعب تؤدي إلى التأثير على مناطق بالمخ مختصة بمواجهة هذه الأزمات الخطيرة .. وبسرعة متناهية ترسل أوامرها إلى النخاع الشوكي حيث توجد مراكز سفلية للمجموعة التعاطفية Sympathatic System فترسل الأوامر بسرعة البرق الخاطف إلى الأعصاب التعاطفية Sympathatic Nerves فتعمل الآتي :

١ – تتسع حدقة العين وتجحظ العين قليلاً « فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت » .

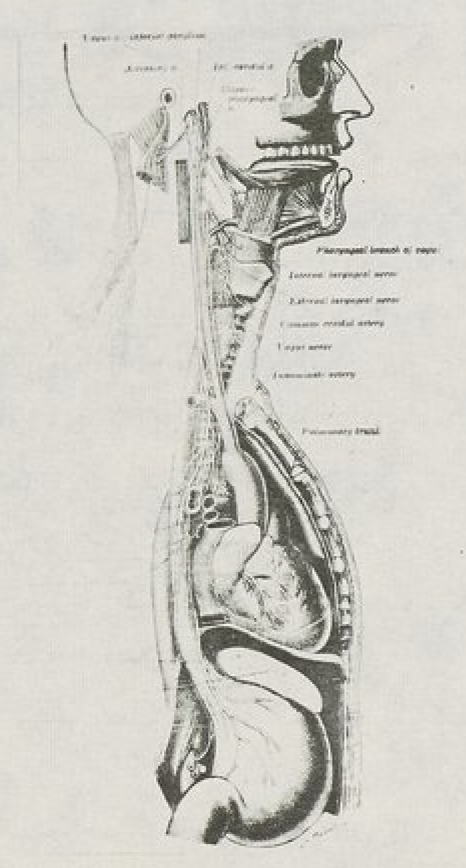
٢ – تزيد من سرعة نبضات القلب فيزداد وجيبه ويكاد ينخلع المرء هلعاً وضربات قلبه تدق صدره دقاً سريعاً قوياً ..

٣ – يزداد التنفس عمقاً لاخذ كمية كبيرة من الاوكسيجين وتتوسع الشعب الهوائية .

٤ – تزداد سرعة الدورة الدموية وتدفع بالدم من القلب إلى العضلات ويدفع الدم المخزون في الطحال والكبد.. بينما تنقبض الاوعية الدموية للاحشاء

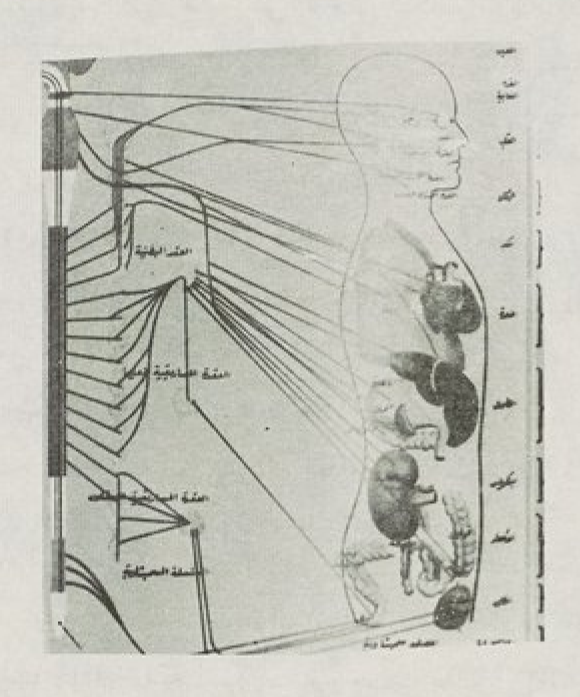
أي للجهاز الهضمي حتى تقلل من الدم الذاهب إليها فليس الوقت وقت أكل وهضم .. وإنما الوقت وقت عراك أو فرار .. وكل عضلة محتاجة الآن لمزيد من الدم ومزيد من الأوكسجين . فلا بد أن يوفر لها ذلك أولا ..

٥ – يزداد إفراز الاورينالين وهو مادة هامة لتحويل السكر المخزون بالكبد والعضلات وإطلاقه إلى سكر للوقود .. فالجسم محتاج الآن أشد الحاجة لهذا الوقود فهو مقبل على معركة طارئة ولا بد من توفير الغذاء والهواء والدم بأقصى سرعة ممكنة وعلى أعلى مستوى حتى يتمكن الجسم من الدفاع أو الفرار إذا لزم الأمر وباءت المعركة بالخسران .



صورة للعصب المخي التاسع والعاشر (العصب الحائر)

٦ – انقباض عضلات جذور الشعر فيقف الشعر .. ولا شك أن كل واحد منا قد رأى هذا المنظر بنفسه وربما جربه مراراً بذاته .. ألم تنظر إلى أمرىء غاضب ، أو مرعوب كيف تتسع حدقة عينه وتجحظ ؟ ثم كيف تحمر حدقته وتنتفخ أوداجه وتسرع نبضاته ويزداد وجيب قلبه ويرتفع ضغط دمــــه .. ويقف شعر جلده ويزداد إفراز العرق منه ويزداد تنفسه عمقاً .. حتى يلهث ؟



صورة للجهاز العصبي التعاطفي ونظير التعاطفي

لا شك ان كل واحد منا جرب بنفسه مراراً ورآه في غيره مرات .. ولكن غير الدارس لا يسأل نفسه عن هذه التغييرات ولا يعبأ بها .. وكم من آيات بينات تمر بين أيدينا وأمام أعيننا ونحن عنها غافلون ؟ وسبحان الله القدير البديع الصنع الحكيم الخبير العليم الذي أحسن كل شيء خلقه .. فقد هيأ للانسان بل

وللحيوان جهازاً عجيباً يعمل بسرعة فائقة رهيبة عند اشتداد الخوف أو عند اليأس..
فإذا ما التقى سبع بغزال فان الأول يستعد للأكل والقتل بينما يستعد الثاني للفرار وكلاهما مقدر بالجهاز العاطفي الذي أوجزنا شيئاً يسيراً من وصفه . ولا بد لهذا وذاك من ازدياد الدورة الدموية إلى العضلات وازدياد وجيب القلب وخفقاته . كما أن كليهما محتاج ليوسع حدقة عينه : الأول ليرى الفريسة ، والثاني ليرى السبيل إلى الفرار من براثن الوحش الكاسر . كما أن كليهما محتاج لزيادة الاوكسيجين فيزداد التنفس عمقاً وتزداد الدورة الدموية حتى تحمل الاوكسيجين إلى العضلات..والاوكسيجين مادة الاشتعال الأولى فتشكل السكر الموجود وتحرقه وتحوله إلى طاقة دافقة : هذه للبطش وتلك للركض والفرار..
وكلاهما محتاج لان يدفع بالسكر من مخازنه في الكبد والعضلات وان تدفع بمادة الادرينالين من الغدة الكظرية حتى يدفع بالسكر المخزون إلى العضلات جاهزاً لأن يشعل ويحرق ويتحول الى طاقة بواسطة الاوكسيجين عبر عمليات كياوية معقدة أشد التعقيد .. حتى لا تتحول إلى نار محرقة للجسم .. وانما تأتي عبر أربعين عملية كياوية متتابعة تعطينا الطاقة على هيئة مادة الـ A. T. P.
(ثالث فوسفات الادينوزين) المعقولة بعقال شديد الايد والقوة .

والآن لننظر وقد انتهت حالة الخوف أو القتال وإذا النبض يبطيء وإذا دقات القلب تخفت وإذا الحدقة المبهورة المفتوحة تضيق وإذا الجفن العلوي ينخفض وينكسر بدلاً من ذلك الجحوظ وإذا التنفس يقل في عمقه ويصبح التنفس سطحياً أو يكاد وإذا الدم في العضلات يقل بينما يزداد الدم الذاهب إلى الاحشاء فقد فاز الاسد بفريسته وها هو الوقت يحين للأكل فلا بد من إفراز اللعاب وزيادة إفراز المعدة والمواد الهاضمة الأخرى من الأمعاء والبنكرياس والكبد وحويصلة الصفراء .. وها هي المعدة والمريء والأمعاء تنقبض لتهضم

الطعام فهي في شغل شاغل حركة دائرية وحركة طوليـــة وحركة دودية .. حركات ثلاث في آن واحد والكل يذهب ويجيء ويفتت ويهضم .. ثم ها هو الأكل وقـــد انتهى فقد آن الأوان لاخراج الفضلات وافراز البول فتتخى العضلات الحارسة القابضة Sphincters بالمثانة والشرج وتسمح لتلك الفضلات بالخروج .. ولم تكن لتسمح بذلك في وقت الصراع ووقت القتـــال أو وقت الفرار .. ترى من علم هذا الحيوان أن يفعل ذلك ؟ ومن أنبأه ان الوقت ليس مهيأ أثناء القتال ليحول الدم إلى الاحشاء .. ومن أنبأه ان الوقت لم يحن بعد لارخاء العضلات القابضة العاصرة في أسفل المثانة والشرج ؟ لم يخبره أحد سوى فطرة الله التي فطر الكون عليها .. إذا جاء الخوف أو البأس أو الغضب فهو وقت الجهاز التعاطفي Sympathatic يصدر أوامره للاستعداد للقتال أو الفرار Fight - Flight فإذا ذهب الخوف جاء وقت الاسترخاء والاكل والنوم والمجامعة والتناسل بل ولبعض الناس لكثرة الكلام : « فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير » أما إذا جاء الخوف فهي العيون التي تدور في محاجرها : « فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت » .

وهكذا الانسان يتعاوره هذان الجهازان التعاطفي (السمبثاوي) للقتال أو الفرار والنظير التعاطفي Parasympathatic للأكل والنوم والاخراج والتناسل.

ولنتحدث الآن عن المجموعة المركزية من الجهاز العصبي Central Nervous System فنتحدث عن أعجوبة الأعاجيب : المخ الانساني .. ثم بعد ذلك بايجاز عـــن النخاع الشوكي .. وصدق الله العظيم : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

الجهاز العصبي المركزي Central Nervous System :

تحدثنا عن الجهاز العصبي اجمالاً وعن الجهاز العصبي الطرفي Peripheral Nervous System ببعض التفاصيل . والآن لنأخذ فكرة سريعة عن الجهاز العصبي المركزي .

ينقسم الجهاز العصبي المركزي إلى قسمين :

١ – المخ Brain

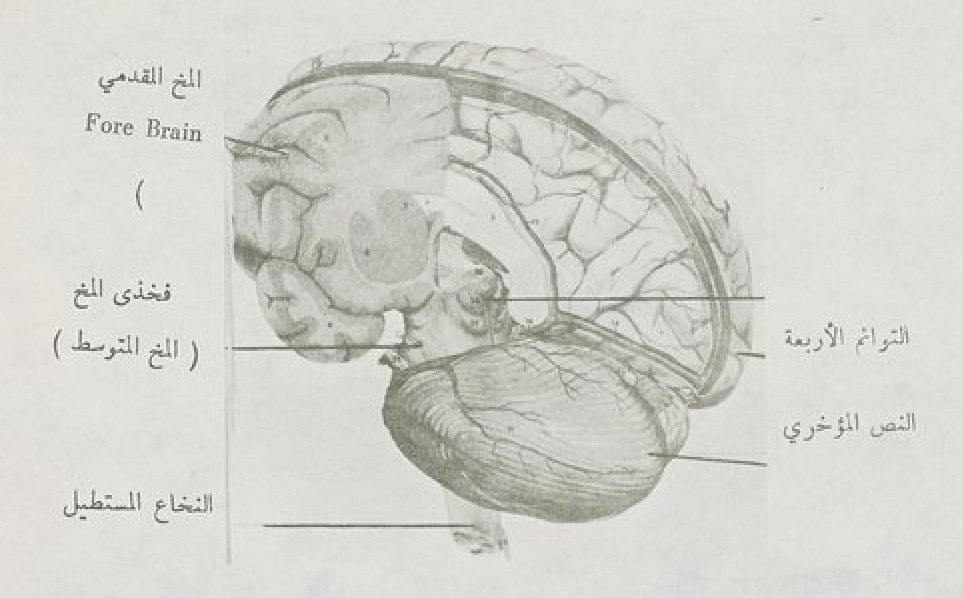
٢ – النخاع الشوكي Spinal Cord

ويقع المخ في الجمجمة بينما يقع النخاع الشوكي في القناة الفقرية Vertebral Canal أو ما يعرف أحياناً بالقناة الشوكية Spinal Canal ويعتبر الثقب المؤخري العظيم في أسفل الجمجمة الحد الفاصل بينهما .

المـــخ : Brain

وهو أثمن ما وهب الله للانسان ولذا فحراسته شديدة بعظام الجمجمة البالغ تعدادها اثنين وعشرين عظماً وبالام الجافة ، فالام العنكبوتية فالام الحنون . وبين الام العنكبوتية والام الحنون يجري ذلك السائل الشفاف المسمى السائل المخ – شوكي Cerebro Spinal Fluid الذي تفرزه الاوعية الدموية بجدار بطينات المخ ventricles of the Brain والذي يكون كالفراش الوثير للمخ والنخاع الشوكي لوقايتهما من شر الصدمات والهزات التي تصيب الجسم الانساني في حياتـــه اليومية .

ووزن المخ ثلاثة أرطال في المتوسط (كيلو وربع أو أكثر قليلاً) وينقسم المخ إل ثلاثة أقسام :



صورة لأجزاء المخ

١ – المخ المقدمي Fore Brain

ويشمل فصي المخ Cerebralic Hemi

٢ – المخ المتوسط Mid Brain

ويشمل فخذي المخ والأربعة الأجسام التوأمية .

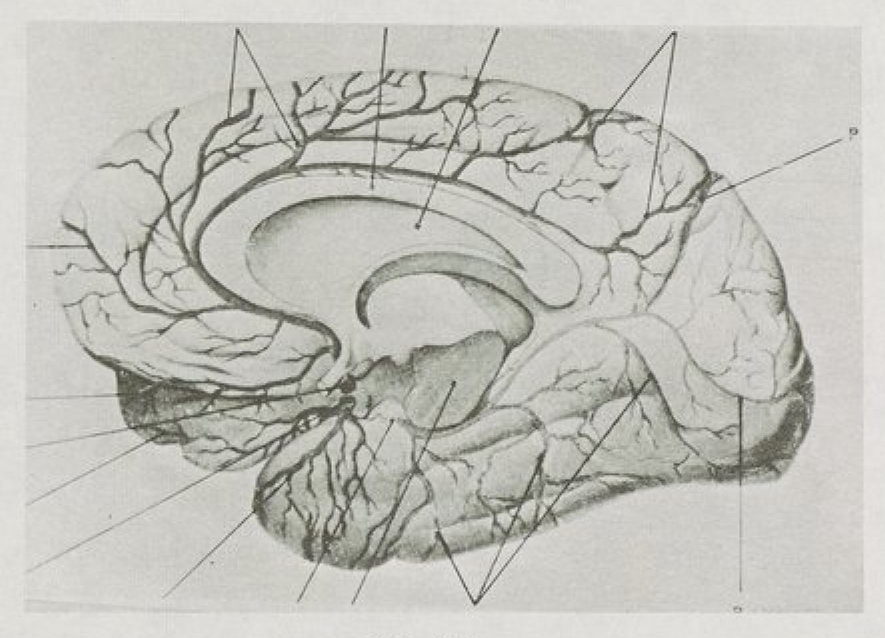
٣ – المخ المؤخري Hind Brain

ويشمل قنطرة فاروق Pons والنخاع المستطيل Medylla Obloncata والمخيخ Cerebellum

ويتركب المخ من طبقـة رمادية سنجابية تسمى القشرة Cortex وتشمل ملايين الخلايا العصبية مع شجيراتها ووحدات نسيجها العصي . وطبقة داخليه

(٥)

بيضاء تسمى النخاع Medulla وتحتوي على بلايين الألياف العصبية، فمنها الأعصاب التي تنقل الأحاسيس المختلفة من خارج الجسم : من سمع وبصر وشم ولمس وذوق .. وحرارة وبرودة وألم .. ومنها ما يحمل الأوامر من المخ إلى النخاع



صورة لاجزاء المخ

الشوكي ومنه إلى العضلات للانقباض أو الانبساط ومنها ما يحمل الاشارات المخية إلى الجهاز اللاارادي (الذاتي) ومنها ما يحمل الاشارات من منطقة المخ إلى منطقة أخرى حتى يتم الربط والتنسيق في هذه الأعمال التي لا تتوقف ومنها ما يحمل المعلومات ومنها ما يحمل الأوامر إلى مناطق اليقظة أو مناطق النوم .. ويتخلل هذه المجامع الهائلة من الأعصاب مجموعات من الخلايا العصبية المعروفة « بالأنواء » وتختص خلايا كل نواة باستقبال اشارات خاصة بها تأتيها من مناطق خاصة أو بارسال إجابات وتنبيهات معينة إلى مراكز اختصاصها كما تتصل بالأنواء الأخرى .

وكل ذلك لسهولة الاتصالات وتنظيم التعاون وتوثيق عرى الائتلاف بين الأنواء والمراكز المختلفة بالمخ التي تتطلب حركاتها وتنبيهاتها تعاوناً وائتلافاً مشتركاً للقيام بالحاجات الضرورية للحياة .

المخ المقدمي Fore Brain

ويشمل فصي المخ Cerebral Hemispheres وبكل فص مراكز هامة عديدة . وهو مهد الفطنة والذكاء والعبقرية في الانسان الذي يمتاز بواسطته على باقي المخلوقات .. وهو المسيطر والمهيمن على الجسم الانساني بأكمله .. فهو المسيطر على الجهاز الارادي والعضلات الارادية كما ترفع إليه جميع الاحاسيس من سمع وبصر .. من ذوق وشم .. ومن لمس وإليه تنتهي جميع الأعصاب التي تحمل الأحاسيس من أخمص القدم إلى قمة الرأس .. وهو الذي يسيطر على الجهاز اللاارادي وبه مراكز السمع والبصر والنطق والكلام والكتابة .. بل به مراكز اليقظة والنوم ... وبتقدم الطب أصبحت هذه المراكز معلومة معروفة .. فإذا أصيبت هذه المنطقة بمرض أو حادث نتج عنها خلل في تلك الوظيفة فلو أصيبت منطقة الابصار التي تقع في مؤخرة المخ مثلاً نتج عن ذلك العمى مع أن العينين وأعصابها سليمة .. كذلك لو اصيبت منطقة الكلام وهي تقع عادة في الجهة الصدغية الأمامية من الفص الأيسر للمخ .. نتج عن ذلك فقدان القدرة على النطق حتى تبرأ تلك المنطقة من علتها . وكذلك لو أصيبت المنطقة المحركة لعضلات الجسم في ناحية ما لنتج عنها شلل نصفي تام للجهة المقابلة . إذ أن الفص الأيسر من المخ يسيطر على النصف الايمن من الجسم والفص الايمن من المخ يسيطر على النصف الايسر من الجسم .. وهكذا يفقد المرء احياناً القدرة على القراءة رغم أنه يستطيع رؤية الأشياء بل والحروف ولكنه لا يستطيع أن يفقه معنى الحروف بل لربما استطاع الكتابة دون أن يستطيع القراءة . وهـذا

أغرب .. ولكن إذا عرفنـــا أن منطقة القراءة غير منطقة الكتابة وأنه من الممكن أن تصاب احداهما فقط دون إصابة الأخرى لزال العجب .

ويوجد في نسيج فصي المخ « أنواء » كثيرة .. وكل نواة تحتوي على ملايين الخلايا العصبية . وتختص كل نواة منها بالسيطرة على مجموعة من أنسجة الجسم .. فالمهاد البصري Optic Thalamus مثلاً مركز هام لتلقي أحاسيس الجسم قبل أن يرفعها إلى قشرة المخ والنويات القاعدية مركزة لتنظيم وتنسيق نغمات العضلات فلا تنقبض حتى لا يمكن بسطهـا كما يحصل في مرض «بار كنسون» Parkinsonism أو الرعشة المستمرة كما في مرض الشلل الرعاش .

ويربط فصي المخ بعضها ببعض جملة ألياف مستعرضة أهمها الجسم المندمل. Corpus Callosum

المخ المتوسط Mid Brain :

ويشمل المخ المتوسط (١) فخذي المخ Crus Cerebri وهو مجموعة الألياف الصاعدة إلى المخ من القنطرة والمخيخ . والهابطة من المـخ إلى القنطرة والنخاع المستطيل والمخيخ . وبه نويات هامة منها أنواء العصب المخي الثالث والعصب المخي الرابـع ، كما بها النواة الحمراء .Red N والنواة السوداء Substantianigra .

وكلاهما مسؤول عن نغمات العضلات بالجسم وتناسقها كما أنهما مسؤولان عن توازن أجزاء الجسم فيما بين عضلاته وانسجته .. وفيما بين الجسم والمكان الذي هو فيه كما يشمل المخ المتوسط (٢) الأجسام التوأمية الأربعة .. فأما الجسمان العلويان فخاصان بمركزين ثانويين للابصار . وأما الجسمان السفليان فخاصان بمركزين ثانويين للسمع .

المخ المؤخري : Hind Brain

ويتكون من :

١ — القنطرة .

٢ — النخاع المستطيل .

٣ — المخيخ .

والقنطرة كما يدل اسمها معبر للألياف العصبية من المخ المتوسط إلى النخاع المستطيل والمخيخ وبها مجموعة من الأنواء التي يخرج منها الأعصاب المخية الخامس والسادس والسابع والثامن ..

وبها ألياف هامـــة تربط نصفي القنطرة .. كما أن بها مركزاً إذا أصيب ارتفعت حرارة الجسم إلى درجة عالية كما يصاب المرء بالاغماء وتكون عندئذ حدقة العين ضيقة .

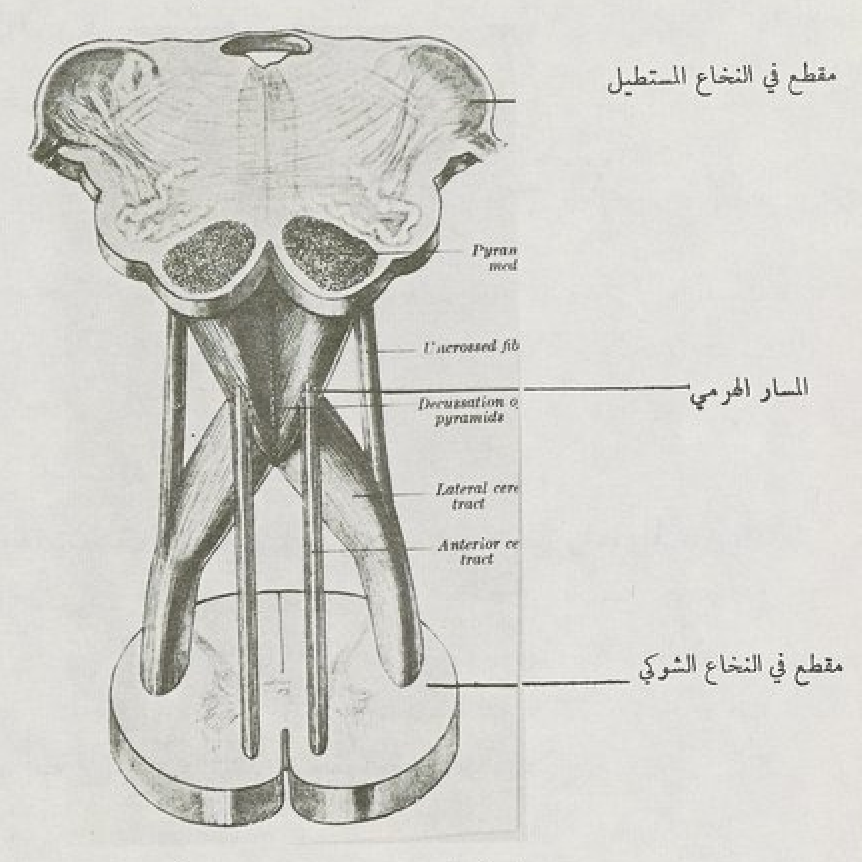
النخاع المستطيل :

هو حلقة الاتصال بين النخاع الشوكي من جهة والقنطرة وفصي المخيخ والمخ من جهة أخرى والنخاع المستطيل من أهم أجزاء المخ إذ به كثير من المراكز الحيوية كالتنفس والجهاز الدوري والقلب ومراكز للتبول والتبرز والولادة .. ولذا فانهذا النخاع يسيطر على مراكز الحياة.وبه مجموعة الأنواءالتي تخرج منها الأعصاب المخية : التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر .

المخيـخ :

ويتصل المخيخ بالنخاع المستطيل والقنطرة والمخ المتوسط وبواسطتها يتصل بالمخ والنخـــاع الشوكي .. وينحصر عمل المخيخ في : السيطرة على العضلات فيجعلها تحتفظ بنغمتها Tone of the Muscles أي تقلصها العادي الضروري كما يحفظ الاتزان عنـــد الوقوف والمشي . فإذا اضطرب اتزان مقلة العين حصلت

الرأراة Nystagmus وإذا اضطرب إتزان عضلات المشي حصل التخلج Ataxia كما يقوم المخيخ باشعار الاسنان بمواضع جسمه المختلفة ومواضع أجزائه منه .. ولولاه لما انتظمت حركات الكلام ولأصبح الكلام على نغمة ووتيرة واحدة أو لأصبح الكلام متقطعاً ولأصبنا بصعوبة الكلام .



مقطع في النخاع المستطيل والنخاع الشوكي والمسار الهرمي بينهما الذي ينقل أوامر الحركة من المخ الى النخاع الشوكي

الخمر والجهاز العصبي

أن أهم جهاز يقع تحت تأثيرات الخمر الضارة هو الجهاز العصبي والخمر تنتشر في الدم ومنه إلى كل الأنسجـــة ، ولكن لها تأثير خاص على الجهاز العصبي المكون من مواد دهنية بروتينية ودهنية فوريـة إذ للكحول خاصية الاتحاد مع المواد الدهنية بل إذابتها .

وتأثير الكحول على خلايا الجهاز العصبي هو تخديري وتثبيطي كما أسلفنا القول من قبل . وأول ما تتأثر هي خلايا القشرة من المخ أي الخلايا المسؤولة عن التفكير والارادة والحكمة والعلم .

والكحول من المواد التي تسبب الادمان . ونقصد بالادمان التعود النفسي والجسدي على عقار معين بحيث يؤدي سحب هذا العقار إلى ضرر نفسي وجسماني كما أن مفعول المادة المسببة للادمان يقل مع الزمن مما يؤدي بالمتعاطي إلى زيادة الكمية المتناولة باضطراد حتى يحصل على نفس الأثر الذي كان يحصل عليـه . فمدمن الخمر يضطر إلى تعاطي كميات أكبر فالكأس تصبح كأسين وثلاثة ، كما يضطر المدمن إلى تناول الكحول في فترات زمنية متقاربـــة فهو يضطر إلى الصبوح وهو أن يشرب الخمر مبكراً في الصباح ثم يضطر إلى تناول كمية أخرى أثناء العمل ، ويسارع بعد الغداء إلى جرعة أو كأس كما أنه لا يطيق عنهـــا

صبراً في المساء وهو الغبوق .. وتزداد الكمية تباعاً حتى لتحدث له نوبة سحبها أثناء نومه فيضطر إلى القيام من نومه كأساً أو كأسين .

وقد ارتفعت نسبة الادمان في الولايات المتحدة وأوربا ارتفاعاً شديداً في في العشر سنوات الماضية ففي الولايات المتحدة ارتفع عدد المدمنين من أربعة ملايين مدمن في أوائل الستينات إلى عشرة ملايين مدمن في أوائل السبعينات – أنظر المرجع الطبي لسيسل ولوب طبعة ١٩٧٢ .

Cecil and Loeb
(Text Book of Medicine 1972)

أما في بريطانيا فقد ارتفع عدد المدمنين من نصف مليون في أوائل الستينات إلى مليون في أوائل السبعينات .. كما ترتفع النسبة في أقطار أوربا إلى ٨ في المائة من مجموع السكان وهي نسبة مرتفعة جداً فإذا كان مجموع السكان مائة مليون مثلاً فان هناك ثمانية ملايين مدمن خمر .. لا يطيق البعد عنها ولا يملك لنفسه أمراً ولا نهياً . وهو منقاد بقوى خفية تدفعه دفعاً إلى الشراب بشراهة دون أن يستطيع أن يكبح جماح نفسه ولو أدى به ذلك إلى الهلاك . وأمريكا وأوربا منزعجة أشد الانزعاج لارتفاع نسبة الادمان عاماً بعد عام .

كما أن المقبلين على الادمان على أكثر من عقار يزدادون باضطراد .. فمدمن الخمر يمكن أن يكون مدمناً على الافيون والحشيش أو على عقار الهلوسة L. S. D.

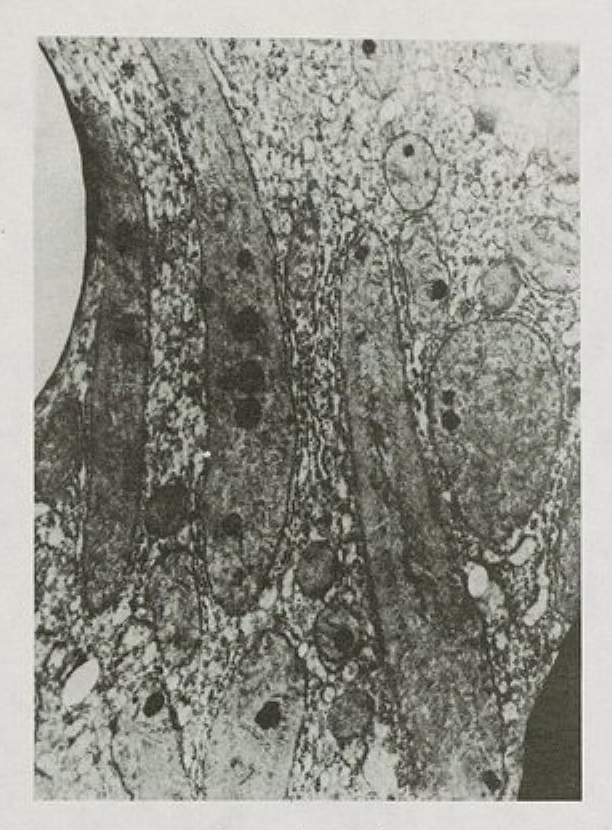
وخلاصة الأمر أن موجة الادمان تزداد يوماً بعد يوم ويصحبها في نفس الوقت ارتفاع مفاجيء – للأمراض التناسلية . فالسيلان Gonorrhea وصل الآن إلى أرقام خيالية وقد أصبح علاجه عسيراً بعد ان كان من أسهل الأمراض علاجاً . وذلك لتخلق بكتريا مضادة للمضادات الحيوية المعروفة . كما أن

الزهري ابتدأ في الظهور مرة أخرى بعد أن كاد يندثر منذ ثلاثين عاماً .

ولنا عودة إلى الحديث عن الادمان وأسبابه وكيفية علاجه .. وانما ذكرناه هنا .. لارتباطه بالجهاز العصبي وبالمخ على وجه الخصوص . فالادمان لا يحصل إلا نتيجة الخمر على الجهاز العصبي وتأثيرها على مكونات الخلية العصبية : ابتداء من النواةالتي هي مركز الخلية وانتهاء بالجسيمات الصغيرة الموجودة في بروتوبلازم — جبلة — الخلية .. ومنها الجسيم المدعو Lysosome أي الجسم المذيب وهو جسيم صغير جداً لا يبلغ الميكرون [والميكرون واحـــد على ألف من المليمتر أي واحد على مليون من الميتر] . ووظيفته طرد المواد الغريبة وكنسها . ومنهـا الميتوكوندريا Mitochondria وهي جسيم صغير جداً ومسؤول عن تنفس الخلية وتحول السكر (الجلوكوز) إلى طاقة وماء عبر أربعين عملية كيماوية معقـدة أشد التعقيد .. والميتكوندريا تقـاس بجزء من الميكرون ومنها الريبوزوم Ribosome وهو جسيم صغير ووظيفته هي صنع البروتينات الضرورية لاستمرار بقاء الخلية .



صورة لميتوكوندريا سليمة (قارنها بالصورة التي بجانبها)

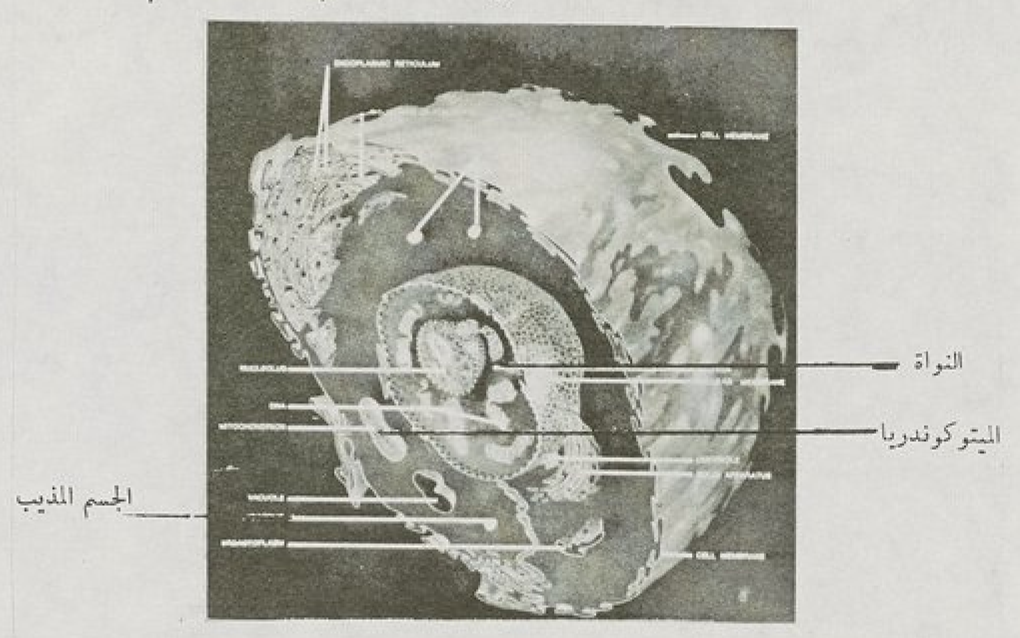


ميتوكوندريا مدمن خمر

صورة ميتوكوندريا من خليــة انسان أو من الخمر وبها يظهر أن الميتوكوندريا فقدت كثيراً من خصائصها وظهرت بهــا علامات المرض المؤدي الى هلاكها (الصورة مكبرة خمسة عشر الف مرة بالجهر الالكتروني)

والخمر يؤثر على النواة وعلى هذه الجسيمات الهامة .. فهي مثلاً تؤثر وتشاهد – تغييرات مرضيــة في النواة وفي الميتوكوندريا وفي الرميوزوم وفي الجسيم المذيب – لايزوزوم – نتيجة شرب الخمور .. وهذه التغييرات أمكن مشاهدتها

بواسطة المجهر الاليكتروني .. ولم يكن قبل ذلك متيسراً لتناهيها في الصغر – أنظر صورة الخليـــة التوضيحية وصورة انفجار الجسم المذيب ثم أنظر صورة ميتوكوندريا أصيبت نتيجـــة شرب الخمر – وإذا أمعنا النظر في تأثيرات الكحول – الخمور – على الجهاز العصبي وجدناها تنقسم إلى ثلاثة أقسام :



صورة توضيحية لخلية سليمة

* القسم الأول :

ناتج عن آثار الكحول السمية المباشرة على الجهاز العصبي Direct Toxic Effect وتسبب ضموراً وحرضاً لخلايا المخ والقنطرة والمخيخ والعضلات .

* القسم الثاني :

وهذه تنتج عن التعود والادمان على الكحول وتسبب الهذيان الارتعاشي



صورة توضيحية لانفجار الجسم المذيب (لايزوزم)

Delerium Tremons والصرع Convulsions والهلوسة Hallucinations .

* القسم الثالث :

وتنتج هذه الأمراض نتيجة نقص مجموعة فيتامين ب المركب وهي فيتامين ب — الثيامين (Thiamine) و ب ٦ — البيرودوكسين (Pyridoxine) والنياسين Niacin .

وهذا النقص ناتج عن شرب الخمور التي تؤدي إلى سوء التغذية المصاحبة للادمان وذلك لالتهاب جدار المعدة والأمعاء مع تكرر القيء وفقدان الشهية

وسوء الامتصاص من الامعاء كما أن – مدمن الخمر لا يهتم بشراء الطعام الجيد لانشغاله بشرب الخمور وأحياناً كثيرة لفقده عمله ومصدر دخله نتيجة شربها . وكذلك فان الكحول مادة ذات سعر حراري عالي وتتطلب لاكسدتها فيتامين ب بكميات كبيرة .

والآن لنأخذ في شيء من التفصيل ونبدأ بالقسم الأول وهو ناتج عن الآثار السمية المباشرة للكحول على المخ .

١ – ضمور الخلايا : Cortical Atrophy

نجد أن خلايا القشرة من المخ Cortex التي تتحكم في التفكير والارادة ضامرة ومتآكلة .. ولعل كثيراً من آثار الكحول على الجهاز العصبي من هذا الخلل العضوي .

وتبدأ التغيرات في شخصية المدمن وأخلاقه فيصبح المدمن مهملاً أنانياً سريع الغضب متقلب المزاج . ويهمل عمله وأهله ونفسه وقد يمكث أياماً دون أن يأكل كما تبقى هيئته رثة ومزرية .

وتتراوح حالته النفسية من الفرح إلى الهياج إلى البكاء دون أي سبب ظاهر فتراه تارة يقهقه فتظنه سعيداً ولاتفه كلمة يثور ويخور ويقلب الحانه على أم رأسها .. وفجأة يبكي ويعتذر .. وتصبح حياته الزوجية جحيماً لا يطاق فهو مهمل لبيته وزوجته وأطفاله .. وهو سريع الغضب يثور لاتفه سبب .. ويحطم كل شيء أمامه .. ويهين زوجته وأطفاله ويضربهم وتتولد لديه الاعتقادات الزائفة Delusions .. وتزداد حالة الشك والريبة في كل من حوله حتى تصل إلى حالة البارنويا Paranoia وخاصة فيما يتعلق بزوجته وأصدقائه ويتهم زوجته وأقاربه بارتكاب الفاحشة .. ويفقد قدرته الجنسية تماماً رغم ما يبذله من تهتك في هذا السبيل فهو يسهر في النوادي الليلية .. ويتظاهر بالقدرة

الجنسية رغم فقده لها .. ويدخل في أطوار من الشذوذ الجنسي والسلوكي ..

وتتفكك نتيجة لذلك الأسرة ويمقتــه أطفاله بل ويمتلئون بالرعب من وجوده . وقد وصفت حالات كثيرة يختبىء فيها الأطفال عند سماعهم وقــع أقدام أبيهم أو عند سماعهم صوته . لأنهم يجدون بالتجربة أن تلك هي أنجح وسيلة لتجنب ضربه وشتمه .

ولا تلبث عرى الأسرة أن تتفكك مهما حرصت الزوجــة والأهل على إبقائها. فاما أن يطلقها زوجها أو أن تهرب هي من هذا الجحيم الذي لا يطاق..

وقد عرفت حالات كثيرة حيث يصرخ الزوج يومياً بأعلى صوته مطلقــاً لزوجته بالثلاث . ومع هذا قد تستمر العشرة بينهما لفترة تطول وتقصر ومــا ندري على أي أساس تستمر .

ويصاب المدمن بنوبات من الرعب والكــآبة الشديدة والقلق وهي الحالة المعروفة باسم المناخوليا (السوداوية) Melancholy كما تكثر في المدمنين حالات الفصام الشخصي (الشيزوفرنيا) وهو مرض نفسي خطير يتلقى المريض فيه أوامر وهمية ويدور عراك وصراع في دماغه باستمرار ويضطر لتنفيذ هــذه الأوامر مهما كانت سخيفة وغريبة لأنه لا يملك لها دفعاً .. كما يشعر أن عقلــه وتفكيره بل وجسده واقع تحت تأثير قوى خارجية غريبة تفرض على تفكيره وعلى سمعه وبصره وجسده ما تريد . ويتفكك بذلك رباط الشخصية من المعرفة إلى الارادة إلى العاطفة .

وفي هذا المرض بالذات قد تكون معلومات الشخص عن الأشياء طبيعية ولكن شخصيته محطمة تماماً والارتباط بين المعرفة والعاطفة والارادة مفكك نهائيــاً .

وكثيراً ما تنتهي هذه الحالات بالانتحار .

وليس من شك ان هناك حالات من الفصام (الشزوفرنيا) دون أن يكون لها علاقة بإدمان الخمور . ولكن الثابت الآن في الدوائر الطبية أن نسبة الاصابة بين المدمنين هي أعلى بكثير من نسبتها بين غير المدمنين وهذا وحده دليل كاف على أن هناك علاقة ما بين ادمان الخمور وبين الشزوفرنيا .

وتكثر حالات الهلوسة الحادة عند المدمنين . وتشمل رؤية الأشباح وسماع أصوات موهومة وشم روائح غريبة لا وجود لها مطلقاً . بل ويحس المريض ويجزم أن هناك حشرات تجري تحت جـــلده .. كما تتأثر قدرة المريض على اللمس .

وباختصار فإن الاحساسات كلها تتأثر السمع والبصر والشم والطعم واللمس . ومعظم هذه الأشباح تكون من النوع المرعب .. فتبدو له على هيئـــة أفاعي وعناكب وعقارب وسباع .

ويصاب مدمنو الخمر بارتعاش واختلاج في العضلات وخاصة عضلات اليدين واللسان والوجه وتكون هذه الارتعاشات لا ارادية وفجه . وهي ناتجـة عن اصابة للنويات القاعدية Basal Ganglia الغائرة في المخ تحت القشرة والمسؤولة عن تنظيم حركات العضلات ونغماتها . فـــإذا ما أصيبت هذه النويات أصيب المرء بنوع من الشلل الرعاش .

وكثيراً ما يصاب المدمن بحالة تعرف بجنون الشراب Dipsomania وفي هذه الحالة يفقد الشخص جميع قدراته على التحكم في نفسه ويجد نفسه مدفوعاً بقوى قاهرة تدفعه دفعاً إلى المزيد من الشراب وكلما زاد في الشرب زاد السعير الذي

يتأجج في داخله حتى يفقد الوعي ويدخل في غيبوبة عميقة قد يفيق منها وقد لا يفيق .

وتصل حالة كثير من المدمنين إلى مرحلة الجنون — الكحولي :

Alcoholic Psychosis and Dementia

وفي هذه الحالة يفقد المدمن قدراته العقلية تماماً كما يفقد ذاكرته ويصاحب ذلك هيـــاج شديد مع وجود الاعتقادات الباطلة Delusions ويصحب ذلك حالات هلوسة حادة .

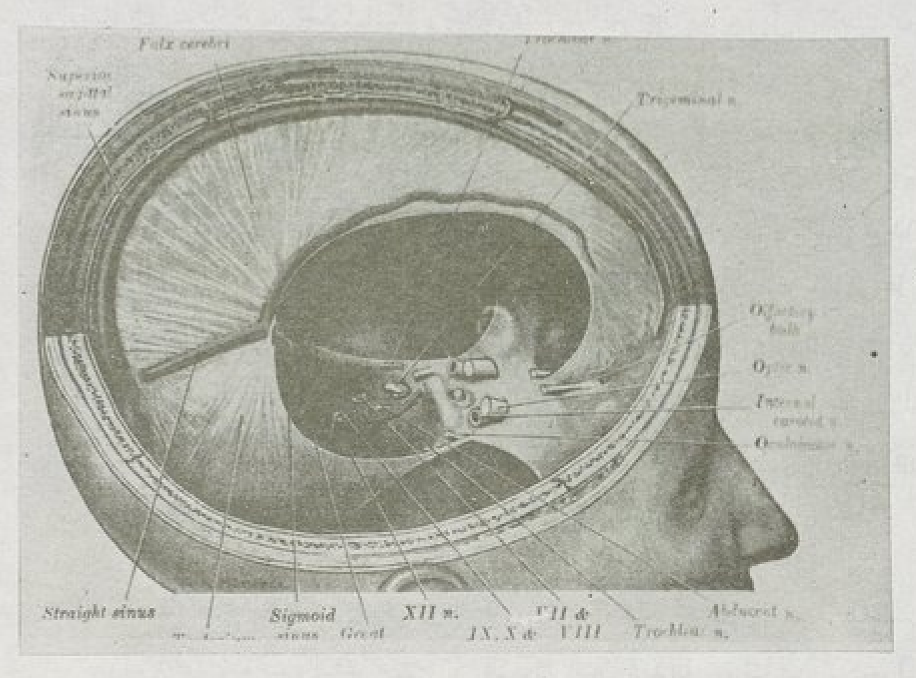
ويكون المريض في هذه الحالة أشبه ما يكون بحالة السكران الذي وصل إلى مرحلة السكر البـين وجاوزها إلى مرحلة السكر الطافح . ولكن الفرق بينهما ان حالة السكران مؤقتة يفيق بعدها بينما حالة المريض بالجنون الكحولي حالة دائمة .. وقد تستمر حتى لو توقف عن شرب الخمر .

فنجد أن تصرفات المريض شاذة جداً فهو مثلاً يتبول في وسط شارع عام أو يخلع ثيابه، ويتعرى تماماً في وسط الزحام .. ويفقد قدراته العقلية بالتدريج فهو لا يميز بين الأشياء المعنوية أولاً ثم يفقد قدرته على التمييز بين الاشياء الحسية والمادية حتى يفقد قدرته على معرفه الأيام . بل وقدرته على معرفة المكان فتسأله أين أنت فـــلا يدري وتسأله في أي يوم أنت فلا يدري . كما يفقد قدرته على الحساب حتى ولو كان قبل ذلك يعمل في المحاسبة وتكون عمليـــات الطرح والجمـــع الحسابية البسيطة من أعقد العمليات وأعسرها لديه .. وتثير غضبه وهياجه .

ويفقد ذاكرته للحوادث الطريفة منها والتالدة على خـــلاف مرض آخر يدعى عصاب كورساكوف يصيب المدمنين أيضاً وفيه — أي أعصاب كورساكوف

يفقد المريض ذاكرتـــه للحوادث القريبة العهد بينما تكون ذاكرته للحوادث القديمة سليمة .. فهو قد يذكر بالدقة والتفصيل أموراً حدثت منـــذ أعوام طويلة .. ولا يذكر ما حدث في صبيحة يومه ذاك .. وتبقى لديه قدرة على التلفيق مما يبدو في صورة منطقية .. فهو قد يخبرك بأنه ذهب إلى السوق في صبيحة يومه ذاك وقابل فلاناً واشترى كذا وفعل ذاك بينما هو مشلول لا يستطيع حراكاً .. ومع هذا لا يدرك أنه يكذب .

أما في حالة الجنون الكحولي فيفقد قدرته على صياغـــة الأمور بصورة منطقية البتة .. كما أنه يفقد ذاكرته للحوادث القديمة والقريبة العهد على السواء . وخلاصة الأمر ينتهي إلى حالة الجنون الكامل .



صورة للجمجمة والأعصاب المخية خارجة منها

(٦)

ب – ضمور خلايا المخيخ Alcohocle Cerebellar Degeneration

تصاب خلايا المخيخ بالضمور والتآكل والفساد . ومن المعلوم أن المخيخ هو الذي يتحكم مع العصب الدهليزي Vestibular Nerve في قـــدرة الشخص على الوقوف دون أن يتأرجح وقدرته على المشي دون أن يترنح وهما أيضاً مسؤولان عن قدرة الشخص على الثبات أثناء الحركة والالتفات فلا يقع إلى الأرض أثناء هذه الحركات . وذلك بواسطة مسارات عصبية عجيبة صاعـــدة من العضلات إلى النخاع الشوكي فالنخاع المستطيل فالمخيخ .. وهابطة من المخيخ إلى النخاع المستطيل فالنخاع الشوكي . مع اتصالات وتنظيمات وايقاعات متبادلة بينهـــا وبين النويات القاعدية. .النواة السوداء والنواة الحمراء في المخ المتوسط Mid Brain واتصالات مكثفة مع خلايا المهاد وخلايا قشرة المخ عبر ملايين بل بلايـــين الاعصاب الهابطة والنازلة .. والذاهبة والآتية فسبحان من أتقن وابدع واحكم الصنع وجعله آية الآيات .. وفي أنفسكم أفلا تبصرون :

ونتيجة لشرب الخمر تصاب خلايا المخيخ بالضمور والتآكل .. وتنتهي بموتها وحرضها. .ونتيجة لذلك يفقد المريض قدرته على الوقوف دون أن يتأرجح أو على المشي دون أن يترنح. وهو ما يطلق عليه اسم التخلج المخيخي Ceebellar Ataxia كما تصاب مقلة العين بالرأراة Nystagmus وهي الاهتزاز السريع لمقلة العين عنـــد النظر يمنة ويسرة أو إلى أعلى أو أسفل كما يصاب الكلام بالتلعثم SIurred speech ويكون الكلام مبهما Dysartheria أو متقطعا Staccato Speech .

ونلاحظ هذه الحالات جميعها في السكر البين وهذه تحدث نتيجة التسمم الكحولي الحاد . وقد وصفنا حـــالة السكر البين عندما تحدثنا عن الكحول والاقربازين – علم الأدوية . ولكننا هنا نشاهد شيئاً آخر .. فحالة السكران

حالة مؤقتة يفيق بعدها ويعود إلى حالته الطبيعية أما هنا فالحالة مزمنة ونتيجة إصابة دائمة بخلايا المخيخ فخلايا بير كيخي للمخيخ Purkingjee Cells متآكلة كما أن خلايا الفص المتوسط من المخيخ Vermis ضامرة ومتآكلة كما أن النواة الزيتونية Olivary Nucleus الموجودة في النخاع المستطيل وذات العلاقة الوثيقة بالمخيخ تصاب هي الأخرى بالضمور والتآكل .. وتنتهي بخرصها وهلاكها .

جـ – مرض مارشيافافا بيجنامي Marchia Fava-Bignami

وهو مرض نادر الحدوث وقد وصف لأول مرة في إيطاليا حيث يتعاطون النبيذ الأحمر الخام ويتميز هذا المرض بما يلي :

١ – اضطراب في العاطفة .

٢ – اضطراب في القدرات العقلية والمعلومات .

٣ – نوبات مختلفة من الهذيان .

٤ – نوبات الصرع .

٥ – تيبس في العضلات ثم شلل تام في الأطراف الأربعة أي العلويين والسفليين .

ويصاب معظم هؤلاء المرضى بالغيبوبة التامة خلال أشهر قلائل منذ بدء الأعراض ثم يتوفون دون ان يتمكن الطب من إنقاذهم .

وعند تشريح جثة المصاب نجد ضموراً وتآكلاً في الغلاف الدهني النخاعي Myeline Sheath وخاصة للجسم المدمل بالمخ Corpus Callosum مع وجود فجوات في صلبه . وهذه التغيرات المرضية – الباثوليجية لم توصف إلا في حالات الإصابة بالإدمان الكحولي . وتعتبر علامة تشريحية مميزة للتسمم الكحولي . كما تصاب المادة البيضاء White Matter لفصي المخ . وكذلك تحدث تغييرات مشابهة في

التصالب البصري Optic Chiasma وفي فخــــذ المخ المتوسط Central Pontine Myelinosis

د ـ انحلال نخاع القنطرة الوسطى : Central Pontine Myelinosis

وهذا مرض نادر الحدوث ولم يوصف في غير المدمنين .. وفيه ينحل نخاع القنطرة وهو مادة دهنية ويبدأ الانحـــلال من المركز في الوسط ثم ينتشر إلى الأطراف ويعاني المريض فيه من شلل بالنصف الأسفل من الجسم كما قد يعاني من شلل بالنصف الأعلى .. وقد يشمل الشلل الوجه واللسان وعضلات البلـــع فيفقد المريض قدرته على بلع السوائل والطعام كما يفقد قدرته على النطق .

هـ ـ النوبات الدماغية الكبدية :

وهذه نوبات هذيان وارتعاش وفقدان للوعي تصيب المرضى المصابين بتليف الكبد Liver Cirrhosis .

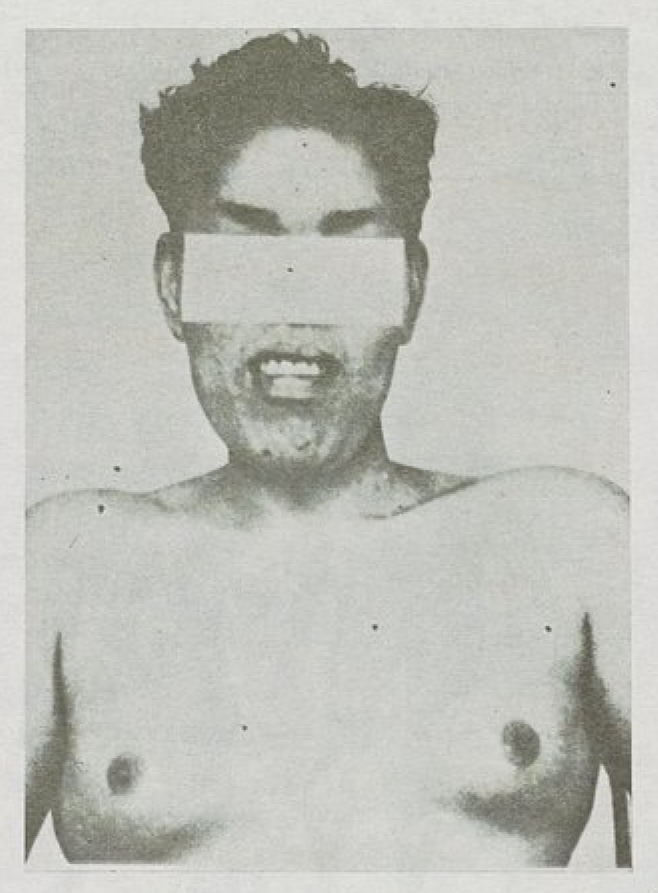
ولما كانت الخمور من أهم أسباب التليف الكبدي وخاصة في أوروبا وأمريكا فإن فشل الكبد النهائي في وظيفته يؤدي إلى هذه النوبات الخطيرة المميتة .

وقد تحدث هذه النوبات حتى بعد التوقف عن شرب الخمور لأنها متعلقـــة بتليف الكبد وليست متعلقة بتأثير الخمر المباشر على المخ .

وتنتج هذه النوبات الدماغية الكبدية بسبب ازدياد المواد السامـــة بالدم ومرورها بالمخ بعـــد أن فشلت الكبد في وظيفتها وهي إزالة هذه السموم من الجسم . ومن هذه السموم مادة النشادر كما تتهم مواد أخرى سامة في تسبيب هذه النوبات .

ويقل النشاط الكهربائي للمخ فتقل موجات المخ من ١٣ موجة عندالشخص

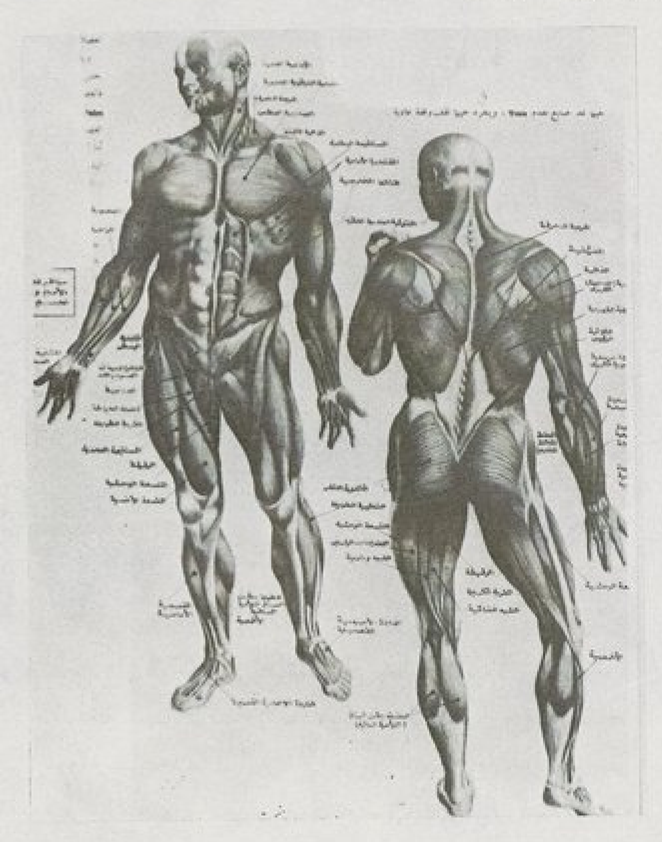
السوي إلى ثلاثة أو أربع عند المصاب بنوبات الكبد الدماغية وتكون هـذه الموجات البطيئة علامة مميزة لبدء النوبة .



أنظر إلى اثداء هذا الرجل وقد تضخمت حتى صارت تشبه أثداء عذراء ، وكل ذلك نتيجة تليف للكبد وإزدياد هرمونات الانوثة في الرجل نتيجة شرب الخمور وتظهر علامات الانوثة في الرجل فتضمر خصيته ويقل شعر العانة وشعر الشارب والذقن وتتضخم اثداؤه . وتقل رغبته الجنسية ويصاب بالعنّة . بينما يتوهم الجهلة أن في الخمر قوة للناحية الجنسية .

كما يصاب المريض بارتعاش فج في يديه وتكون هـذه الارتعاشات شبيهة

بحركة جناح الطائرة Flappy Tremors كما تكون الراحة محتقنة وتصاب أطراف الاصابع بالتضخم حتى تشبه رؤوس عصا غليظة Clubbing of Fingers ويكون الجلد مليئاً بالعناكب الدموية وهي عبارة عن تمدد الشعيرات الدموية الجلدية . كما تتضخم اثداءالرجل حتى ليشبه ثديه ثدي إمرأة Gynco Mastia (أنظرالصورة) وتضمر خصيته ويقل يشعر العانة وشعر الشارب والذقن أي تبـــدأ علامات الأنوثة في الرجل تظهر ، أما المرأة فيتوقف لديها الطمث Ammenorrhea وتفقد رغبتها في الجنس تماماً .



هذه العضلات البديعة التكوين
تصاب بالاعتلال نتيجة شرب الخمور

ويبدو المريض مختلاً سلوكياً رغم مرحه إلا أنه سرعان ما يفقد القدرة على التحكم في الموقف ، ويكون سريع الهياج والغضب ثم يفقد قدرته تدريجياً على التميز والادراك باعمال شائنة وصبيانية وقد يتبول في الطريق ثم تزداد الرعشة ويدخل المريض في المرحلة الأخيرة في غيبوبة تامة . وكثيراً ما تحدث الوفيات أثناء هـذه النوبة من الغيبوبة والاغماء .

و – اعتلال العضلات الكحولي Alcoholic Myopathy

ان العضلات هي المحطة الأخيرة التي تنتهي إليها أوامر الجهاز العصبي ان انقبض فتنقبض أو انبسط فتنبسط .. وهذه العضلات إما أن تكون ارادية أي واقعة تحت تأثير الارادة وهي عضلات الأطراف والوجـه والجذع وهي التي بواسطتها نقوم بكل أعمالنا وحياتنا المريدة .. فالمشي والحركة والجلوس والقيام بل والاستلقاء . وبداية الأكل والشرب ونهايتـه بالاخراج كلها تحت سيطرة هذا الجهاز العجيب الذي يبدأ من خلايا بيتز بقشرة المخ فيرسل إشاراته الكهربائيةالكيماوية باسرع من سرعة البرق الخاطف إلى الخلايا العصبية الموجودة بالقرن الأمامي منالنخاع الشوكي ماراً بالمخ المتوسط فالقنطرة فالنخاع المستطيل حتى ينتهي إلى الأعصاب الطرفية إلى العضلات ويصاب هذا الجهاز بأكملهنتيجة شرب الخمور فتكون الاصابة بالمخ والمخيخالمتوسطوالقنطرة والنخاع والمستطيل والنخاع الشوكي والأعصاب الطرفية فالعضلات .

ولا شك أن العضلات تتأثر نتيجة اصابة هذا الجهاز العصبي لأن بقاءهـا مرتكز ومبني عليه .. فإذا أصيب اصيبت .. ولكن الخمر تصيبها أيضاً اصابة مباشرة نتيجة لتأثيرات الخمر السمية Alcoholic Myopathy .

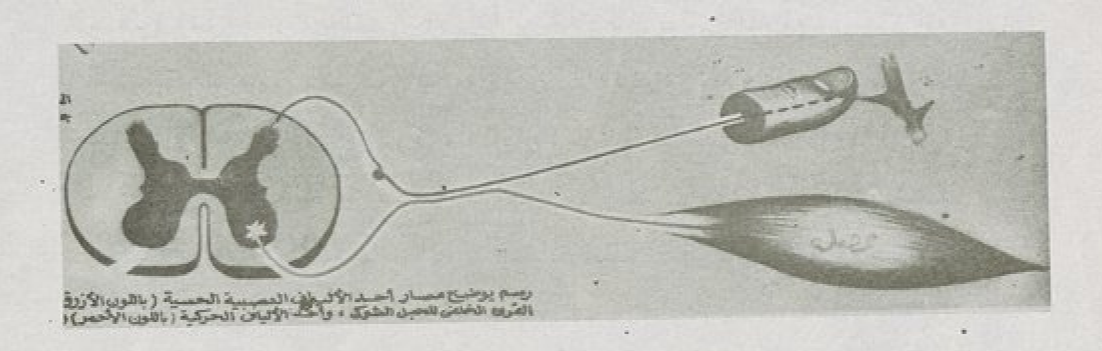
وتصاب العضلات بعد نوبات الشرب بآلام حادة وتقلصات (كرامب) كما

تنتفخ الأقدام نتيجه الاصابة باوديما Oedema كما تصاب الياف العضلات بالحرض والهلاك Muscle Fiber Necrosis وهذا يسبب فقدان خضاب العضلات ونزوله في البول Myoglobinuria مما يسبب اصابة الانابيب الكلوية وهلاكها .

وهذه وحدها كافية للقضاء على المريض في أيام قلائل إذا لم يكن العلاج مبكراً .

ولا تصاب العضلات الارادية فقط وانما تصاب العضلات الغير ارادية أيضاً وأهمها على الأطلاق عضلة القلب فتصاب ألياف عضلة القلب بانتفاخ أولاً لازدياد كمية المياه بها ثم تنتهي بالضمور Muscle Atrophy وتتحول العضلة إلى مجموعة من الألياف الميتــة التي لا تنقبض ولا تؤدي وظيفتها وينتهي الأمر بهبوط القلب فالوفاة .

تصاب عضلة مدمن الخمر بالاعتلال نتيجة التهاب الاعصاب الطرفي وكنتيجة لحسمية الخمر



صورة لعضلة تتغذى بعصب حركي من القرن الأمامي بالنخاع الشوكي كما توضح أيضــاً عصباً حسياً من اصبع والفعل المنعكس.

القسم الثــاني : وهي مجموعة من أمراض الجهاز العصبي وتكون نتيجة

لادمان شرب الخمور . وليست ناتجة عن نقص الفيتامينات المصاحبة للادمان . وهي ثلاثة :

١ – الهذيان الارتعاشي

٢ – الصرع

٣ – الهلوسة

١ – الهذيان الارتعاشي Delerium Tremons .

وتظهر هذه الحالة الخطيرة عند مدمني الخمور في الحالات التالية :

أ – شرب كمية ضخمة من الخمور

ب – بعد الاصابة بالالتهابات وخاصة الرئوية .

جـ – بعد اجراء عملية جراحية أو اصابة في حادثة لأحد مدمني الخمور ولذا ينبغي على الطبيب أن يدقق في سؤال المريض وأهله عما إذا كان يشرب الخمور وكم هي الكمية المتعاطاة مهما كان المرض لا علاقة له بالخمور في ظاهر الأمر . فاصابة المريض المدمن في حادثة سيارة مثلا يبدو أمراً لا علاقة له مباشرة بشرب الخمر .. ولكن ذلك قد يؤدي إلى حالة الهذيان الارتعاشي .

د – توقف مدمن الخمر فجأة عن شرب الخمور .

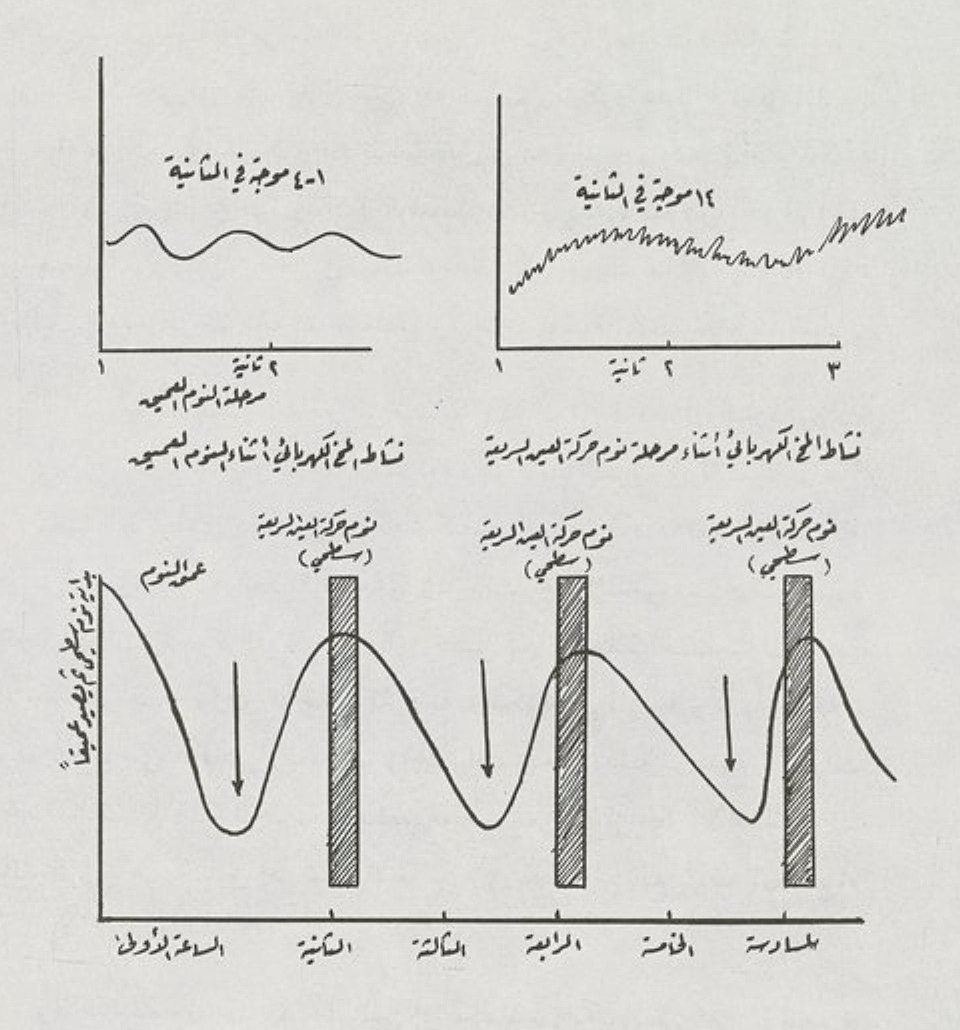
وتبدأ أعراض هذا المرض بازدياد القلق وفقدان الشهية مع الأرق ثم تظهر ارتعاشات واختلاجات فجه في اليدين واللسان والوجه . كما يتخيل المريض أشباحاً أو يسمع أصوتاً ليس لها وجود إلا في مخيلته كما يحس بحشرات وعناكب تجري تحت جلده . وقد يرى الثعابين وهي

تزحف عليه .. كما يسمع جلبة حيوانات وفئران وحشرات مرعبة ويراها بعينيه فيصرخ فزعاً مرعوباً من هذه الأشباح .. فتأتي الممرضة أو الطبيب ويؤكدان له أن لا شيء هناك .. وهو واثق كل الثقة انها أمامه .. فكيف يصـــدق قولهم بينما هو يرى بعينيه تلك الأفاعي ويسمع باذنيه فحيحها .. كما أنه يشم تلك الروائح العفنة التي تزكم أنفه والكل يقسم أن ليس هناك روائح كريهة على الاطلاق . ثم تلك الطعوم الفجة البغيضة التي يقدمونها له مع طعامه .. انهـــا سموم ناقعة وهم يزعمون أنها غذاء جيد .. تباً لهم أي غذاء جيد ذلك الذي يزعمون .. يحضرون له أغذية من سم الأفاعي والعناكب ثم يزعمون انها لحم طير مما يشتهون .. تباً لهم وتعساً .

وهكذا يعيش المريض في رعب وأوهام وخيالات مرعبة .. وهي ما يطلق عليه حالات الهلوسة وقد جهد الطب في معرفة أسبابها ، فوجد بعض التعليلات وما زال أغلبها سراً كامناً لم يكشف عنه بعد . وقد اكتشف ان لهذه الحـــالة علاقة ما بالنوم .. وما كشف هو أن نوم المرء السوي يمر بمرحلتين :

الأولى : مرحلة النوم العميق وفيه تقل سرعة النبض وسرعة التنفس كما يقل ضغط الدم كما تقل أيضاً سرعة الموجات الكهربائية المنبعثة من المخ من ثلاثـــة عشر موجة في الثانية في حالة اليقظة إلى ثلاث موجات عنـــد النوم العميق كما يسجلها رسام المخ الكهربائي . وتستغرق هذه المرحلة ساعة ونصف ثم تتبعها المرحلة التاليـــة :

المرحلة الثانية : وهي ما يسمى بنوم حركة العين السريعـــة Rapid Eye Movement Sleep وفيها حركة سريعة لمقلة العين وتستغرق هذه المرحلة من خمس



إلى عشر دقائق فقط . ويسجل رسام المخ الكهربائي تغييراً ملحوظاً وزيادة في النشاط الكهربائي للمخ فتتحول تلك الموجات البطيئة في المرحلة السابقة إلى موجات سريعة على شكل موجات مغزلية وتبلغ سرعتها خمسة عشر موجة في الثانية .

ويكون التنفس سريعاً غير منتظم كما يزداد وجيب القلب وخفقانـــه على عكس ما كان عليه في مرحلة النوم العميق .. وتتراخى العضلات ارتخاء شديداً . وبإيقاظ الشخص في هذه الحالة يتبين أنه يحلم... وتتكرر هذه الحالة كل ليلة من ٤ – ٦ مرات . وإذا تكرر ايقاظ الشخص في هذه المرحلة فانه قـــد يكرر ذلك النوم إلى عشرين مرة في الليلة الواحدة .. ولا يشعر الشخص بأنه قد أخذ حاجته من النوم إلا إذا دخل في مرحلة نوم حركة العين السريعة . أما إذا كان نومه خالياً من هذه المرحلة فانه يصبح متعباً ولا يشعر بأنه قد أخذ حظه من النوم .

وقد وجد أن بعض العقاقير التي تسبب الادمان مثل الكحول والباربيتورات تؤدي إلى انعدام نوم حركة العين السريعة وهو النوم الضروري للانسان . فاذا ما سحب العقار أدى ذلك إلى حركة عكسية وهي أن يكون نوم الشخص كله في مرحلة نوم حركة العين السريعة . ولما كانت يقظة المدمن فـــترات قصيرة تتخللها نوبات نوم حركة العين السريعة التي تحصل فيها الأحلام اختلطت على المدمن الأحلام بالواقع . ورأى الأحلام المزعجة والكوابيس المرعبة وكأنها حقيقة . وهو لذلك يرى الأفاعي والعناكب والحشرات تزحف عليه ويسمع الأصوات المخيفة كما يشم الروائح الكريهة ويطعم الطعوم الغريبة المزعجة ولا يشك في أن تلك الرؤى هي حقائق إذ كيف تقنع من يرى بعينيه ويسمع بأذنيه ان ما يراه ليس إلا كابوساً .

وهكذا تتحول حياة هذا البائس إلى سلسلة من الكوابيس المرعبة فيصرخ ويتشنج ويتهم من حوله بتدبير المؤامرات لقتله أو يتهم زوجتـــه بالخيانة الزوجية كما يتهم أقاربه وأصدقاءه بفعل الفاحشة معها .. وهذا ما يعرف باسم الاعتقادات الزائفة Delusions . وتختلط عليه الاعتقادات الزائفة بالهلوسة .. فقد يرى أشخاصاً يهاجمونه أو يدبرون له مكيدة فيقوم هو بالدفاع عن نفسه

فيهاجم الطبيب أو الممرضة وإذا وصلت إلى يـــده آلة حـــادة فقد يؤدي ذلك إلى عواقب وخيمة .. ويصاب بالشك الشديد في كل من حوله وهي الحالة المعروفــــة باسم البارانويا Paranoid Ideation . ويصاب المريض بالخلل المشين في تقديره للمكان والزمان وتقدير المواقف كما أن حالات الرعب والقلق والكآبة تؤدي إلى الحالة المزاجيـــة السوداوية (المناخوليا Melancholy) .. وخلاصة القول تتحول حياته إلى جحيم لا يطاق .

ولكأنما لا يكفيه كل هـــذا العذاب الذي يصب عليه صباً فيضاف إليه حالات الصرع والتشنج .. وتنتابه حركات عنيفة لا ارادية ينتفض لها جسده كله مع فقدان الوعي .. فتنقبض عضلات جسمه انقباضاً شديداً حتى مـــا يستطيع أن يخرج نفسه وتطبق عليه اطباقاً مخيفاً رهيباً فيزرق لون جلده ويعض لسانه ويخر مغشياً عليـــه إلى الأرض . وهذه المرحلة تعرف بالمرحلة المنقبضة Tonic Phase ثم تتبعها اختلاجات وتشنجات سريعة . وهي عبارة عن تقلصات سريعة للعضلات يتبعها ارتخاء لفترة ثوانٍ ثم يعود الانقباض فالانبساط ويرتجف المريض من جرائها ويهتز جسمه كله اهتزازاً مرعباً مخيفاً .. ويظهر الزبد من فمه . ولكأنما هناك ألف يد خفية تهزه هزاً عنيفاً في كل ثانية وتقذف بكل عضلة فيـــه حتى تدفع البول والغائط من مخارجه دفعاً .. كل ذلك وهو مغشي عليه .

أنظر إلى هذه الصورة المرعبة المخيفة ثم استمع بعد ذلك إلى تحليلات الأطباء يفسرون لك كيف تستطيع الخمر أن تقوم بهذه الأعمال الرهيبة الـــتي تحتاج إلى قوة ألف حصان لفعلها .. والطب يقول ان هناك مادة يكونها الجسم تمنع الاختلاجات والانقباضات والارتعاشات تدعى مادة جابا وهي مادة مكونة من حامض أميني وفيتامين البيرودوكسين بالمعادلة التالية :

حامض أميني (جلوتاميك) + فيتامين البيرودوكسين = جابا

ولهذه المادة خاصية عجيبة في منـــع الاختلاجات والصرع . فماذا تفعل الخمر ؟ انها تقوم بمنع صنع هذه المادة الهامة .. ونتيجة لذلك يزداد هياج خلايا المخ ويضطرب نشاطها الكهربائي فتحدث نوبات الصرع التي ذكرناها . وأشهر الخمور المسببة لهذه الحالة هو خمر الروم Rum وهو خمر يشبه العرق الموجود في كثير من البلاد العربية . وقد سميت هذه النوبات المخيفة بنوبات الروم وهناك خمر أخرى تدعى الابسنث تسبب الصرع بخاصية أخرى إذ بها مـــادة سامة تدعى ثيوجون Thujone تهيج خلايا المخ وتزيد من نشاطها الكهربائي وتحوله إلى حالة صرع مرعب مخيف .

ولا تكتفي الخمر بفعل هذه الأفاعيل بذلك البائس التعيس المصاب بحـــالة الهذيان الارتعاشي وانما تضيف إلى ذلك ارتفاع شديد بالحرارة حتى تصل إلى ١٠٥ فهرنهيت . كما يفقـــد جسم ذلك البائس قدرته على مقاومة الميكروبات والفطريات الغازية فتهجم عليه وتجده فريسة سهلة .

وكأنما هذه المصائب تنحدر إليه من كل حدب وصوب .. فتصاب الكلي ويكثر الزلال في البول .. وتضطرب سوائل الجسم وموادها مثل الصوديوم والبوتاسيوم والبيكربونات .. وترتفع حموضة الدم إلى درجة قاتلة .. ثم تـأتي ثالثة الاثافي فتصيب القلب .. فتتمدد عضلة القلب وتنتهي سريعاً بوهط القلب وهبوطه فالوفاة ..

ولذا فان علاج حالات الهذيان الارتعاشي تتطلب جهداً هائلاً وتخصصاً دقيقاً في كيفية معالجتـــه .. ولذا وجدت مستشفيات خاصة في أوروبا وأمريكا لمعالجة حالات الادمان وما يتبعها من مضاعفات خطيرة .. ومع هذا التخصص



صورة لمدمن أصيب بالصرع كما يحدث في نوبات (الروم) Tum Fits
أو النوبات الناتجة عن خمر الابسنث التي بها مادة الثوجون التي
تسبب الصرع

الدقيق ورغم وجود الامكانيات الهائلة والتقنية الحديثة فان من ينقذون من براثن هذا الوحش الضاري ليسوا الا نسبة ضئيلة ممن يقعون فريسة له .

ولذا فمن الواضح جداً أنه من الاسلم في كل حال الابتعاد عن براثن هـــذا الوحش الضاري .. بل الحق اننا نظلم الوحش حين نشبهه بالخمر وما تفعله ..

فلن تستطيع وحوش الأرض كلها أن تقوم بمثل هذا التعذيب الرهيب لأولئك البؤساء الذين يقعون فريسة لها .

القسم الثالث .

وهي مجموعة من الأمراض الـــتي تصيب الجهاز العصي بسبب ادمان شرب الخمور ونتيجة لنقص فيتامينات ب أو ب ٦ ويناسين . والخمور تسبب نقص الفيتامينات للأسباب التالية :

(١) سوء التغذية المصاحبة للادمان . فالمدمن في العادة لا يهـــتم بشراء الطعام وقد لا يملك القدرة على شرائه وإذا وجد لديه الطعام الجيد فالشهية مفقودة فاذا أرغم نفسه على ازدراد الطعام فان التهاب جدار المعدة الناتج عن شرب الخمور كفيل بقيئه وطرده من المعدة .. فإذا أرغم على البقاء فإنه يمر بدون هضم ولا امتصاص من الأمعـاء ... وهكذا يفقد الطعام فائدته حتى لو أرغم المدمن نفسه على أخذ الطعام بدون رغبة فيه .

(٢) إن الكحول مادة ذات سعر حراري عـالٍ وتحتاج لاكسدتها كميات كبيرة من فيتامين ب ١. وبالتالي يؤدي ذلك إلى نقص هذا الفيتامين إذ يؤدي ذلك إلى نقص هـــذا الفيتامين إذ أن الجسم يستهلك منه بوجود الكحول أضعاف الكمية المستهلكة منـــه عند عدم وجود الكحول في الجسم .

ويؤدي نقص هذه الفيتامينات إلى أمراض الجهاز العصبي التالية ·

(١) التهاب الأعصاب المتعددة .

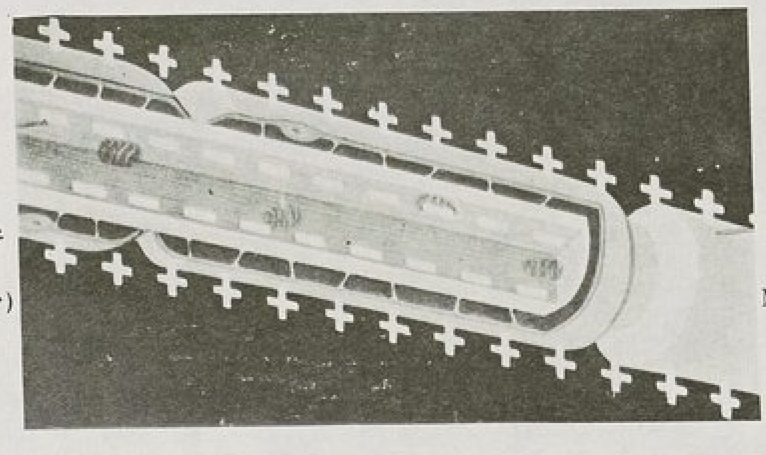
(٢) مرض فيرنيكيه الدماغي .

(٣) مرض البلاجرا .

(٤) عصاب كورساكوف .

(٥) التهاب عصب العين المؤدي إلى العمى .

ولنبدأ بشرح موجز لكل واحد من هذه الأمراض الوبيلة التي تسببها الخمر :



صورة توضيحية لعصب وعليه تظهر الشحنات الكهربائية الموجبة خارج سطحه والسالبة داخل غشائه . وبواسطة هذه الشحنات الكهربائية والكيمياء . تنتقل الإشارات من المخ الى العضلات والاحاسيس من الجلد الى المخ .



صورة ليدين اصيبتا بالتهاب الاعصاب المتعدد مما ادى الى شلل طرفي وعدم احساس اليدين حتى بالنار وترى باليد اليمنى حروقاً ناتجة عن سيجارة مشتعلة دون أن يحس بها المريض . كما ترى شلل اليدين وعدم قدرة المريض على استعمالها .

١ – التهاب الاعصاب المتعدد :

قد تحدثنا بايجاز عن الاعصاب في مقدمة الحديث عن الجهاز العصبي وقلنا أن هناك اثني عشر عصباً من كل جهة تخرج من المخ وهي المسماة بالأعصاب المخية .. وان هناك ثلاثة وثلاثين عصباً شوكياً من كل جهة (اليمنى واليسرى) تخرج من النخاع الشوكي كما أن هناك مجموعة من الأعصاب اللاارادية وهي المجموعة التعاطفية والمجموعة نظير التعاطفية .

وإذا نظرنا إلى عصب من هذه الأعصاب نجده يخرج من خلية عصبية اما في

المخ أو في النخاع الشوكي .. وله محور اسطواني Axis cglinder وغلاف دهني — نخاعي Myelin Sheath (أنظر الصورة) .

وتصدر الأوامر من المخ من خلايا بيتز وتسير في مسارات عجيبة رائعة حتى تصل إلى الخلايا الموجودة بالقرن الأمامي من النخاع الشوكي .. ومن هناك تخرج الأعصاب وترسل الأوامر إلى العضلات فتنقبض .. كما تذهب الأحاسيس في أعصاب أخرى حتى تصل إلى النخاع الشوكي ومنه في مسارات بديعة متناسقة حتى تصل إلى المخ حيث الادراك والرؤية .

وما تفعله الخمر في هذه الأعصاب هو تحلل في محاورها الاسطوانية وهذه المحاور هي الأعصاب ذاتها ، وهي التي تنقل الاشارات الكهربائية والأوامر من الخلايا إلى العضلات وتنقل الاحاسيس من الجلد والجسم إلى خلايا الجهاز العصبي .

ويؤدي التهاب المحور الاسطواني وتآكله إلى التحلل الصبغي في الخلية العصبية التي يتفرع منها العصب .. وينتهي ذلك بموت الخلية العصبية وبذلك لا يمكن شفاء ذلك العصب ..

ولذا فان ما تفعله الخمر في الأعصاب أشد مما تفعله كثير من الأمراض الأخرى إذ يكون التهاب الأعصاب مقصوراً على الغلاف الدهني Myleine Sheath دون المحور الاسطواني وهو التحلل المشهور بتحلل فالاريان Wallerian Degeneration في الأمراض الأخرى ولذا يعود العصب إلى سابق حالته بعد شفائه .. أما التهاب الأعصاب الناتج عن شرب الخمر فان اصابته قد تكون بالغة ومميتة للعصب نفسه فلا يبرأ حتى بعد التوقف عن الشراب .. وان كان البرء والشفاء هو الغالب عند التوقف عن الشراب وأخذ كميات كبيرة من فيتامين ب ١ .

ولا تقتصر الاصابة على الأعصاب الشوكية التي تغذي الطرفين العلويين والسفليين (أي الكتفين والعضدين والذراعين واليدين والفخذين والساقين والقدمين) بل تشمل الأعصاب المخية وأهمها اصابة العصب الوجهي المزدوجة فيصاب العصب الوجهي (العصب المخي السابع) من الجهتين اليمنى واليسرى وهذا أمر نادر الحدوث إلا في حالات الادمان الكحولي . كما تصاب الأعصاب المغذية لعضلات العين ويؤدي ذلك إلى الرؤية المزدوجة Diplopia حيث يرى المريض الشخص شخصين ، والقلم قلمين وهكذا مما يسبب ضيقاً وحرجاً شديدين للمرض. وأكثر أعصاب عضلات العين اصابة هو العصب المخي السادس (العصب المبعد) وتكون الاصابة به أيضاً مزدوجة . وكلما التفت المريض يمنة ويسرة اضطربت الرؤية ورأى الشيء شيئين وتسبب ذلك في صداع وضيق .

ولا تكتفي الخمر باصابة الأعصاب الشوكية والأعصاب المخية وانما تصيب أيضاً أعصاب الجهاز اللاارادي : التعاطفي Sympathatic ونظير التعاطفي Para Sympathetic . وقد أسلفنا القول في أهمية هذا الجهاز وكيف يسيطر على نبضات القلب وضغط الدم وعمليات الهضم والتنفس والاخراج والجهاز التناسلي.

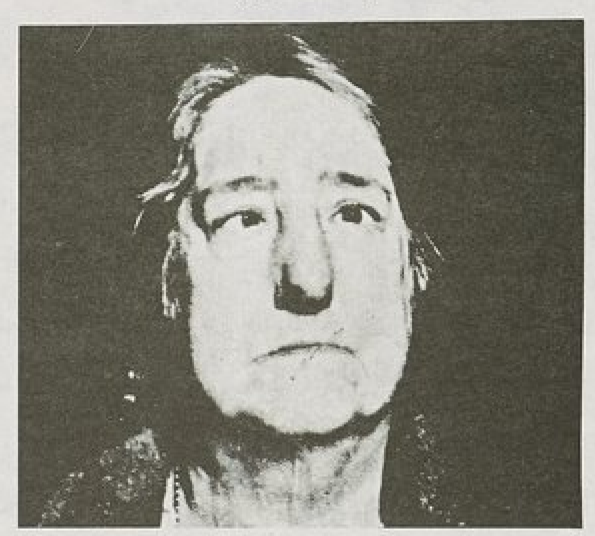
ونلاحظ اصابة هذا الجهاز بالأعراض التالية : ازدياد وجيب القلب وخفقانه واضطراب نظمه كما يقل ضغط الدم عند الوقوف بحيث يؤدي ذلك إلى الشعور بالدوخة والدوار والتي قد تصل من شدتها إلى الغيبوبة .

كما يضطرب الجهاز الهضمي نتيجة لاصابة الاعصاب اللاارادية . ولشرب الخمور وتأثيرها المباشر على الجهاز الهضمي .

ويفقد المريض قدراته الجنسية ويصاب بالعنة وذلك نتيجة لاصابة الأعصاب التعاطفية ونظير التعاطفية المغذيه للجهاز التناسلي .



شلل العصب المخي الثالث (العين اليسرى) حيث لا يستطيع المريض أن يحرك عينيه وتتسع حدقة العين ويسقط الجفن العلوي فلا يستطيع رفعه .



شلل العصب المخي السادس (العين اليسرى) حيث لا تستطيع المريضة أن تنظر الى الجهة اليسرى (الوحشية)



شلل العصب اليمنى السابع (العصب الوجهي)
حيث لا يستطيع المريض ان يحرك عضلات الفم
في الجهة المصابة

وهكذا تفعل الخمر بهذا البائس ما يلي :

أ – شلل في الاطراف : يبدأ من اليدين والقدمين ويزحف على الساعدين والساقين حتى يصل إلى الذراعين والفخذين . ويكون فقد الاحساسات أشد من ضمور العضلات فلا يشعر المريض بالحرارة والبرودة ولا حتى بوخز الابر . كما أنه لا يستطيع الوقوف أو المشي إلا بصعوبة بالغة وذلك لفقدان الاحساسات المنبعثة من العضلات . ولذا ترى المريض يرفع رجله إلى أعلى ويقذفها قذفاً إلى القاع عند المشي .. ويترنح في مشيته .. وذلك ما يدعى بالتخلج الاحساسي Sensory Ataxia تمييزاً له عن التخلج المخيخي الذي ذكرناه من قبل والذي يصيب المدمنين أيضاً .

ب – شلل في بعض الأعصاب المخية : مثل العصب المخي الثالث المغذي لعضلات العين أو العصب المخي السادس المغذي للعضلة الوحشية لمقلة العين أو العصب المخي السابع المغذي لعضلات الوجه (أنظر الصور) .

جـ – شلل الأعصاب اللاارادية : التي تؤدي إلى اضطراب الجهاز الهضمي وإلى هبوط ضغط الدم عند الوقوف وإلى فقدان القدرة الجنسية وإلى اضطراب النبض ووجيب القلب وخفقاته .

٢ – مرض فيرينكه الدماغي :

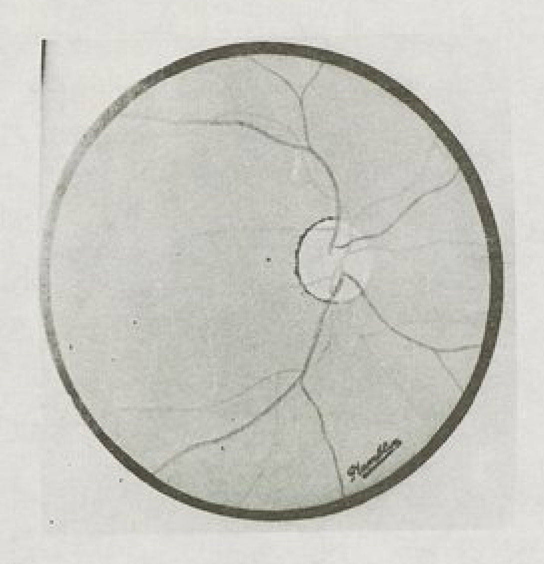
وهو مرض خطير وناتج عن نقص فيتامين ب المركب وعلى وجه الخصوص فيتامين ب ١ . وتكثر الاصابة في المدمنين للاسباب التي شرحناها من قبل .

وتكون الاصابة في المخ الأوسط Mid Brain .

وحوالي القناة Periequeduck في المادة السنجابية (الرمادية) في المخ الأوسط أي في المناطق التي يخرج منها العصب المخي الثالث والرابع اللذان يغذيان عضلات العين . وينتج عن اصابتها شلل في عضلات العين مما يسبب الرؤية المزدوجة كما أن بالمخ المتوسط منطقة مسؤولة عن اليقظة فاذا أصيبت نتج عن ذلك خمول وبلادة ونوم وما هو بنوم ولكنه شبيه به.. كما أن الجسم والأطراف كلها تصاب بالشلل ولكنه لا يكون على وتيرة واحدة وانما يقل ويزداد من يوم إلى آخر . كما يصحب ذلك بعض الاضطرابات العقلية والنفسية كعصاب كورساكوف .

٣ – عصاب كورساكوف :

وهو مرض نفسي أول ما لوحظ على مدمني الخمور . ويفقد المريض فيه



صورة لالتهاب عصب العين
المؤدي الى العمى نتيجة شرب الخمور
البلاجرا

ذاكرته للحوادث القريبة العهد بينما يحتفظ بذاكرته للحوادث المتقادمة . ويقوم المريض بوصف وقائع وهمية وحوادث خيالية ويجزم هو بوقوعها مع اعتقاد لا يتزعزع بصحة خيالاته . فيجزم المريض مثـــلا بأنه خرج إلى السوق واشترى كذا وكذا وقابل فلاناً وفلاناً .. بينما هو مشلول لا يستطيع أن يحرك عضلة ساقه .

٤ – التهاب عصب العين المؤدي إلى العمى :

ويحدث هذا عند مدمني الكحول كما يحدث أيضاً نتيجة التدخين مع شرب الكحول . وكلا العادتين مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً فنادراً ما تجد شخصاً يشرب الخمر دون أن يدخن. وتتعاون المادتان السامتان في الكحول والتبغ على احداث العمى .. وخاصة مـــع وجود نقص في مجموعة فيتامين ب المركب . كما أن



صورة لذراع وساعد تظهر جفاف الجلد وتشققاته نتيجة
الاصابة بمرض البلاجرا الذي يكثر في مدمني الخمر

الكحول المثيلي له صيت ذائع في احداث العمى بمجرد شربه ولو لمرات قليلة . وقد كثرت الاصابة به في الولايات المتحدة عندما منعت الخمر . كما أن الاصابة به غير شديدة الندرة في البـــلاد العربية حيث تشرب الخمور الرديئة سراً . وحيث لا توجد حملات توضع اضرار الخمور وعواقبها الوخيمة .

٥ – مرض البلاجرا :

وهو مرض خطير ينتج عن نقص مجموعة فيتامين ب المركب وخاصة فيتامين

البناسين . ويكثر في البلاد التي تعتمد على الذرة كمصدر غذائي أساسي دون القمح كما يظهر بين مدمني الخمور لاصابتهم بنقص غذائي في الفيتامينات المذكورة.

وينتج عنه اصابة جلدية تكون في الأجزاء المعرضة للشمس مثل الوجه وصفحة العنق واليدين والساقين والاقدام . ويزداد الالتهاب في أماكن الارتفاق كالمرفقين والركبتين .. ويكون ذلك مصحوباً باسهال شديد والتهاب باللسان مع حمرة شديدة . كما يصاب الجهاز العصبي اصابات بالغة كما يلي :

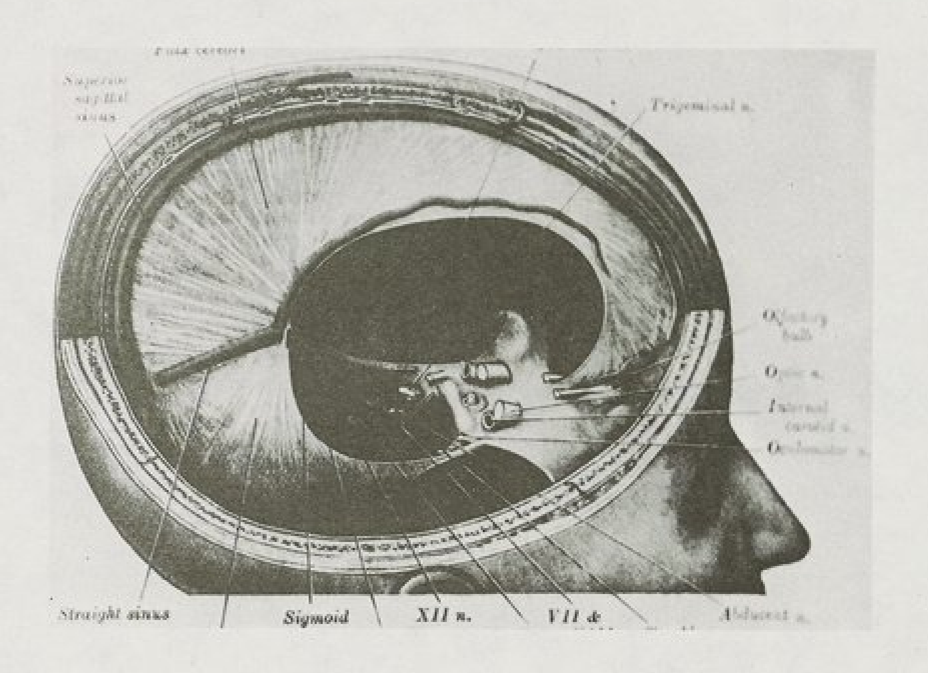
أ – المخ : فساد وتآكل في خلايا قشرة المخ تؤدي إلى الجنون .

ب – النخاع الشوكي : ويصاب المسار الهرمي Pyramidal Tract وهو الذي يحمل اشارات الحركة من الخلايا المخية العليا إلى خلايا القرن الأمامي في النخاع الشوكي . وينتج عن ذلك الشلل للاطراف من نوع الشلل الأعلى الحركي . وهو شلل للاطراف غير مصحوب بضمور العضلات مع تيبس وزيادة في الأفعال الإنعاكسية . كما ان المسارات التي تحمل الأحاسيس من الأطراف إلى المخ تصاب أيضاً وخاصة تلك التي تحمل الأحاسيس من العضلات والصفاقات وهي التي تدلنا على مواقع اقدامنا .

جـ – التهاب الأعصاب المتعدد : ويصيب الأعصاب الطرفية فتشل اليدين والقدمين ثم يزحف الشلل فيصيب الساعدين فالذراعين في الأطراف العليا ويزحف في الأطراف السفلى من القدمين إلى الساقين فالفخذين .

وتشفى هذه الحالة اذا أعطي المريض جرعات كافية من فيتامين البناسين (حامض البنكتونيك) مع كميات وافرة من الحليب (اللبن) الذي يحتوي على بروتينات خاصة تضاد مرض البلاجرا . وهو الحامض الاميني ترتبوفان.وهكذا نرى اللبن دائماً على طرفي نقيض مع الخمر في كل شيء . فالخمر تهيج أغشية المعدة

تسبب التهاباً لها واللبن (الحليب) على النقيض من ذلك يهدىء من التهاب أغشية المعدة ويستعمل كعلاج ناقع لالتهاباتها وقرحها. واللبن يشفي من مرض البلاجرا والخمر تسببها ، بل وان اللبن إذا شرب قبل تناول الخمور اعاق من امتصاصها واخبائثها . ولا غرو فقد اختاره الرسول صلوات الله عليه حين أسرى به وترك الخمر حين قدمت إليـــه ، فتناول اللبن وشرب منه . واللبن كله فوائد والخمر كلها مضار . فسبحان من خلق الأشياء وأودع فيها صفاتها وخصائصها .



صورة لمقطع طولي بالجمجمة حيث تتركز الاصابات الناتجة عن شرب الخمور

اصابات الجهاز العصبي الناتجة عن حوادث تقع بسبب تناول الخمور

ان شارب الخمر معرض باستمرار للسقوط مغشياً عليه ولاصابة الجمجمة والجهاز العصبي نتيجة لذلك .

ان شارب الخمر يفقد اتزانه وكثيراً ما يقع ويتدحرج أثناء نزوله أو صعوده السلالم كما أن كثيراً من المعارك تدور في الحانات . وحدث ولا حرج عن حوادث السيارات الناتجة عن فقدان الشارب لقدراته وملكاته في التحكم .

ولن نستطيع الحديث عن جميع الاصابات التي تحدث لهؤلاء فانها تحتاج إلى كتاب كامل بل إلى عدة كتب وتشمل معظم جراحة العظام . وجراحة الاعصاب كما تشمل جزءاً من جراحة الجهاز الهضمي والجهاز الدوري . وباختصار يشمل ذلك عدة تخصصات ولسنا نحن بصددها هنا .

ولكننا سنذكر بايجاز شديد آثار هذه الحوادث على الجهاز العصبي حتى نستكمل هذا الباب .

وهو باب الخمرة والجهاز العصبي .

وسنناقش ذلك تحت العناوين التالية :

١ — ارتجاج المخ .

٢ — انضغاط المخ .



نزف تحت الملحمة بالعين اليسرى نتيجة وجود نزف
وتهتك بالمخ كما يحدث في الحوادث التي تكثر عند شاربي الخمور

١ — نزف خارج الام الجافة .

٢ — نزف تحت الام الجافة .

٣ — نزف بالمخ .

٤ — كسور الجمجمة وتهتكات المخ وتمزقاته .

٣ — اصابات بالعمود الفقري والنخاع الشوكي .

٤ — شلل ليلة السبت .

١ — ارتجاج المخ :

ويحدث نتيجة ارتطام الرأس بجسم ثقيل دون أن تكون هناك تغيرات تشريحية في المـــخ .. وفيه تنشل وظائف المخ لدقائق .. ويصاب المريض بغيبوبة تختلف شدتها ولكنها في العادة لا تزيد عن بضع دقائق وربما كانت لثوانٍ معدودات .

ويفقد الشخص المصاب ذاكرته للحادثة نفسها أو ما سبقها من أحـــداث وغالباً ما يكون فقدان الذاكرة للحادثة مؤقتاً . وقد يكون ذلك لامد طويل.

وفي بعض الحالات الشديدة من الارتجاج يصحبها أوديما (انتفاخ مائي) كما قد يكون من نتائجها انحلال النخاع في المخ .

وهذا يؤدي إلى صداع مزمن واضطراب في الشخصية .

وبما أن الكحول (الخمور) تفقد المرء توازنه وتعرضه لمثل هذه الحوادث بكثرة فانها سبب غير مباشر لمثل هذه الاصابة .

تهتك المخ :

وتكون الاصابة شديدة وعادة ما تكون مصحوبة بكسور في الجمجمـــة وتؤدي إلى تهتك بالمخ . ويفقد الشخص المصاب وعيه لفترة طويلة من ساعات إلى أيام بل قد تصل إلى أكثر من شهر .

أما في الحالات الخفيفة فيصاب المرء بالتشوش الذهني والاضطراب بعـــد افاقته من الاغماء . وقد يصاب بالهذيان.. كما أنه معرض للاصابة بالشلل وتكون المناطق المشلولة حسب مكان الاصابة وشدتها وما يصحبها من نزف .

ومعظم هذه الحالات تصاب بنوبات صرع قد تحدث بعد عدة سنوات من الاصابة .

انضغاط المخ :

وينضغط المخ أثر الحوادث إذا كان هناك نزف بالمخ أو السحايا ويفقد المريض وعيه وتزداد حدقة العين في الجهة المصابة من المخ ثم تتسع ثم تظهر التغييرات في حدقة العين الأخرى .

ويتوفى المصاب في معظم هذه الحالات . وقد ينقذ بعملية تربنة في الجمجمة وازالة الدم المتجلط مع ربط الأوعية النازفة .

ويبقى المريض في حالة الاغماء لفترة طويلة قد تبلغ الشهر أو لفترة طويلة قد تبلغ أكثر. كما يفقد ذاكرته بعد الافاقة من الاغماء . وخاصة للحادثة نفسها.

وقد رأينا أحد المرضى الذين أصيبوا في حادثة تصادم هو وزوجته ونقلا كليهما إلى المستشفى وبعــد أن أجريت لهما عمليات بالمخ افاقاً بعد فترة اغماء طويلة . ولبث المريض فترة طويلة من الزمن ينكر فيها أن تلك المرأة المصابة بجانبه هي زوجته بينما كانت هي واثقة أنه زوجها . ولبث أشهراً طويلة وهو لا يستطيع أن ينظر إليها . وبمرور الوقت اقتنع بصدق أقاربه ومن حوله . ولكنه في قرارة نفسه لم يقتنع كيف أصيبت زوجتــه وهي في منزلها .. ولم يستطع تذكر الحادثة قط .

وعادة مــا يصاب هؤلاء الاشخاص بشلل في الأعصاب . خاصة العصب السادس (المبعد لمقلة العين) كما قد تصاب الأعصاب المغذية لعضلات العين مثل العصب الثالث أو الرابع أو عصب الوجــه Facial Nerve أو عصب السمع (العصب الثامن) وكثير من هذه الحالات يصاب بالشلل النصفي . كما أن بعضها قد يصاب بشلل المراكز المخية المسؤولة عن التنفس وخاصة بعد الحادثة مباشرة أو بساعات .. وتحتاج مثل هذه الحالات إلى استخدام آلة التنفس الصناعي .

وإذا شفي المريض تبقى لديه آثار الشلل النصفي كما يشكو من صداع مزمن ونوبات اغماء متكررة (صرع) .

نزف تحت الأم الجافة :

ويصيب هذا المرض الكبار في السن ومدمني الخمر على وجه الخصوص .

وهو ناتج عن اصابات بسيطة متكررة بالرأس ينتج عنها تمزق في الأوعية الدموية الشعرية .

ويضغط الدم المتجمع على المخ وخاصة الفص الأمامي والفص الصدغي و كثيراً ما يكون النزيف مزدوجاً أي في الجانبين من الرأس الأيمن والأيسر .

وتظهر الأعراض عادة بعد أسابيع .. ربما أشهر من الاصابة التي قد يكون المريض نسي عنها كل شيء .

وتتلخص الأعراض في الصداع والنعاس والارتباك الشديد واضطراب الشخصية وتتأرجح هذه الأعراض فتزداد حتى تصل درجة الإغماء وفقدان الوعي . وتقل حيناً حتى تصبح صداعاً خفيفاً فقط .

وتكون حدقتا العينين غير متساويتين، فتكون إحداهما أوسع من الأخرى وعادة ما تكون الحدقة الأوسع مصحوبة بسقوط الجفن الأعلى لتلك العين . أما سائل المخ الشوكي فيكون طبيعياً لولا زيادة في البروتين وقد يكون مائلاً إلى الصفرة ويتم التشخيص بعمل أشعة على الجمجمة مع حقن الشريان السباتي الذي يغذي المخ بمادة ملونة فتظهر الأشعة النزف والدم المتجمع وهو ضاغط على الأوعية الدموية بالمخ .

ويحتاج العلاج لإجراء عملية لازالة الدم المتجلط تحت الأم الجافة . وينصح المريض بالابتعاد عن الخمور .

شلل ليلة السبت :

ومن المعروف أن الانغماس في الشراب مساء السبت (ليلة الأحد) هو من الأمور الشائعة في أوروبا أو أمريكا باعتبار أن ذلك ليلة الإجازة . وينام المخمور عادة على كرسي أو في الخمارة أو في منزله أو منزل صديقه وتتدلى يده من الكرسي ويحتك العصب الكعبري بحرف الكرمي . فينضغط العصب .

(٨)

وعندما يفيق من سباته يجد نفسه مشلول اليد . ولا يستطيع أن يرفع يده .

ويحتاج علاجها إلى جبيرة خاصة مع التمرينـات وتنبيه العضلات بالموجات القصيرة .

كل هذا من نتائج شرب الخمور منها ما هو نتيجة مبـاشرة ومنها ما هو نتيجة غير مباشرة .

وبهذا نكون قد شرحنا بإيجاز تأثيرات الخمر على الجهاز العصبي . ورأينا كيف تفتك به من كل جهة .. وكيف يتحول المدمن إلى معتوه مشلول مريض العقـل والنفس يتمنى لو يخلصه الموت من براثن هذا الغول المفترس والوحش الكاسر وأنى له ذلك وهو يتجرع الموت كل لحظة ومـا هو بميت حتى تخترمه المنية أو يتوب الله عليه فيهيء له من يساعده عـلى ترك هذه الآفة وهذا السم الزعاف المدعو الخمر .

الكحول والجهاز الهضمي

إن الجهاز الهضمي هو أهم ثاني جهاز يتعرض لتأثيرات الكحول الضارة .

ويبدأ الجهاز الهضمي بالفم والبلعوم والمريء والمعدة فالأثنى عشر فالأمعاء الدقيقة فالغليظة فالمستقيم فالشرج . ويلحق بهذا الجهاز مجموعة من الغدد اللعابية الموجودة تحت الفك العلوي والسفـــلي وتحت اللسان كما يلحق به كل من غدتي البنكرياس والكبد.

الفم :

يصاب فم مدمن الخمور بأعراض نقص فيتامين ب المركب والنيـــاسين . فتجد لسان مدمن الخمر مغطـــاة بطبقة كثيفة من الأوساخ التي تتراكم عليها الميكروبات والفطريات مثل فطر كانديدا .

كما يكون اللسان مؤلماً نتيجة ضمور الحلمـات اللسانية وهذا ناتج عن نقص مجموعة ب المركب وخاصة النياسين ، أما نقص الريبوفلافين فيسبب تشققاً في جوانب الفم وتكون اللسان حمراء ملتهبة .. ولذا يصعب عـلى المريض شرب السوائل الحارة أو الأكل الساخن أما البهارات والمتبلات فتكون عذاباً مزعجاً.

فيصاب كثير من مدمني الخمر بالبخر أو النفس الكريه وهو ناتج عن روائح

الخمر مع التبغ من جهة .. ومن الالتهابات المتكررة في الفم والالتهابات الرئوية المتكررة التي تصيب المدمنين من جهة أخرى .

كما يصاب بعض المدمنين ببقع بيضاء في ألسنتهم تسمى Leukoplakia وهذه تكون عادة مقدمة لسرطان اللسان .

تقرحات الفم :

وتحدث هذه التقرحات الميكروبية (ميكروب لولبي وميكروب عضوي)



التهاب اللسان نتيجة شرب الخمور



البقع البيضاء (Leukoplakia) على اللسان نتيجة
إدمان الخمور والتي تؤدي إلى سرطان اللسان

نتيجة نقص الفيتامينات ونقص التغذية المصاحبة لحالات الإدمان.

كما تحدث حالات الالتهاب وتقرحات شديدة بالفم تدعى Vincent Angina وهي التهابات خطيرة وتقرحات شديدة مؤلمة بالفم كله .. وتؤدي إلى الوفاة ولا تصيب الا الأشخاص الذين ضعفت مقاومتهم للميكروبات .. ولذا نادراً ما نرى هذا المرض في غير المدمنين الشديدي الادمان ويكون عادة مصحوباً بالتهابات رئوية حادة وقليلاً ما ينجو مثل هذا المريض من الوفاة رغم التقدم العلاجي :

كما لا ننسى الاصابات الناتجة عن الزهري إذ أن الارتباط بين الادمان والأمراض التناسلية معروف وقد تصاب الشفتان أو إحداهما بقرحة Chancre كما تتضخم الغدد اللمفاوية تحت الفك الأسفل . وقد تصاب بتشققات في جوانب الشفتين Rhagades وتقرحات باللسان والفم . Cancrum Oris

ومن المعروف أن الزهري مسبب لحالة اللكوبليكيا وهي البقع البيضاء في اللسان والفم وهي مقدمة لسرطان اللسان والفم . أما إصابات الأسنان واللثة فكثيرة . وهي ناتجة عن شرب الخمور والتدخين ونقص الفيتامينات وتراكم الأوساخ والأقذار وفضلات الطعام وتتجمع كل هذه العوامل لتصيب اللثة بالالتهاب والتقرح وقد تنزف اللثة بمجرد لمسها كما تصاب الأسنان بالنخر .

التهاب البلعوم المنتن : Septic Pharyngitis

وهو التهاب حاد منتن يكون مصحوباً بانتفاخ (أوديما) والتهاب غلغموني وتنتهي بغرغرينا . وسبب ذلك ميكروبات سبحية Streptococci تكون موجودة بالفم دون أن تسبب أي مرض لدى الشخص العادي . ولكنها عند مدمن الخمر تستغل ضعف مقاومته للأوبئة والميكروبات فتهجم عليه وتؤدي به إلى هذا الالتهاب الخطير .

ويقول أهم مرجع طبي بريطاني (مرجع برايس الطبي) طبعة ١٩٦٨ . « أن الميكروبات تستغل فرصة نقص المقاومة لدى مدمني الكحول فتهاجم هجوماً عنيفاً يؤدي إلى هذا الالتهاب الخطير وترتفع درجة حرارة المريض إلى أربعين سنتجراد . كما يجد المريض صعوبة في البلع والتنفس حتى ليشعر بالاختناق .. وتكثر الالتهابات الرئوية .. كما يصاب القلب فجأة بالهبوط Heart Failure نتيجة تسمم عضلة القلب Toxic Myocarditis وكثيراً ما تكون الوفاة خلال أربع وعشرين ساعة منذ بدء « الاعراض » .

« لذا يلزم العلاج السريع وإلا فقد المريض حياته خلال بضع ساعات »

« ونتيجة للاختناق الذي يحدث للمريض تستدعي هذه الحالات شق الرغامى (القصبة الهوائية Tracheostomy) وقد تكون الحالة مستعجلة لدرجة أن يقوم الطبيب بهذه العملية بموس أو مشرط في منزل المريض نفسه قبل نقله إلى المستشفى » .

ويستدعي ذلك وضع أنبوبة خلال الشق الرغامي حتى يتمكن المريض من التنفس .. وإذا ما تحسنت حالته أمكن بعد ذلك إخراج الأنبوبة وجعل المريض يتنفس طبيعياً.

كما يحتاج المريض للأوكسجين والمضادات الحيوية ويستحسن أخذ عينة لزرعها قبل بدء العلاج . ثم يبدأ العلاج فوراً حتى تظهر نتيجة المزرعة .

كما يعطى المريض كمية من السوائل بالوريد ومجموعة جيدة من الفيتامينات وخاصة مجموعة ب المركب .

إصابات المريء : Chronic Oesophagitis

إلتهاب المريء المزمن :

يقول المرجع الطبي البريطاني (مرجع برايس الطبي طبعة ١٩٦٨):

« إن التهاب المريء الناتج عن شرب المواد الحريفة باستمرار وأهمها على الاطلاق الخمور والأنبذة القوية . وكثيراً ما تكون مصحوبة بالتهاب البلعوم والتهاب المعدة . »

إن قيء المخمورين في الصباح إنما هو نتيجة تجمع المواد المخاطية التي يفرزها المريء الملتهب . ولذا فإن شاربي الخمور كثيراً ما يصابون بالغثيان وفقدان الشهية والقيء وخاصة في الصباح بعد ليلة شراب وهو ما يعرف بالخمار

ويكون ذلك مصحوباً بصداع شديد وقرف من الحياة وأوجاع Hang Over عامة في الجسم كله .

أما علاج هذه الحالة فميسور جداً إذ أن توقف المرء عن شرب الخمور يؤدي إلى شفائه التام ودون الحاجة إلى استعمال العقاقير الطبية.

نزف المريء : أو مرض مالوري فايز Mallory Weiss Syndrome

ويصاب المريض بنزف شديد آت من أسفل المريء وناتج عن تمزقات طولية بجدار المريء .. وسببها القيء العنيف المتكرر .

ويقول الدكتور برين ماجريت رئيس قسم طب المنـــاطق الحارة في كلية ليفربول في المرجع الطبي البريطاني (مرجع برايس الطبي) :

« لقد لوحظ هذا المرض عند مدمني الكحول ويكون عادة مصحوبـــاً بالتهاب المعدة الضموري .. ونادراً ما يصيب غير المدمنين . وتأتي أهمية هذا المرض من أنه يشكل نسبة ٤ في المائة من مجموع الوفيات النـــاتجة عن جميع حالات النزيف بالمريء والمعدة والاثني عشر » .

وتحتاج هذه الحالة إلى نقل دم سريع كما تحتاج العقـــاقير المضادة للقيء . كما تعطى المواد المسكنة لغشاء المريء مثل مادة الميوكان .

قرحة المريء المزمنة :

ويصاب مدمنو الخمور بهذه القرحة أكثر بكثير ممـــا يصاب غير المدمنين وتسبب هذه ألماً شديداً تحت القص وفي أعلى البطـــن وقد يكون الألم تحت الثدي الأيسر ويأتي المريض إلى الطبيب يشكو من قلبه .. ولكن سرعان ما يكتشف ان ما يشكو منه المريض ليس من القلب وإنما هو من المريء وبعمـــل أشعة على المريء بالباريوم تتضح القرحة .. وقد يحتاج الأمر إلى منظار يدخله الطبيب إلى المريء ليرى القرحة بعينيه.

ومن حسن الحظ أن هذه القرحة الناتجة عن شرب الكحول تشفى بسرعة بمجرد ترك الكحول والاكثـــار من شرب الحليب وتجنب المواد الحراقة والخللات .

ولعلك تلاحظ أن الحليب (اللبن) قـد ذكر أكثر من مرة في علاج آثار الخمر الضارة فهو يستعمل لمواجهة آثار نقص الفيتـامين والسبب للبلاجرا كما يستعمل في مواجهة التهابات الفم والبلعوم والمريء والمعدة والاثني عشر .

وقد ذكرنا في فصل الكحول والأقربازين كيف أن اللبن يعيق امتصـــاص الكحول من المعدة .. ويضاده.

وهذا يذكرنا مرة أخرى بحديث الإسراء والمعراج وكيف اختـار رسول الله ﷺ اللـــبن من بين الأشربة التي قدمت له .. وكيف رفض الخمر وكيف نصح أمته بشرب اللبن وقال عنه أنه الغذاء الكامل قبـل أن يعلن ذلك الطب بألف وثلاثمائة عام .

سرطان المريء :

إن هذا المرض الخبيث يصيب الرجـال أكثر من النساء ومعظم المصابين به يكونون قد تجاوزوا الخمسين من العمر .

ويقول المرجع الطبي البريطاني (مرجع برايس الطبي) :

«إن التهاب المريء المزمن النـاتج عن شرب الكحول بإفراط هو السبب الرئيسي المؤدي إلى سرطان المريء. »

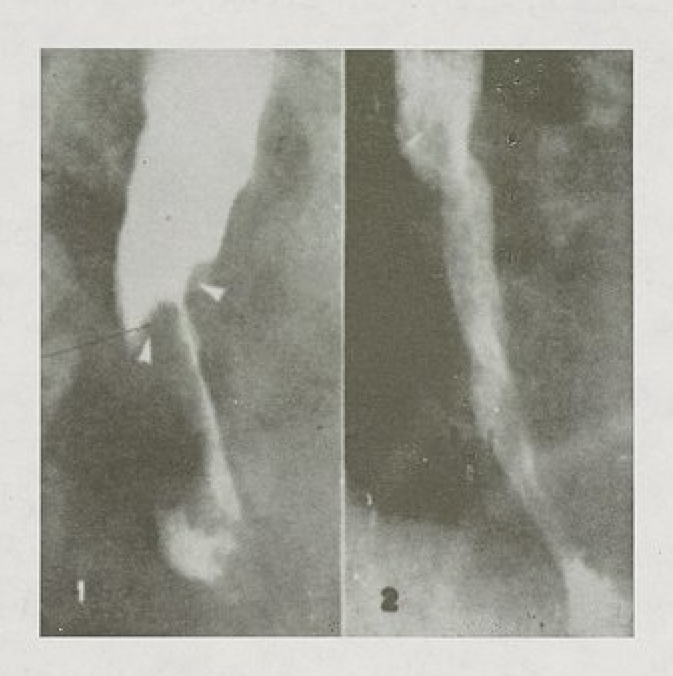
وأول أعراض المرض هو صعوبة البلع ثم فقـــدان الشهية وتزداد صعوبة البلع بالتدريج ابتداء من الطعام الصلب مثل اللحوم والخبز وانتهاء بالطعـــام الرخو مثل المهلبية حتى يصعب على المريض في آخر المطاف بلع قليل من الماء .

ويصل المريض إلى هذه المرحلة خلال ثمانية أشهر منذ بدء الاعراض .

ومضاعفات المرض خطيرة جداً وتؤدي إلى الهزال الشديد مع تضخم في الغدد اللمفاوية التي تضغط على القصبة الهوائية والأعصاب السمبتاوية كما تضغط على عصب الحنجرة Recurrent Laryngeal Nerve مما يؤدي إلى بحة الصوت وصعوبة التنفس أو إلى التهابات رئوية أو التهابات منتنة بالبلورا أو انثقاب بالمريء مع نزف شديد .

وأي واحد من هذه المضاعفات تؤدي إلى الوفاة فما بالك بها مجتمعة ؟

ويشخص المرض اكلينيكيا بالأعراض والعلامات ويتأكد التشخيص بعمل



صورة بالأشعة للمريء وقد أصيب بسرطان المريء

أشعة بالباريوم على المريء .

أما العلاج فيكاد يكون ميؤوساً منه . ولكن بعض العمليات الجراحية التي تستأصل المريء وتستبدله بأنبوبة من الأمعاء الدقيقة قد تنجح في شفاء المريض وخاصة إذا كان العلاج مبكراً .

القيء :

إن أحد أهم الأسباب للقيء المتكرر هو شرب الخمور . ولا يوجد شخص ما شرب الخمر ولو لمرات قليلة لم يعان فيها من القيء صباح اليوم التالي لليلة عب فيها من الخمر اقداحاً.

أما القيء في حالة السكر فمعروف جداً لكل شخص وفي هذه الحالة يصاب المريء بالقيء الشديد بعد سويعات من انتهاء الشراب وربما حصل القيء بعد الشراب مباشرة .

ويكون القيء مصحوباًبغثيان وفقدان للشهية وخمول وبلادة في الحس وثقل في الدماغ وصداع شديد وتراخ في الاعضاء وإحساس بالكآبة الشديدة والضيق .. مصحوباً مع قلق وانفعال يختلف شدة كما يصاب المريض من حين لآخر بفواق (زغطة) وهذه الحالة تعرف بالخمار Hang Over وهي حالة تصيب كل من أسرف في الشراب في الليلة السابقة ويعرفها كل من شرب الخمر .

وتكثر في المدمنين ويصبح هذا أمراً روتينياً لا علاج له إلا تناول كأس أو كأسين عند الافاقة .. وهكذا يدخل الدوامة التي لا فكاك منها . كما يقول أبو نواس « وداوني بالتي كانت هي الداء » . إذ يشعر المدمن بتحسن في حالته بعد أن يشرب كأساً أو كأسين في الصباح الباكر وهكذا يستبدل الافطار بكأسين من الخمر .. وتبدأ مرحلة العذاب ومرحلة الادمان وفقدان الشهية

والقيء المتكرر والالتهابات في جميع الاجهزة ونقص الفيتامينات وسوء التغذية ولن نعيد هنا ما ذكرناه عن أمراض الجهاز العصبي . ولا الجهاز الهضمي .

أما القيء في حالة السكر نفسها فهو أمر جد خطير إذ يكون الشخص فاقداً لوعيه وتنساب المواد المقاءة من فمه إلى البلعوم فالحنجرة فالقصبة الهوائية فالرئتين . وقد تسبب الاختناق فيموت الشخص لتوه..وقد تنزل المواد المقاءة إلى إحدى الرئتين أو كليهما فتصاب بخراج الرئة Lung Abcess ويمتد ذلك إلى البلورا فيسبب خراج البلورا Empyema أو تصاب الرئتان بالالتهاب الرئوي .

وكل ذلك نتيجه شلل الافعال المنعكسة في الغلصمة (لسان المزمار) نتيجة تأثير الخمر على المناطق المخية .

وقد يؤدي تكرر القيء إلى قرحة المريء أو يؤدي إلى تمزقات طولية بجدار المريء ينتج عنها نزف شديد وهو المرض الذي وصفه مالوري فايز الذي ذكرناه قبل قليل .

الفواق : (الزغطة) Hiccough

ويكثر الفواق (الزغطة) عند شاربي الخمور . ويعرف ذلك كل من له أدنى صلة بشارب الخمر ويبدأ الفواق في حالة السكر البين أي عندما يتجاوز نسبة الكحول في الدم المائة مليجرام في كل مائة سنتي من الدم . ويستمر الفواق بصورة مزعجة للشخص ولكل من حوله .. ويصحبه عادة القيء المتكرر .

وعادة ما يكون الفواق عرضاً مؤقتاً يزول بزوال حالة السكر .. إلا أن الفواق قد يظهر في اليوم التالي لليلة الشراب .. وهو أحد أعراض الخمار .

فقدان الشهية : Anorexia

ورغم أن الخمور وخاصة بعض الأنبذة تستخدم منذ أقدم الأزمنة كفاتحة للشرب Aperitif إلا أن هذا التأثير سرعان ما يزول .. ويفقد متعاطي الكحول شهيته بالتدريج حتى إذا وصل إلى مرحلة الإدمان فقد شهيته بالكلية.

ومن المعروف أن الكحول تهيج الأغشية المخاطية ابتداء من الفم وانتهاء بالمعدة وهذا في أول الأمر يكون في حد ذاته فاتحاً للشهية .. ولكن سرعان ما ينعكس الأمر فتكرر هذا التهيج يؤدي إلى الالتهاب ويؤدي الالتهاب إلى الضمور ويؤدي الضمور إلى قلة إفراز الحامض المعدي وبالتالي إلى سوء الهضم وقلة الشهية .

الحموضة واللذع : Heart Burn

والاحساس بالحموضة أو الشعور بالحرارة أو الحرق على طول المريء (ابتداء من أسفل العنق وانتهاء بأعلى البطن) تحت القص هو من أكثر الأعراض شيوعاً عند شاربي الخمور والتهاب المريء الذي ذكرناه والتهابات المعدة التي سنفيض في ذكرها تسبب هذا الإحساس المزعج وقد يظن أن الحموضة ناتجة عن ازدياد إفراز حامض الهيدروكلوريك من المعدة . ولكن واقع الأمر يكذب ذلك .. فقد تستمر هذه الحموضة رغم التهاب غشاء المعدة المزمن حيث يقل إفراز الحامض بل ويكاد ينعدم .

إذن ما سبب هذه الحموضة ؟ إنها ناتجة عن افرازات المعدة والمريء نتيجة الالتهابات التي تصيبها بسبب شرب الخمور .

ولكن هل تفيد المواد المضادة للحموضة؟ قد تفيد أول الأمر عندما يكون إفراز الحامض زائداً عن حده . أما في الحالات التي يكون فيها إفراز الحامض

ناقصاً أو منعدماً فإنها بطبيعة الحال لا تفيد .

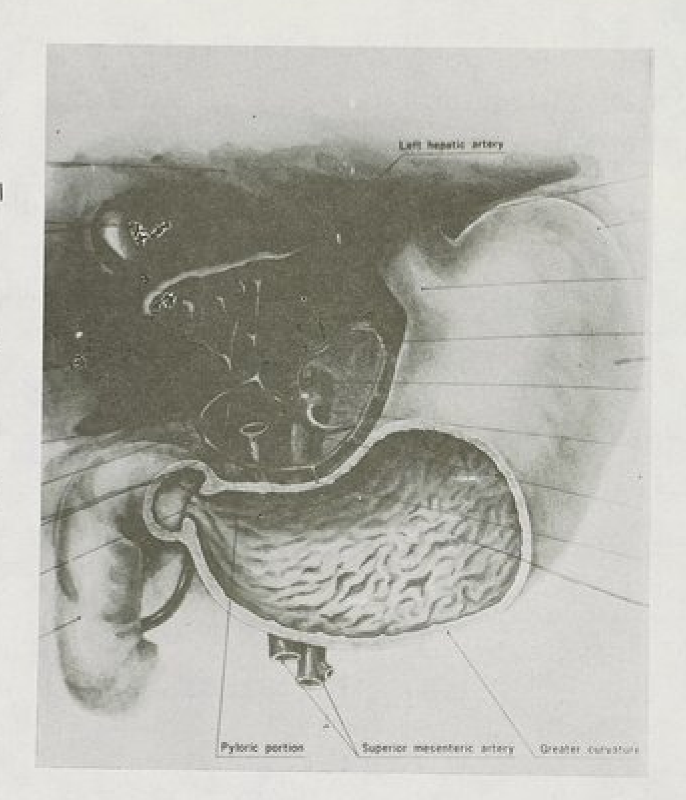
إذن مـا الذي يفيد ؟ مرة أخرى نعود إلى اللبن (الحليب) ولا شك أنه يفيد في تخفيف هذا الإحساس بالحموضة . ولكن شرب اللبن لوحده لا يكفي لا بد من توقف المريض أولاً عن شرب الخمور. وثانياً عن التدخين وثالثـاً عن تناول المواد الحريفة مثل التوابل والمخللات والبهارات .

الخمور والمعدة :

لقد أسلفنا القول في أن الخمور قد شربت منذ أقدم العصور كفاتحة للشهية وتفنن في ذلك الإغريق والرومان ولم يقصر في ذلك الفرس والبابليون بل لقد كان عرب الجاهلية يتفاخرون بهذه العادة . ولا يزال الناس في أوروبا وأمريكا



صورة للمعدة



صورة تشريحية للمعدة والاثني عشر والكبد والمرارة وقنواتها الرئيسية

وخاصة في فرنسا يهتمون بالأنبذة عند إعداد موائد الطعـام . ويدعونها هناك بالمشهيات . Aperitif

ولكن هل حقاً الأمر ذلك ؟

إن الانسان ينفرد من بين الحيوانات بقدرته على العيش على الوهم لآمـــاد طويلة وأحقاب وأزمان بعيدة . ويغتر الإنسان بظـاهر الأمر دون النظر إلى حقيقته وظاهر الأمر في الخمر أنها تفتح الشهية .. وذلك بتهيج الأغشية المخاطية من الفم إلى المعدة .. ويزداد بذلك إفرازات اللعاب وإفرازات المواد الهاضمة . ولكن ذلك سرعان ما يختفي .. ويعقب ذلك الحقيقة المرة .

وهي التهاب الأغشيه المخاطية للجهاز الهضمي ابتداء من الفم وانتهاء بالأمعاء . أي تفقد المواد الهاضمة . ويقل إفراز المعدة لحامض الهيدروكلوريك (كلور الماء) وتكون النتيجة فقدان الشهية وسوء الهضم ونبدأ فسنعرض إصابات المعدة نتيجة الخمور .

التهابات المعدة الحادة : Acute Gastritis

ويعتبر الكحول أهم الأسباب لالتهاب المعدة وخاصة في المناطق التي يتناول فيها الناس الخمور بكثرة وقد أجرى الدكتور بيمونت تجربة رائدة على خادمه الذي أصيب بناسور في المعدة حدث أثر طلق ناري عام ١٨٣٣ . وقام هذا العالم بإعطاه مريضه جرعة من الخمر فوجد أن الغشاء المخاطي للمعدة يلتهب وظهرت بثرات حمراء عميقة فوق سطح الطبقة المخاطية تكون في بادىء الأمر حادة الرأس وحمراء . غير أنها سرعان ما تمتلىء بمادة صديدية بيضاء كما يكسو الغشاء المخاطي للمعدة مادة كثيفة لزجة . وتقل إفرازات المعدة الهضمية كما يقل إفراز الحامض .

وتكون الافرازات مختلطة بالصديد والقيح والدم — غسلين — وقد لاحظ بومونت العالم أن مريضه قد شفي تماماً من جميع هذه الأمراض بعد خمسة أيام من التوقف عن شرب الخمور . وعادت معدته طبيعية تماماً بعد توقفه عن الشرب لهذه المدة الوجيزة .

ونستطيع نحن أن نعيد هذه التجربة دون الحاجة إلى إحداث ناسور أو انثقاب بجدار المعدة إذ ان لدينا الآن منظار المعدة Gastroscope ويمكننا أن نعيد هذه التجربة على العديد من الأشخاص وسنذهل حتماً عندما نجد نفس النتيجة .

بعد أيام من تناول الشخص الخمور نجد التهاباً في الغشاء المخاطي للمعدة ونجد

البثرات الحمراء التي وصفها بيمونت .. كما نجد المواد الصديدية كما نلاحظ أيضاً قلة افرازات المواد الهاضمة من المعدة سواء كان ذلك انزيم الببسين أو حامض الهيدرو كلوريك .



صورة لداخل المعدة وبها مجموعة من القرح التي تبدو بيضاء في الصورة التي أخذت بواسطة منظار المعدة . الصورة توضح أيضاً التهابات غشاء المعدة

كما أننا نلاحظ نفس النتيجة المدهشة التي حصل عليها بيمونت بعد توقف الشخص عن شرب الخمور .. تعود المعدة إلى حالتها الطبيعبة تماماً كما كانت قبل بدء التجربة .

ولا نحتاج بعد هذا إلى دليل يحطم تلك الخرافة التي تجمعت على مـــدار الأزمنة والعصور من أن قليلاً من الخمر يصلح المعدة فقد أبان الطب أن قليلاً من الخمر لا يصلح المعدة بل يفسدها وخاصة إذا استمر المرء في تناول ذلك القليل.. ولا يوجد هناك أي مانع من أن يتحول القليل في أي وقت إلى كثير إذ ليس هناك ما يحول بين المرء من تناول الكثير من الخمور إذا تعود تناول القليل فإن أي صدمة نفسية أو عاطفية أو فشل في مجالات العمـل أو الزواج أو الدراسة أو الحب يؤدي عند تعود تناول القليل من الخمر إلى تناول الكثير منها .

وباختصار يؤدي إلى الإدمان .

التهابات المعدة المزمنة:

إن التجربة التي أجراها الدكتور بيمونت تريـنـــا كيف تسبب الكحول التهابات المعدة .

إن الاستمرار في شرب الكحول يؤدي إلى حرض خلايا المعدة وموتهـا . وبموت هذه الخلايا تقل إفرازات المعدة من الببسين كما تقل إفرازات حـــامض الهيدروكلوريك ولهــذا الحامض فوائد عديدة فهو يساعد على هضم المواد البروتينية كما يقتل كثيراً من الميكروبات التي نبلعها مع طعامنــا . كما يؤدي نقص هذا الحامض إلى خلل في إفراز العامل الداخلي Intrinsic factor المهم في امتصاص فيتامين ب ١٢ من الأمعاء الدقيقة .

ويؤدي نقص امتصاص فيتامــين ب ١٢ إلى فقـر الدم الخبيث Pernicious Anaemia وهي أنيميا (فقر دم) شديدة تنقص فيها كرات الدم الحمراء إلى مليون في كل سنتي بدلاً من خمسة ملايين كما يقـــل الخضاب (الهيموجلوبين) إلى ثلاثه أو أربعة جرامات في كل مائة سنتي من الدم بدلاً من خمسة عشر جراماً عند الشخص السوي .

وتكون مصحوبة بشحوب شديد وتسارع في النبض وهبوط بالقلب. كما أن هذه الأنيميا الحادة تكون مصحوبة بإصابات بالغة في الجهاز العصبي تشبه التي ذكرناها عن إصابات البلاجرا أي يصاب المخ كما تصـــاب المسارات الهرمية Pyramidal Tract وتسبب شللاً علوياً حركياً Neurone Paralysis .

كما تصاب الضفائر الخلفية Posterior Column التي تحمل إحساسات الوقوف وإحساسات العضلات Deep Sensations وفقد الأحاسيس العميقة . كما تصاب الأعصاب بالتهاب الاعصاب المتعددة .

وباستمرار هذه الالتهابات في المعدةتضمر الخلايا وتموت ويسمى ذلك التهاب المعدة الضموري وتكون الأعراض فقدان الشهية والقيء المتكرر مع الغثيـان والاحساس بالحموضة مع الام في أعلى البطن كما يصاب المرء بسوء الهضم..ويشعر المريض بالانتفاخ بعد أية وجبة مهما كانت بسيطة .. كما تنتـابه حالات إسهال شديد تتناوب مع حالات إمساك. وتكون هذه مصحوبة بالتهاب اللسان وبخر الفم كما تكون مصحوبة عادة بالتهاب المريء .

وينتاب المريض حالة من الكآبة والضيق ناتجة عن شرب الخمور وتأثيرهـا على الجهازين العصبي والهضمي .

ورغم تقدم المرض إلا أن المريض يشفى في الغالب تماماً بعد أن يقلع عن شرب الخمور .

ولكن إذا استمر المريض في تناول الخمور فإن الالتهابات المزمنة بالمعدة قد تؤدي إلى الاصابة بسرطان المعدة.

سرطان المعدة :

إن هذا المرض الخبيث هو أكثر ما يكون انتشاراً في اليابان ثم في أوروبا.

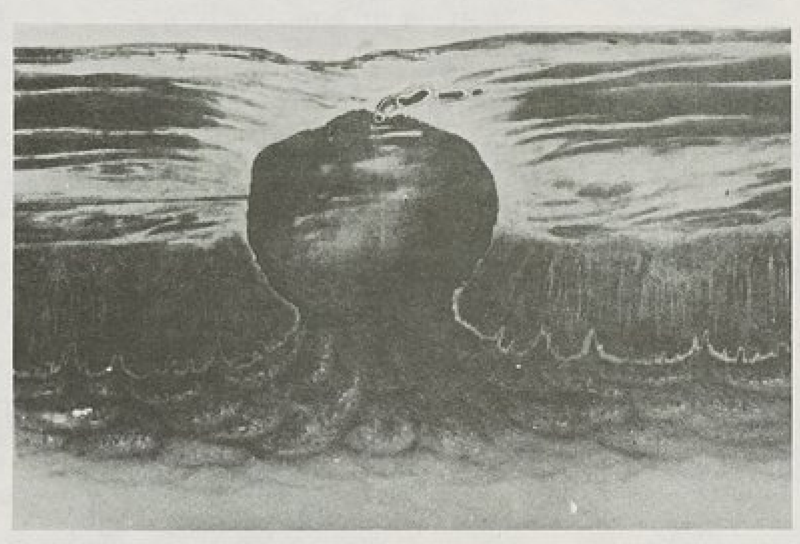
يمكن أن يتم فيها هذا الاجراء عند عرضها على الطبيب . ومع هذا فإن ١٥ في المائة فقط من الحالات التي يتم فيها الاستئصال بنجاح هم الذين يعيشون لمدة خمس سنوات .

أما إذا كان المصاب في سن الثلاثين أو أقل فإن العلاج يكون ميؤوساً منه ولا يكاد يوجد أي أمل في شفائه لا بعملية الاستئصال ولا بغيرها .

قرحة المعدة والاثني عشر :

إن هناك أسباباً عديدة تساهم في تكون قرحة بالمعدة أو الاثني عشر ولا شك أن هناك استعداداً وراثياً مع وجود عوامل القلق والضيق يضاف اليها الأغذية الحريفة .

ومن المعروف أن الكحول كمادة حريفة مصحوبة مع الاكثار من التدخين والانفعالات النفسية الشديدة التي تصاحب الادمان تؤدي إلى قرحة المعدة أو الاثني عشر .



الغشاء المخاطي للمعدة

قرحة المعدة

صورة تشريحية لقرحة المعدة التي تكثر عند مدمني الخمور

وقد وجدأن قرحة المعدة المزمنة تؤدي في أزمانها في بعض الحالات إلى التحول السرطاني كما أن التهـــاب المعدة الضموري المزمن قد يؤدي كذلك إلى ظهور هذا المرض الخبيث وقد رأينا أن أهم أسباب التهاب المعدة الضموري هو تناول الكحول بصورة مزمنة .



صورة بالأشعة لسرطان المعدة

ونحن نعرف أن قرحة المعدة تكثر عند متناول الكحول .

وهكذا نجد الكحول سبباً غير مباشر لهذا المرض الوبيل الخطير إذ إن المصاب به لا يعيش أكثر من عام منذ بدء الاعراض مهما كان العلاج إلا فيما ندر. وليس معنى هذا أن غير المدمنين لا يصابون بهذا السرطان .

واستئصال المعدة هو الإجراء الوحيد الممكن ولكن ربع الحالات فقط

فالكحول تزيد من إفراز مـــادة الجاسترين Gastrin التي تزيد من إفراز حامض الهيدروكلوريك – كلور الماء – المؤدي إلى القرحة .

ومما يزيد الطين بلة أن شارب الخمور يضطر لتعاطي كميـــات كبيرة من الأسبرين ومشتقاته ليخفف من أثر الصداع الذي يصيبه في كل صباح أثر ليـــالٍ حمراء يقضيها في صحبة الكأس والطاس .

والأسبرين والبيتوازولدين والكورتيزون ومشتقاتها هي من العقـــاقير التي تسبب القرحة عند من لديه الاستعداد وتجعلها مزمنة عند من أصيب بها كما أنها تؤدي إلى مضاعفاتها من نزف وانثقاب مؤديين إلى الحتف والهلاك .

ولذا فإن علاج مرض القرحة (المعدة والاثني عشر) يتلخص في الامتناع البتة عن شرب الخمور والاقلال من التدخين أو الامتناع عنه والاقـــلال من شرب القهوة والشاي وتجنب المواد الحريفة مع الأكل مع الامتنـــاع عن السهر والارهاق الشديد وتجنب الانفعالات النفسية الشديدة قدر الامكان .

ولا بد من الاكثار من شرب اللبن فهو علاج وغذاء .

وهكذا نرى أن الخمر أحد أهم أسباب أمراض الجهاز الهضمي .. ويعتبر الاقلاع عن شربها البتة أحد الأركان الهامة في البناء العلاجي لهؤلاء المرضى .

فإذا كنت من أولئك الذين يشربون الخمر فبادر إلى تركها قبل أن تصبح إدماناً وتعتريك الأمراض والعلل من كـــل جهة .. وتخسر بذلك صحتك ومالك وعقلك .

وباختصار قبل أن تخسر آخرتك ودنياك .

الكحول والتهابات الأمعاء الدقيقة والغليظة :

تسبب الخمر تهيجاً في الأغشية المخاطية للجهاز الهضمي ابتداء بالفم وانتهاء

بالأمعاء الدقيقة والغليظة .

ويؤدي ذلك إلى احتقان الأمعاء كما قد يؤدي مع الازمان إلى تقرحها .

ولذا تسبب الخمر نوبات إسهـــال وإمساك كما أنها تسبب سوء هضم وسوء امتصاص للغذاء .

ولذا تسبب الخمر نوبات إسهال وإمساك كما أنها تسبب سوء هضـــم وسوء امتصاص للغذاء .

فيقل امتصاص المواد البروتينية كما يقل امتصاص الفيتامينات وقد ذكرنا آنفاً أن امتصاص فيتامين ب ١٢ من الأمعاء الدقيقة (الصائم Ileum) يقل جداً نتيجة نقص العامل الداخلي Intrinsic Factor كما يقل امتصاص الفيتامينات الأخرى .



صورة للبنكرياس

أما أولئك المرضى المصابون بالتهابات الأمعـــاء الدقيقة والغليظة نتيجة الطفيليات مثل الأميبا أو البلهارسيا أو نتيجة أي مرض آخر مثل تقرحات الأمعاء Ulcerative Colitis فإن شرب الخمور يؤدي إلى زيادة الالتهـــاب والاحتقان ويزيد الطين بلة .

ولذلك فإن الأطباء في جميع أصقاع الأرض متفقون على نصح هؤلاء المرضى بالابتعاد عن الخمور .

الكحول والبنكرياس :

إن البنكرياس غدة هامة متصلة بالجهاز الهضمي وتقع في أعلى البطن خلف المعدة وهو مكون من شقين :

١ – غدة متصلة بالجهاز الهضمي :

بقناة البنكرياس التي تصب في الاثني عشر قريباً من فتحة القناة المرارية التي تحمل افرازات الكبد إلى الاثني عشر .

وهذه الغدة تفرز مجموعة من الانزيمات الهـــاضمة مثل التربسين لهضم المواد البروتينية .

والاميليز لهضم المواد النشوية .

والليبيز لهضم المواد الدهنية عند وصول الطعـــام الى الاثني عشر وذلك بطريقتين :

أ – بطريق العصب الحائر.

ب– يتكون هرمون في الاثني عشر عند ملامسة الطعـــام له وكلا هذين يؤثر في غدة البنكرياس لتفرز الانزيمات الهاضمة التي تصب في قناة البنكرياس ومنها إلى الاثني عشر .

٢ ــ غدة صماء مكونة من جزائر لانجرهان :

وفيها مجموعتان من الخلايا :

أ ــ خلايا (١) وهي تفرز مادة الجلوكاجون Glucagon وهذه مسؤولة عن تحويل السكر المختزن بالكبد إلى سكر عنب (جــلوكوز). جلايكوجين ← جلوكاجون ← جلوكوز .

ب ــ خلايا ب وهذه تفرز مادة الانسولين الهامة التي بدونها لا يدخــل السكر إلى الدم إلى الخلايا ولا يحترق . ونقص مادة الانسولين يؤدي إلى مرض البول السكري المعروف .

فكيف تؤثر الكحول على البنكرياس ؟

التهاب البنكرياس الحاد الدموي :

وهذا المرض جد خطير . ويؤدي إلى نخر وموت خلايا البنكرياس مع نزف شديد فيه .

ولست أزعم أن شرب الخمور هي السبب الرئيسي لهذا المرض فقــد وجد أن خمسين في المائة من هذه الحالات تقريباً تحدث بعد نوبات التهاب المرارة أو وجود حصى فيها .

ولكنه قد لوحظ أن كثيراً من هذه الحالات تحدث بعد نوبات انغماس في شرب الخمور .

والكحول تسبب الاحتقان والأديما (انتفاخ) ثم تنكرز (نخر وموت) الخلايا .

والنخر يؤدي إلى افراز انزيمــات البنكرياس المختزنة في الخلايا . وكما أن

هذه الانزيمات هـاضمة فتقوم بهضم خلايا البنكرياس كما تهضم الأوعية الدموية فتنفجر .

كما يؤدي انزيم الليبيز إلى هضم المواد الدهنية الموجودة في البريتون ويحتوي الغشاء البريتوني في هذه الحالة على سائل دموي وخاصة في الجيب الأصغر .

كما تتكاثر الميكروبات وخاصة من مجموعة العصويات المعوية .

الأعراض :

يشكو المريض ألماً حاداً مفاجئاً مفزعاً في أعلى البطن ويستمر الألم دون هوادة ويزداد مع كل دقيقة تمضي وينتشر الألم إلى الظهر في الجهة المقابلة لأعلى البطن .

ويبدأ القيء المتكرر حتى يفرغ المريض كل ما في جوفه حتى الصفراء .. وتكون البطن منتفخة وحساسة جداً لأي لمس .. وتتوقف حركة الأمعاء فلا تسمع لها وقعاً . كما ترتفع درجة الحرارة عند المريض ويسرع نبضه أما ضغط الدم فينخفض ويكون بالجلد آثار زرقة خفيفة مع يرقان بسيط .

ويصبح التنفس عسيراً لعدم قدرة الحجاب الحاجز على الحركة كما تكثر الالتهابات الرئوية ويصاب القلب بالوهط (هبوط القلب) . وتصبح الوفاة قاب قوسين أو أدنى . وللأسف فإن معظم المرضى قد يلاقون حتفهم حتى قبل نقلهم إلى المستشفى كما أن كثيراً منهم يلاقون نهايتهم في المستشفى نفسه رغم العلاج .

ولكن عدداً ليس بالقليل يشفى بالعلاج السريع الدقيق .

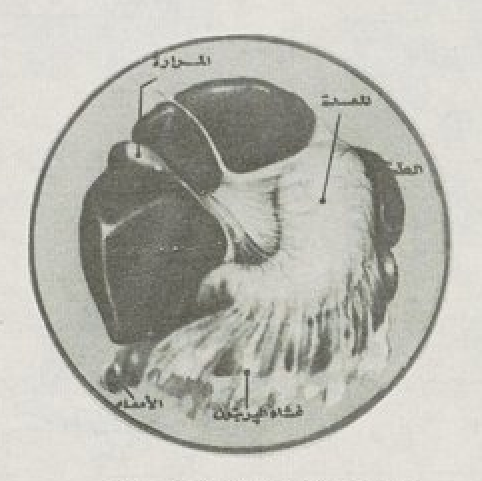
ويعطى المريض محلول الملح مع الجلوكوز كما يعطى محلول التراسيلول وتعالج الصدمة والآلام بالمسكنات وقد نضطر لإعطاء المريض حقنة مورفين .

كما يعطى المريض مضادات حيوية وأوكسجين لمساعدته على التنفس وبعد إنقاذ المريض يمنع من شرب الكحول البتة ويشرح الطبيب للمريض الأخطار المحدقة به إذا هو هم بشرب الكحول .

التهاب البنكرياس تحت الحاد :

وتشبه الأعراض هنا الأعراض السابقة التي تحدث في الالتهاب الحاد إلا أن حدتها أخف .. كما تكون نوبات الألم كل ساعتين أو ثلاثة وليست مستمرة كما هي في الالتهاب الحاد . وعادة ما تحدث بعد تناول وجبة من الطعام بساعتين.

ويكون العلاج كسابقه ويمنع المريض من شرب الخمور كما ينصح بالاقلال من الدهنيات وتعالج أمراض المرارة إذا كانت موجودة وخاصة الحصوات المرارية التي كثيراً ما تصاحب هذا المرض .



الكبد وقد رفع إلى أعلى ليظهر مكان المعدة تحته

صورة للكبد توضح مكانه في التجويف البطني

التهاب البنكرياس المزمن :

إن التهاب البنكرياس المزمن يحدث عادة بعد الالتهاب الحاد .. ومن أهم أسبابه شرب الخمور كما أن هناك أسباباً أخرى هامة منها التهـــاب المرارة المزمن .

ويصاب المريض بسوء الهضم الدائم مع الام المتكررة في أعلى البطن وعادة ما تكون بعد الأكل بساعتين . كما قد يصاب المريض باليرقـــان (الصفراء) وتكون نوبات الألم حادة في الجزء الأعلى الأيسر من البطن وتحت الضـــلوع اليسرى ملتفة إلى الخلف باتجاه العمود الفقري .

ولا يسكن الألم إلا بحقن المريض بالمورفين أو مشتقاته وبالفحص المعمـــلي للبراز نجد أن الدهون كثيرة وأن المراد الغذائية من بروتين ونشاء لم تهضم .

ويكون أهم جزء في العلاج الوقائي هو الامتنـــاع عن شرب أي نوع من الخمور البتة .

كما تعالج أمراض المرارة إن وجدت . ويعطى المريض الانزيمات الهاضمة أثناء الطعام على شكل أقراص .

الخمر والكبد

الكبد هو أكبر غدة بالجسم وتزن حوالي أربعة أرطال (كيـــلو ونصف) وهو موجود في الجزء العلوي الأيمن لتجويف البطن . وتشغـــل المراق الأيمن والقسم الشراسيفي وجزءاً صغيراً من الخاصرة اليمنى والمراق الأيسر .

ويغطي البريتون الكبد من كل سطوحها تقريباً عدا فرجتهـــا وجزءاً من سطحها الخلفي ويعرف بالجزء العلوي العاري للكبد .

ويغذي الكبد الشريان الكبدي وهو متفرع من الشريان الأبهر (الأورطي)

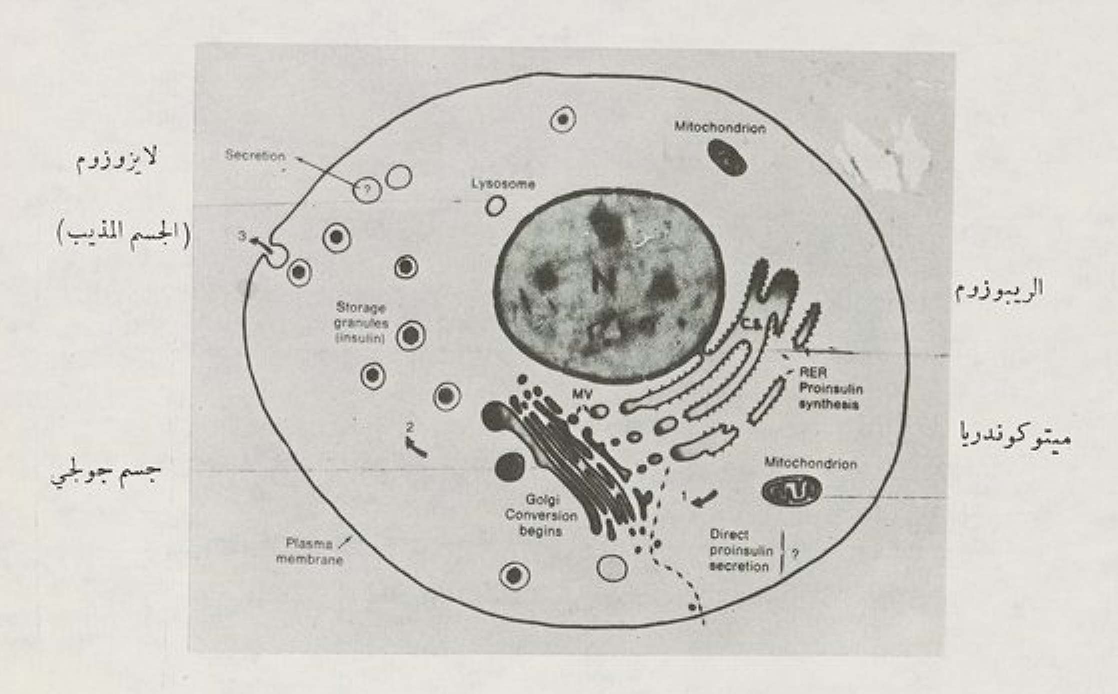
البطني والوريد البابي . ويحمل الدم مع الغذاء المهضوم من المعدة والأمعاء الدقيقة ومن الطحال .

ويخرج الدم من الوريد الكبدي في أعلى الكبد إلى الوريد الأجوف السفلي ومنه إلى الأذين الأيمن للقلب .

ويغذي الكبد من الأعصاب الضفائر الذاتية Autonomic Plexisse عن طريق الضفيرة السمبتاوية (التعاطفية) Sympathatic والعصب الحائر (نظير التعاطفي) .

وتتكون كبد الإنسان من مجموعة من الخلايا على شكل صفوف متراصة من الخلايا الكبدية تشع من الوريد الوسطي وتتخللها ملايين البحيرات الدموية الصغيرة في أقبية ودهاليز بين كل مجموعة من الخلايا .

وتتكون الخلية الكبدية كأية خلية حيوانية من نواة بها مادة الكروماتين



(الصبغة) وبالتحليل الكيميائي نجدهـا مكونة من مادة الـ د. ن. أ D. N. A. وهي المسؤولة عن جميع الصفات الوراثية وعن الانقسام فهي تحمل الجينـات المسؤولة عن الصفات الوراثية .

أما الستوبلازم فهو مادة بروتينية هلامية تحيط بالنواة وتشغل فراغ الخلية ويوجد به :-

١ – الميتوكوندريا Mitochondria .

وهي رئة الخلية إذ فيها تحصـل أكسدة الجلوكوز (سكر الدم) إلى ثاني أكسيد كربون وطاقة بواسطة عمليات كيميائية معقدة .. وتحصل الأكسدة بأخذ الأوكسجين من الدم بواسطة الهموجلوبين .

وتتم هذه العملية العجيبة ضمن أربعين خطوة كيميـائية ويحتفظ الجسم بالطاقة الناتجة على شكل طاقة مخزونة في مادة الـ A. T. P. وإلا فإن الطـاقة الآتية من أكسدة الجلوكوز كفيلة بإحراق جميع خلايا الجسم .

٢ – الميكروسرم أو الريبوزوم : Ribosome

وهو مادة عجيبة مكونة من حامض بروتيني هـو « ر. ن. أ R. N. A. » وهو مركز صناعة البروتينات في الخلية وهو الذي يصنع بروتينـات الجسم كما أنه هو الذي يصنع مادة الالبومين (الزلال) والبروثرمبين والمواد المساعدة على تخثر الدم .

كما أنه المركز الأساسي لإزالة السموم والمواد الغريبة سواء كانت هذه السموم ناتجة عن هضم المواد الغذائية ام المواد التي تتكون في الجسم أثناء العمليـات المعقدة كالتمثيل الغذائي والأكسدة أم أن هذه المواد أخذناها كعقاقير وأدوية او كحول أو خلافه .

وكيفما كانت طريقة دخول السموم إلى الجسم فإن الريبوزوم يقوم بمهمة القضاء على هذه السموم بتحويلها إلى مواد غير سامة .

يا له من مصنع عجيب لا يبلغ حجمه ميكروناً واحداً (الميكرون واحد من الألف من المليمتر أي واحد من المليون من المتر) .

٣ – لايزوزوم : Lysosome

وهو مجموعة أجسام كثيفة بها انزيمات هيدرولية (مائية) ووظيفتها كنس الخلية من المواد السامة والمواد المتحطمة أثناء عمليات التمثيل . كما أنها محطة ترسب الصبغات المختلفة الناتجة عن تحطيم كرات الدم الحمراء ومحطة ترسيب مادة الصفراء .

٤ – أجسام جولجي Golgi Apparatus

وهي مركز تجميع وتصدير المواد إلى القنيوات الصفراوية .

كيمياء الكبد الحيوية :

تمثيل الصفراء :

إن الجميع يعرفون أن الكبد هي التي تفرز مادة الصفراء التي تتجمع في القنيوات الصفراوية حتى تصبه في المرارة وهناك تتجمع وتتركز وتفرز من المرارة عند وصول الطعام الدهني إلى الاثني عشر .. ولكن القليل هم الذين يعرفون أن المادة الصفراوية ناتجة عن تحطيم كرات الدم الحمراء التي انتهى أجلها ومعدل أجل أية كرة دم حمراء هو ما بين ٩٠ إلى ١٢٠ يوماً .

وفي كل ساعة من عمرنا تتحطم ١٥٠ مليون كرة دم حمراء ويموت معظمها في الطحال(٨٠ في المائة) وبتحلل كرات الدم هذه يخرج الخضاب (الهيموجلوبين)

وهو مكون من مادتين جلوبين وهو بروتين Globin وهيم وهو صبغة مادة الحديد .. وتتحول هذه الصبغة إلى مادة صفراء (بيلوروبين) Bilirubin .

وتقوم الكبد بإفراز هذه المـــادة الصفراء في ملايين القنيوات الصغيرة التي تتجمع في القنـــاة الكبدية التي تصفي الحويصلة المرارية Gall Bladder حيث تتجمع الصفراء وتتركز . ثم تفرز من الحويصلة المرارية إلى الاثني عشر عنـــد وصول الطعام الدهني إليه .

تمثيل الجلوكوز :

يقوم الكبد بتخزين الجلوكوز من الدم والممتص من الأمعاء ويحول الفائض منه إلى مادة للتخزين وهي مادة الجليكوجين بواسطة عمليات كيميائية معقدة.

كما أن الكبد يحول الجليكوجين إلى سكر جلوكوز ويطلقه في الدم عندما تقل نسبة السكر في الدم عن ٨٠ مجم .

وهكذا تبقى نسبة السكر في الدم ثابتة في حدود معينة لا تزيـــد عن ١٨٠ مجم حتى بعد أكلة سكرية ونشوية ولا تقل عن ٨٠ مجم حتى بعد صيام ساعات طويلة .

تمثيل البروتينات والاحماض الامينية :

تقوم الكبد بتخزين الأحماض الأمينية الممتصة من الأمعـاء والآتية بواسطة الوريد البابي. وتحويلها في مصنع الخلية الكبدية الميكروسوم أو الريبوزوم إلى بروتينات يحتاجها الجسم مثل الألبومين الزلال والبروترمبيين ومجموعة الانزيمات الضرورية لتخثر الدم .. كما تصنع الكبد العديـــد من المواد البروتينية كذلك تقوم الكبد بتحويل مادة النشادر السامة إلى مـــادة البولينا الأقل سمية . والتي تطرد بواسطة الكلي .

تمثيل المواد الدهنية :

تقوم الكبد بتمثيل المواد الدهنية الآتية من الجهـاز الهضمي بواسطة الوريد الباپي . وتدخلها في دورة كريب لانتاج الطاقة . كما أن الكبد تقوم بصنع مادة الكوليسترول الضرورية لبناء كثير من الهرمونات مثل هرمونات الغدة الكظرية وهرمون البروجسترون وهرمون التستترون وهرمون الأوستروجـين . كما تتحول هذه المـادة (الكوليسترول) بواسطة أشعة الشمس فوق البنفسجية تحت الجلد إلى فيتامين د. وتقوم الكبد بإنتاج كميـات من المواد البروتينية الدهنيه كما تصنع كذلك المواد الدهنية الفسفورية الهامة للجهاز الهضمي .

كما ترسل الكبد الدهنيات الفائضة عن الحاجة إلى أماكن التخزين في الجسم على هيئة شحم تحت الجلد وخاصة في البطن والأرداف .

إزالة السموم :

وللكبد وظيفة هامة وهي إزالة السموم من الجسم . ومصادر هذه السموم عديدة فمنها ما يتكون أثناء عمليات الهدم والبنـاء المستمرة في الجسم وقد ذكرنا منها مادة الصفراء (البلوروبين) التي تتكون من تحطـيم كرات الدم الحمراء.

ومنها ما يأتي عبر المواد المهضومة من الأمعاء مثـل مادة النشادر . التي يضطر الكبد إلى تحويلها إلى مادة البولينا .

ومنها ما يأتي بواسطة العقاقير والأدوية التي نتناولهـا بعدة طرق .. فمنها ما نأخذه بطريق الفم ومنها ما نتناوله بطريق الحقن والابر ومنهـا سموم نتناولها كمزاج ومنها الخمور .

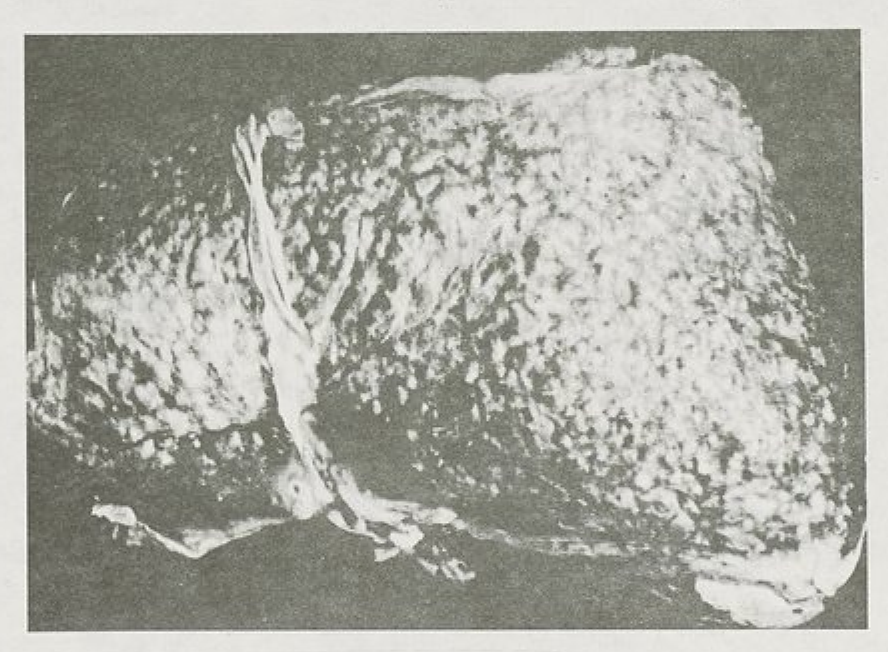
ونكتفي بهذا القدر والمقدمة عن الكبد ووظائفهـا ولننظر الآن في الخمر

(١٠)

كيف تؤثر على الكبد وما الذي تسببه لها من أمراض . بعد أن عرفنـــا نبذة جيدة عن الكبد ووظائفها .

تقول الدكتورة شرلوك أشهر اخصائية في أمراض الكبد في العالم في كتابها القيم أمراض الكبد الطبعة الرابعة ١٦٨ «لا يوجد أي شك في أن تليف الكبد يصيب مدمني الخمور أكثر من غيرهم – ففي مقـــابل كل شخص مصاب بتليف الكبد من غير المدمنين نجد ٨ و ٦ اشخاص من المدمنين مصـــابين بالتليف الكبدي » .

« وفي البلاد الغربية نستطيع أن نقول بكـــل ثقة أن تليف الكبد يعتمد مباشرة على كمية الكحول المتعاطاة . إن إصابة الكبد وتحطمهـــا يعتمد على كمية الكحول المتعاطاة وعلى المدة . فالاستمرار في تعاطي الكحول لمدة عشر سنوات يؤدي إلى إصابة شديدة بالكبد » .



صورة لكبد متلفية نتيجة شرب الخمور

وقد كان الاعتقاد السائد في الدوائر الطبية إلى ما قبـــل اكتشاف المجهر (الميكروسكوب) الالكتروني أنه لا بد لكي تؤثر الخمر على خلايا الكبد مع مرور سنين طويلة مع استمرار تعاطي الخمور ، ولكن هذا الاعتقـــاد أصبح زائفاً بعد اكتشاف المجهر الالكتروني .

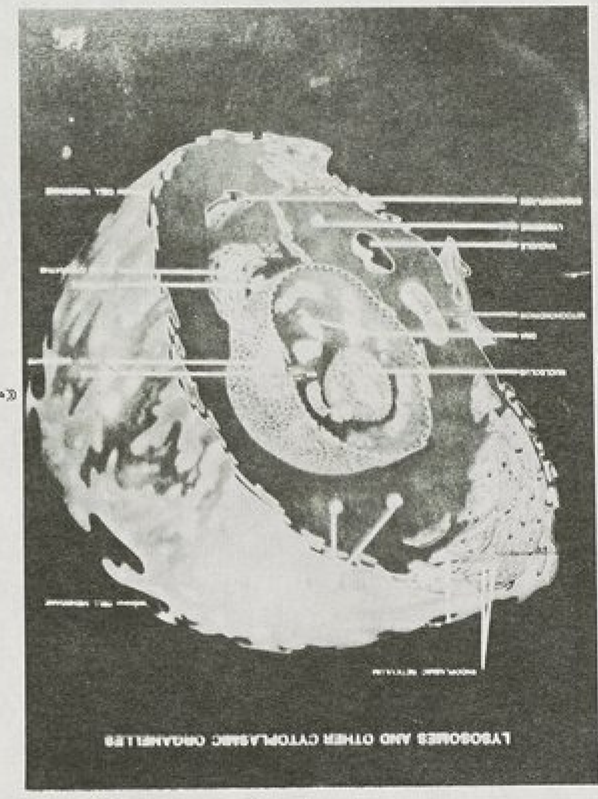
فالمجهر الالكتروني يرينا تغيرات هامة في كل مكونات الخلية الكبدية بمجرد تناول جرعة واحدة من الخمر وفي خلال أربع وعشرين ساعة من حين تناولها.

فالميتوكوندريا التي تحدثنا عنها وقلنـــا عنها إنها رئة الخلية وفيها يتحول الجلوكوز (سكر الدم) إلى طاقة وثاني أوكسيد كربون وماء بعمليـــات أكسدة معقدة جداً .. هذه الميتوكوندريا تصـــاب بتغيرات مرضية وتفقد قدرتها على العمل خلال ٢٤ ساعة من تناول جرعة واحدة من الخمور .

كما أن المصيبة الأعظم والأنكى تصيب النواة .. وتصيب بالذات الحامض النووي الذي به سر الحياة .. هذا الحامض العجيب الذي يحمل في طيـــاته الصفات الوراثية من أجدادنا وآبائنا وأمهاتنا .. ويحمل لنـــا صفات الطول أو القصر وصفات البدانة أو النحافة ولون البشرة ولون العينين كما يحمل لنا كثيراً من الأمراض الوراثية وكثيراً من الاستعدادات للأمراض كما يحمل لنا الاستعداد للصفات الشخصية والأخلاقية .. وتتفاعل هذه مع البيئة لتكون أخلاقنـــا وشخصياتنا وأحلامنا وأمراضنا باختصار تكون مع البيئة كل شيء لدينـــا من ضعف وقوة ومن مرض وصحة.

وهذا الحامض النووي يتجمع على شكل الصبغيات (الكروموسومـــات) وهي المسؤولة عن انقسام الخلية . وإذا عرفنـــا أن عمر الخلية الكبدية يتراوح بين مائتين إلى أربعمائة يوم وأن هناك الملايين من الخلايا الكبدية التي تموت كل ساعة وتستبدل بغيرها عرفنـــا أهمية الانقسام وأهمية الصبغيـــات

(الكروموسومـات) إذ لولا الانقسام لما أمكن استبدال الخلايا التي هلكت ولاقت حتفها بخلايا جديدة .



النواة
وبها الحامض النووي
على هيئة صبغيات
(كروموسومات)
وهي المسؤولة عن
الصفات الدراسية

ريبوزوم
(ميكروسوم)
«مصنع البروتينات»

الميتو كوندريا
« رئة الخلية »

صورة توضيحية للخلية

وهكذا تؤدي الخمر إلى حتف الخلايا وهلاكها كما أنها تؤثر على الحامض النووي فيمنع الخلية من القدرة على الانقسام .. ولا يكون أمـام الكبد من شيء إلا أن تستبدل الخلايا الكبدية بألياف جامدة ميتـة لا تستطيع أن تؤدي شيئاً من وظائف الكبد .. التي أفضنا ذكرها في الصفحات القليلة الماضية .

وبعد ثلاثة أيام إلى عشرة من شرب جرعة واحدة من الخمر تظهر التغيرات

الدهنية في الخلية الكبدية .

فنحن قد شرحنا كيف أن الكبد يقوم بتمثيل الدهون كما أن الكبد يقوم بتحويل هذه الدهون إلى مركب دهني بروتيني وإلى مركب دهني فسفوري .. فالدهون الممتصة من الأمعاء تتجمع في الخلايا الكبدية دون أن تتحول إلى طاقة بواسطة دورة كريب .. وتتجمع بهذا كمية كبيرة من الدهون كما تفقد الكبد قدرتها على صناعة المركبات الدهنية البروتينية والمركبات الدهنية الفسفورية .. ومحطة تكوين مثل هذه المركبات هو ميكروسوم (ريبوزوم) الخلية الكبدية.

كما تزداد كمية الدهون الآتية من المخازن الدهنية بالجسم ، (تحت الجلد) ولكن احتراقها وتحولها إلى طاقة أمر قد أصبح عسيراً على الكبد .

فيتجمع بذلك الدهن من ثلاثه مصادر .

(١) الدهنيات الغذائية الممتصة من الأمعاء .

(٢) فشل الكبد في إحراق الدهون وتحويلها إلى طاقة .. وكذلك فشل الكبد في تكوين مركبات دهنية بروتينية ومركبات دهنية فسفورية .

(٣) زيادة كمية الدهون الآتية من المخازن الدهنية في الجسم .

وكل هذا بتأثير الكحول .

هكذا نرى بالميكروسكوب الالكتروني تغييرات مرضية في النواة . وتغييرات مرضية في الميتوكوندريا وتغييرات مرضية في ميكروسوم الخلية الكبدية . وتغييرات في جسم جولجي بل أن السيتوبلازم نفسه يرينا تغييرات دهنية .. إذ تتجمع الدهون في سيتوبلازم الخلية الكبدية .

ولولا المجهر الالكتروني لبقينا في ضلالنا القديم نعتقد أن الخمر لا يمكن أن تؤثر على الكبد إلا إذا تعاطاها الشخص لسنين وأحقاب طويلة .

وها هو المجهر الالكتروني يكشف زيف معتقداتنا السابقة ، كما أن هناك اعتقاداً زائفاً أبانت المكتشفات العلمية الحديثة خطأه .. ذلك الاعتقاد بأن إصابة الكبد بالتليف عند مدمني الكحول ليس ناتجاً عن الآثار السمية المباشرة للخمر وإنما هو ناتج عن نقص البروتين والفيتامينات في غذاء مدمن الخمر .

ونحن لا نشك في أن مدمن الخمر يعاني من سوء شديد بالتغذية ولكن التأثيرات الكبدية ليست نتيجة سوء التغذية فقط . فقد ثبت ان سوء التغذية تسبب التغييرات الدهنية فحسب .. ولكن موت الخلايا والتأثيرات المرضية (الباثوليجية) على النواة وعلى الميتوكوندريا وعلى أجسام جولجي وعلى الميكروسوم .. كل هذه التغيرات هي نتيجة للآثار السمية المباشرة للخمر على الخلايا الكبدية .. وليس لها أدنى علاقة بسوء التغذية إذ تظهر هذه التغيرات إثر جرعة واحدة .. ولا يعقل أن يصاب شخص ما بأمراض سوء التغذية من جراء جرعة واحدة من الخمر .

كذلك هناك وهم شائع من أن بعض الخمور فقط هي التي تسبب التليف الكبدي فقد كان يظن أن البيرة والأنبذة هي التي تؤدي الى التليف الكبدي ولكن الويسكي والجين لا تؤدي الى ذلك .

ولكن الواقع الطبي يثبت أن الخمور كلها تؤدي الى نفس النتيجة ولم يثبت قط أن هناك خمراً أقل ضرراً من خمر أخرى .

كما قد يظن البعض أن البيرة تعتبر أخف ضرراً من الخمور الأخرى لأنها أولاً تحتوي على نسبة منخفضة من الكحول وثانياً تحتوي على كمية ضئيلة من البروتين وفيتامين النياسين ولكن الكمية الموجودة .. من الفيتامين والبروتين ضئيلة جداً (١٠ مجم في كل لتر) وقد ثبت أن البيرة تؤدي الى التليف (التشمع)

الكبدي مثلها مثل الأنبذة والويسكي .

ولعل غير شاربي الخمر لا يعرفون أن كأساً من الويسكي (عـــادة كأس صغيرة تحتوي على ثلاثين سنتي) تساوي كأساً من البيرة (عــادة كأس كبيرة تحتوي على نصف لتر اوباينت) .

وإذا رأيت مجلس شراب فإنك ترى هـــذا بيده كأس ويسكي وهذا بيده كأس شمبانيا وذلك بيده كأس بيرة .. وإذا قست كمية الكحول في كل من هذه الكاسات لوجدتها متساوية تماماً .

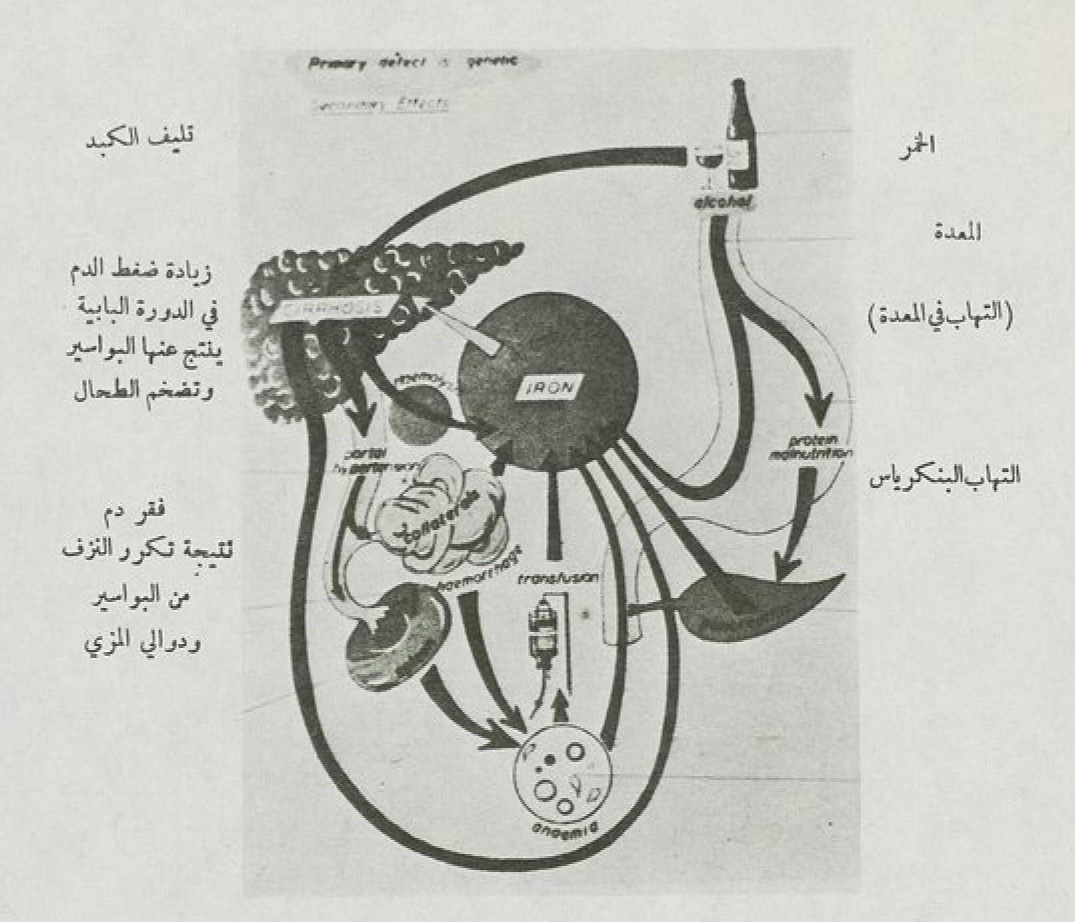
فكأس الويسكي أو البراندي صغيرة وكأس الشمبانيا أو الأنبذة أكـــبر قليلاً أما كأس البيرة فكبيرة وتسع نصف لتر .

فإذا شرب امرؤ ما ثلاث كاسات من الويسكي أو ثلاث كاسات من النبيذ أو ثلاثة كاسات من البيرة فـإن النتيجة تكون واحدة ويرتفع الكحول في دمه الى نسبة ٥٠ مجم في خلال ساعة ونصف من شرب هذه الـكمية . كما أن بعض الأنبذة بها مادة ثاني أكسيد الكربون مثل الشمبانيا فبمجرد فتح قـــارورة الشمبانيا تسمع لها فرقعة وذلك لتطاير الغاز منها . كما ترى الخمر في الكأس وقد حفها الحبب كما وصفها أبو نواس وهذا الحبب ليس إلا ثاني أكسيد الكربون.

أما الويسكي فليس به ثاني أكسيد الكربون ولذا نرى معظم شاربي الويسكي يضيفون اليه الصودا والصودا شراب مليء بثاني أكسيد الكربون .

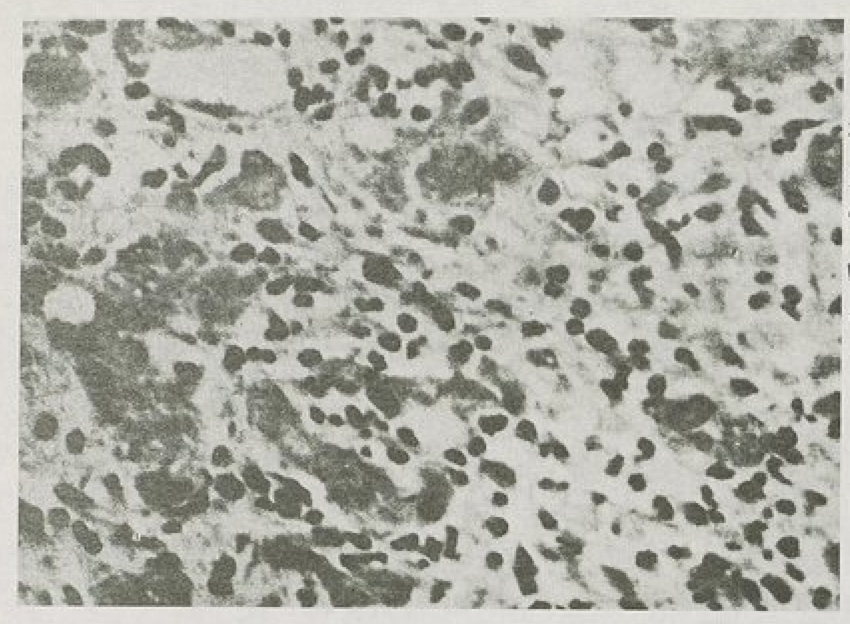
عندئذ يتساوى تماماً كأس الويسكي بكأس الشمبانيا حتى في الحبب الذي يغرم به مدمنو الخمور وشعراؤها .

امـــا فائدة ثاني أكسيد الكربون هذا أو بالأحرى مضرته هو أنه يزيد من قدرة الجهاز الهضمي على امتصاص الكحول .. ويجعـــل الامتصاص أسرع والوصول الى مرحلة السكر والعربدة أقرب .



صورة توضح آثار الخمر على الجهاز الهضمي

وإذا أضفنا إلى ذلك أن مرضى سوء التغذية من غير المدمنين لا يصابون قط بالتليف الكبدي رغم إصابتهم بزيادة الدهن في الكبد مثل مرض كواشر كور . وهو مرض يصيب الأطفال بعد سن الرضاعة عندما يكون غذاؤهم فقيراً جداً في المواد البروتينية وغنياً بالنشويات .. إذا أضفنا ذلك فالأدلة تتضافر في أن سوء التغذية ليس هو السبب في التليف الكبدي وليس هو السبب في التهاب الكبد الذى نجده عند متعاطي الكحول .



مادة هلامية حمراء وهي عبارة عن خلايا كبدية لاقت حتفها نتيجة شرب الخمور

صورة بالمجهر للخلايا الكبدية وقد استبدلت بخلايا ليفية وخلايا ميتة تظهر على شكل هلامي

وإنما السبب في ذلك أن الكحول (الخمور) سم ناقع يصيب الخلايا الكبدية فيسبب مرضها وهلاكها . وإذا نظرنا في المجهر وفحصنا الخلايا الكبدية لشخص تعاطى الخمور نجد التغييرات التالية :

نرى مجموعة من الخلايا وهي في طريقها إلى حتفها ، بينما نرى مجموعة أخرى من الخلايا قد هلكت وماتت . ونرى مادة هلامية حمراء تحتل مكان الصدارة من الخلية ، تلك المادة التي وصفها مالوري فإذا دققنا البحث وجدنا أن هذه المادة الهلامية ليست إلا آثار معركة ضارية بين الموت والحياة لمكونات الخلية الكبدية وتنتهي تلك النهاية الحزينة حيث تعبر عن نهايتها بتلك الهلامية التي لا شكل لها وتعبر عن ضراوة معركتها بتلك الحمرة الثانية التي نراها تحت الميكروسكوب .

كما نرى مجموعة من الألياف تتخلل الخلايا الكبدية ونرى مجموعة من الخلايا الآكلة الوحيدة النواة تحيط بالخلايا الهالكة..وظيفة هذه الخلايا هي أن تسرع لكنس ميدان المعركة وأخذ القتلى والجرحى وبلعهم .. نعم بلعهم فلا بد من إزالة آثار المعركة ولا بد من كنس المكان .. وهذة الخلايا وظيفتها أن تبادر إلى ميادين المعارك في الجسم وتقوم بعملية الكنس هذه حتى تتمكن الخلايا السليمة من إعادة البناء ولكن هيهات أن يعاد البناء على أساس سليم والخمر لا تزال تشرب . كل كأس يسبب معركة جديدة وقتالاً ضارياً بين الخلايا الكبدية وبين السم الناقع المسمى الخمر .

هيهات هيهات أن يتاح للخلايا البناء ما دام السم يصل اليه كل يوم إذن متى وكيف تستطيع الخلايا إعادة البناء ؟ الأمر سهل وميسور جداً في أول الأمر وذلك بالامتناع عن شرب الخمور وترك الأمر لخلايا الكبد السليمة تصلح ما أفسدته الخمور فتقوم الخلايا الآكلة بمسح ميدان المعركة وإزالة الآثار والانقاض والركام ثم تقوم الخلايا الكبدية السليمة بإعادة البناء .

نعم يمكن ذلك ولو كان الشخص قد قام بمهاجمة خلاياه بالخمر لمدة عشر سنوات .

ولكن هل هناك مرحلة تكون الكبد قد أصيبت بحيث لا يمكن الاصلاح ؟ نعم هنالك أيضاً مرحلة يصبح الاصلاح فيها عسيراً . وذلك عندما تتليف الكبد ومع هذا فالاستمرار في شرب الخمر لا يؤدي إلا إلى المزيد من التلف والبوار .

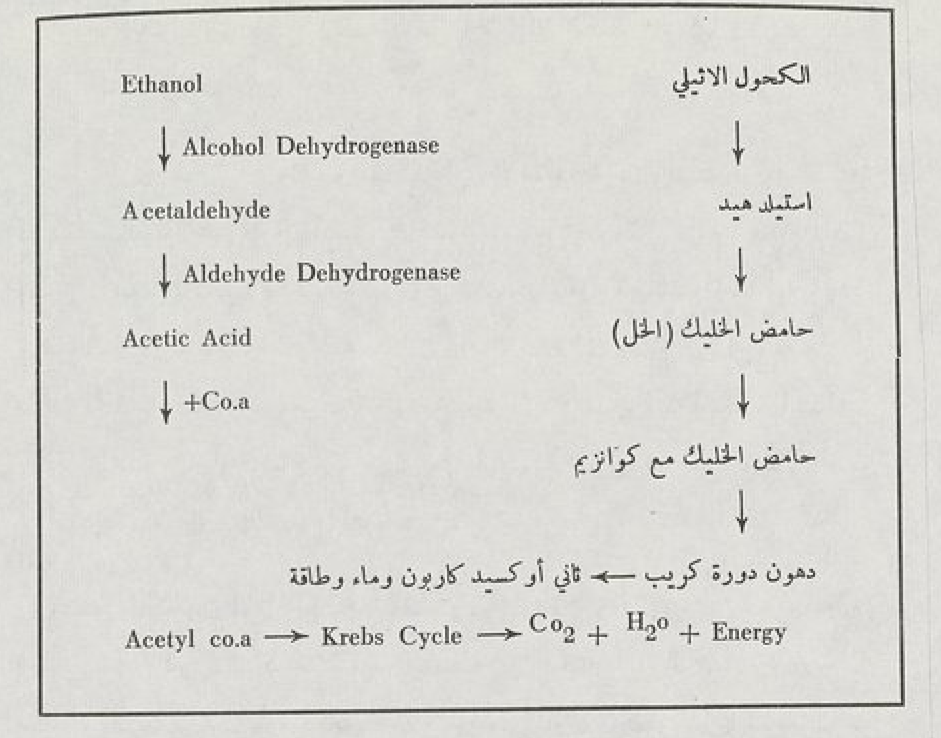
ولا بد للإبقاء على ما تبقى من الخلايا الكبدية ولو كان قليلاً من التوقف فوراً عن شرب هذا السم الناقع المدعى الخمر .

ولكن هناك سؤالاً : كيف تدخل الخمر إلى الكبد ؟ وكيف تسبب هذه الآثار السمية المرعبة ؟

سنحاول أن نشرح ذلك ونبسط قدر الاستطاعة .. ولست أزعم أن العلم قد كشف الستار عن كل التفاصيل في هذا الصدد بل أن هناك كثيراً من المجاهيل ولا يزال العلم يكشف واحداً منها كل يوم .. والأمر العجيب حقاً أنه بازدياد التقدم العلمي ونموه وازدياد المعلومات تزداد الأسئلة التي تحتاج إلى أجوبة وتزداد بذلك المجاهيل فبقدر ما تعرف تكون مجهولاتك. فإذا عرفت قليلاً جهلت قليلاً وإذا عرفت كثيراً جهلت كثيراً .. أمر غريب أليس كذلك ؟ وليس له من جواب إلا أنه فوق كل ذي علم عليم .

تمتص الكحول من الجهاز الهضمي : المعدة ، والاثني عشر بسرعة فائقة وتذهب في الدورة الكبدية البابية بواسطة الوريدالبابي إلى الكبد.. وفي خلال ساعة ونصف يكون الامتصاص تاماً منذ بدء تناول الكحول وكما شرحنا من قبل فإن الامتصاص يكون أسرع إذا كانت المعدة خالبة وإذا كانت نسبة الكحول من ١٠ إلى ٢٠ في المائة .. كما أن ثاني أوكسيد الكربون في الخمر مثل الشمبانيا أو الصودا مع الويسكي تزيد من سرعة الامتصاص .

فإذا وصل الكحول إلى الكبد تحول ذلك إلى مادة الاستيلدهيد بواسطة انزيم في الكبد وهذا يتحول بواسطة انزيم آخر إلى حامض الخليك .



ويتحول حـــامض الخليك بواسطة انزيم يدعى كوانزيم « أ » إلى مركب مركب حامض الخليك مع كوانزيم الذي يتحول بدوره إلى أحمــاض دهنية أو يدخل دورة كريب . أو إلى ثاني أكسيد الكربون وماء وطاقة .

وتزداد بذلك كميات الدهون في الكبد. كما تفقــد الكبد قدرتها على تكوين مركبات دهنية بروتينية أو مركبات دهنية فسفورية .

ويتحول حـــامض البروفيك إلى حامض اللبنيك بدلاً من دخوله دورة كريب الهامة .

وبالتالي تزداد حموضة الدم كما يقـــل تحول البيروفيك إلى دورة كريب وبالتالي تظهر آثار نقص السكر في الدم .

أما الدهون (الأحماض الدهنية والتراجلسريد) فتزداد في الكبد وتزداد في الدم مما يسبب دهنية الدم .

وتترسب بالتالي الدهون في جدر الأوعية الدموية كلها شاملة بذلك الأوعية التاجية التي تغذي القلب مما يسبب تصلب الشرايين والذبحة الصدرية والنوبات القلبية والنوبات الدماغية .

أما التأثيرات السمية المباشرة للكحول على الميتوكوندريا والنواة وعلى الميكروسوم وأجسام جولجي فأمور معقدة لم يكشف العلم عنها بعد .. ولكنها تحدث بواسطة تأثيرات الكحول على الانزيمات (الخمائر) الموجودة بها .

كما تسبب الخمر سوء تغذية شديد. أما كيف يتم ذلك ؟فأمر ميسور شرحه.

تسبب الخمور التهابات شديدة في الجهاز الهضمي ابتداء بالفم وانتهاء بالأمعاء مروراً بالبلعوم فالمريء فالمعدة كما سبق وإن ذكرنا .

ونتيجة لذلك تقل شهية المريض ويتكرر القيء كما أن كثيراً من المدمنين لا يهتمون بالطعام أصلا لانشغالهم بالخمر كما أن المدمن يفقد عمله في الغالب نتيجة إدمانه فيقل دخله . وتقل قدرته على شراء الغذاء الجيد ويكون غذاء المدمن فقيراً في البروتينات والفيتامينات .

كما تقل قدرة الجهاز الهضمي على الامتصاص نتيجة الالتهابات المتكررة .

كما أننا نعلم أن الكحول مادة تحتوي على سعر حراري عال . ويحتوي كل جرام على سبع وحدات حرارية . وهذه تحتاج إلى كمية هائلة من فيتامين ب ۱ (الثيامين) .

كما أن الحاجة إلى مادة الكولين التي تفرزها الكبد تزداد لمواجهة زيادة الدهون في الكبد . والكبد مريضة نتيجة تأثير الكحول وتقل قدرتها على صنع هذه المادة وإفرازها .

هكذا نرى الكحول تزيد من حاجة الجسم إلى بعض المواد الهامة في الوقت الذي تمنع الجسم فيه من صنع هذه المواد .. كما أنها تمنع الشخص بفقدان الشهية والقيء المتكرر من القدرة على أخذ الطعام الجيد .. فإذا صادف وأخذ ذلك الطعام فإن المعدة والأمعاء والبنكرياس ترفض أن تهضمه . ثم ترفض الأمعـــاء بعد ذلك أن تمتصه دائرة مغلقة . ليس منها فكاك . لا المـــال موجود لشراء طعام جيد فإذا وجد المال فالشهية غير موجودة ، فـــإذا أرغم المرء نفسه على ذلك فـــالمعدة والأمعاء والبنكرياس ترفض أن تهضم ما اعطيت وتقيأته . ثم تأتي الامعاء الدقيقة وترفض أن تقوم بمهمتها ألا وهي الامتصاص .. فإذا وصل إلى الكبد كانت إصابتها وانشغالها بما هي فيه من نوائب تمنعها من أداء وظائفها المتعددة .. فيقل جلوكوز الدم كما يقل تمثيل المواد الدهنية فتزداد كما يقل صنع البروتينات ويقل صنع الفيتامينات التي تصنع في الكبد .

هكذا تتجمع المصـــائب من كل حدب وصوب ، فتظهر آثار نقص التغذية الشديدة بالإضافة إلى آثار التليف الكبدي .

وسنوجز هذه الآثار فيما يلي :

١ - خلل وظائف الكبد :

ووظائف الكبد متعددة كما أسلفنا فتمثيل المواد السكرية يضطرب ويقـــل مخزون الكبد من الجليكوجين ولذا يقل سكر الدم حين الحاجة اليه ويصاب الشخص بنوبات إغماء نتيجة نقص السكر في الدم كما يصاب بهياج شديد قبـــل ذلك وارتعاش . ويتصبب منه العرق وتتسع حدقة العين . أما إذا كان المريض مصاباً بمرض السكر ويتعاطى أقراصاً مثـــل الداينز فإن سكر الدم ينخفض انخفاضاً مفاجئاً ويسبب الإغماء .

أما إذا كان المريض يتناول مادة البيجوانيد مثـــل الفينفورمين أو

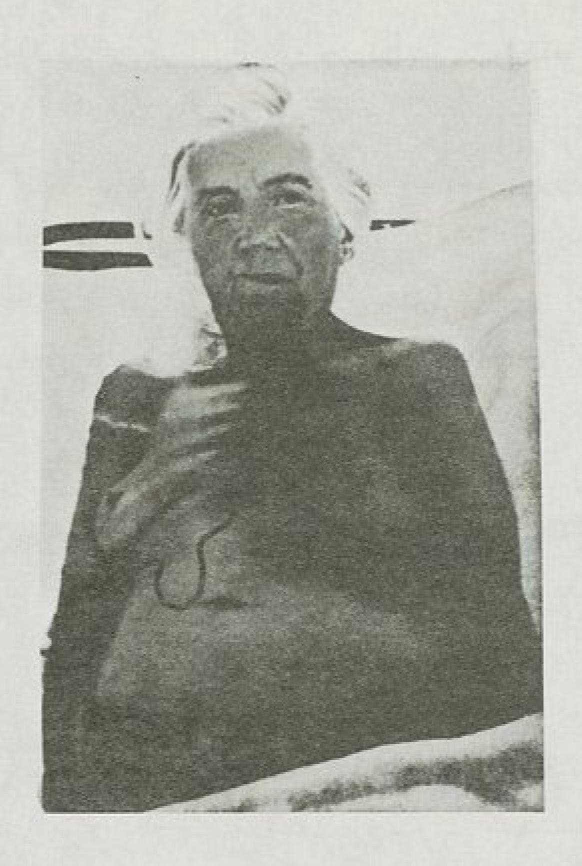
الميتفورمين لمعالجة السكر فإن المصيبة تكون أعظم .. فتزداد حموضة الدم لدرجة خطيرة كما تزداد نوبات الإغماء نتيجة نقص السكر في الدم .

أما تمثيل المواد البروتينية فيضطرب أيما اضطراب ومن المعروف أن الكبد هي أهم مصنع لهذه المواد فهي تصنع الالبومين (أهم مادة في بلازمـا الدم) كما تصنع أيضاً الجلوبيولين (مادة هامة في البلازما) وتصنع أيضاً مـادة البروثرمبين كما تصنع العديد من الانزيمات (الخمائر المسؤولة عن التخثر مثـل العامل السابع وعامل هاجمن .

وينتج عن ذلك نقص في بروتينات بلازما الدم ممـا يؤدي إلى الاستسقاء والأوديما (الانتفاخ المائي) كما يؤدي نقص البروترمبين وخمائر التخثر الى كثرة النزف من الجسم وقد يفيد حقن المريض بفيتامين ك وقد لا يفيد وخـاصة إذا كانت الاصابة بالكبد بالغة .

أما تمثيل المواد الدهنية فيضطرب أيما اضطراب وتزداد الدهون (الاحماض الدهنية والتراجلسيريد) بالكبد والدم في الوقت الذي تقـل فيه قدرة الكبد على صنع المواد الدهنية - البروتينية كما تقـل قدرتها على صنع المواد الدهنية الفسفورية . أما وظيفة الكبد الهامة بإفراز الصفراء (البيلوردبين) النـاتجة عن تحطم كرات الدم الحمراء التي انتهى في الطحال فتتأثر من عدة نواح .. ففي حالات الإدمان تتضخم الطحـال وتزداد قدرتها على تحطيم كرات الدم الحمراء فتحطم أكثر من ١٥٠ مليون كرة دم حمراء في الساعة وهو الحد الأعلى الطبيعي بل وقد تصل قدرة الطحال على تحطيم أضعاف هذه الكمية فتصل الى ثلاثمائة مليون كرة دم حمراء في الساعة.

وبذلك تزداد كميه البيليوروبين (الصفراء النـاتجة من تحطيم هذه الكرات الحمراء .



صورة لمريضة مصابة باليرقان (الصفراء) نتيجة إزدياد
كمية البيليروبين في الدم والتي تكثر عند مدمن الخمور

هذه واحدة أما الثانية فهي أن الكبد تفقد قدرتها على إفراز هذه المادة الى المرارة .. فترتفع نسبة الصفراء (البيليروبين في الدم) من حدها الأصلي ١ مجم في كل مائة سنتي من الدم الى ٣ أو ٤ مليجرامات ٠ ويؤدي ذلك الى اصفرار الجسم واصفرار الملتحمة واصفرار افرازات الجسم عامة وأهمها البول.

وإذا ارتفعت نسبة البيلوروبين في الجسم أدى ذلك إلى حكة شديدة . كما تفقد الكبد قدرتها على إزالة السموم من الجسم وأهم هذه السموم هي مادة النشادر(الأمونيا) التي تتكون في الأمعاء من التخمر البكتيري للمواد البروتينية

وتزداد هـــذه الكمية من المواد السامة الأخرى . فتسبب النوبات الكبدية الدماغية .

ويؤدي ارتفاع نسبة السموم في الدم إلى التـــأثير على نشاط المخ . وخاصة المناطق المخية العليا . فتقل سرعة الموجات الكهربائية من ١٣ للشخص السوي إلى ثلاثة أو أربعة وتكون هذه الموجات بطيئةوعالية الذبذبة وترتعش اليدان وترتجفان ويكون ارتجافهما شبيهاً بارتجاف أجنحة الطـائر كما تكون الراحتان محتقنتين . وتضطرب العاطفة والسلوك نتيجة الآثار السمية على المخ .. ويكون المريض جذلاً ثم تنقلب حـالته فجأة إلى الغم والحزن والسوداوية .. كما يفقد قدراته العقلية بالتدريج ويكون سلوك المريض شاذاً وقد يتبول في الطريـــق العام .

وتختلف هذه الحالة عن حالة السكران وليست ناتجة عن تأثير الكحول على الجهاز العصبي وإنما هي ناتجة عن آثار المواد السامة من الكبد.. وقد يكون المريض أقلع عن شرب الخمر منذ سنوات ولكن التليف الذي وصل إليه الكبد كان متقدماً ولم يمكن إصلاحه .

كما أن قدرة المريض على الكتـــابة تفقد وتضطرب يده أيما اضطراب عند إمساكه القلم ولا يستطيع أن يكتب بخط واضح مفهوم .

كما أن قدرته على رسم الأشكال البسيطة مثل رسم نجمة أو تشكيلها بأعواد الكبريت تفقد تماماً .

وتنتهي هذه الحالة بالغيبوبة فالإغماء التام .. ويكون التنفس بالغ الصعوبة كما تكون البطن منتفخة نتيجة الاستسقاء .. وترتفع درجة حرارة المريض.

وكلما سحب سائل الاستسقاء من التجويف البطني يتجمع بسرعة مذهلة .. تشبه تلك السرعة التي يتجمع بها السائل في حالة الاصابة بالسرطان البريتوني .

ويكثر الاسهال والقيء ويفقد المريض مادة البوتاسيوم.. كما تحدث حالات نزف شديد من المريء والمعدة .

وأي واحد من هذه المضاعفات قد يؤدي الى الوفاة .

وإذا وصلت حالة المريض إلى هذه المرحلة الخطيرة وهي مرحلة النوبات الكبدية فإنه لا يوجد أي علاج يستطيع أن يشفي المريض من حالته .

ولكن هناك علاجات كثيرة تخفف من تلك الحالة وقد يعيش المريض عدة



صورة لمريض مصاب بالاستسقاء .
لاحظ انتفاخ البطن وامتلائها بالسائل البريتوني ولاحظ تمدد الأوعية الدموية على جدار البطن نتيجة زيادة الضغط في الدورة البابية الكبدية الناتجة تليف عن الكبد .

سنوات بالعلاج المتواصل رغم حالته الخطيرة .. ولكنه في النهاية يلاقي حتفه ومعظم الحالات لا تعيش أكثر من سنتين بعد الاصـــابة بالنوبة الكبدية الدماغية .. وواقع الأمر أن كثيراً من هذه الحالات تتوفى بعد أول نوبة .

٢- آثار التليف الميكانيكي :

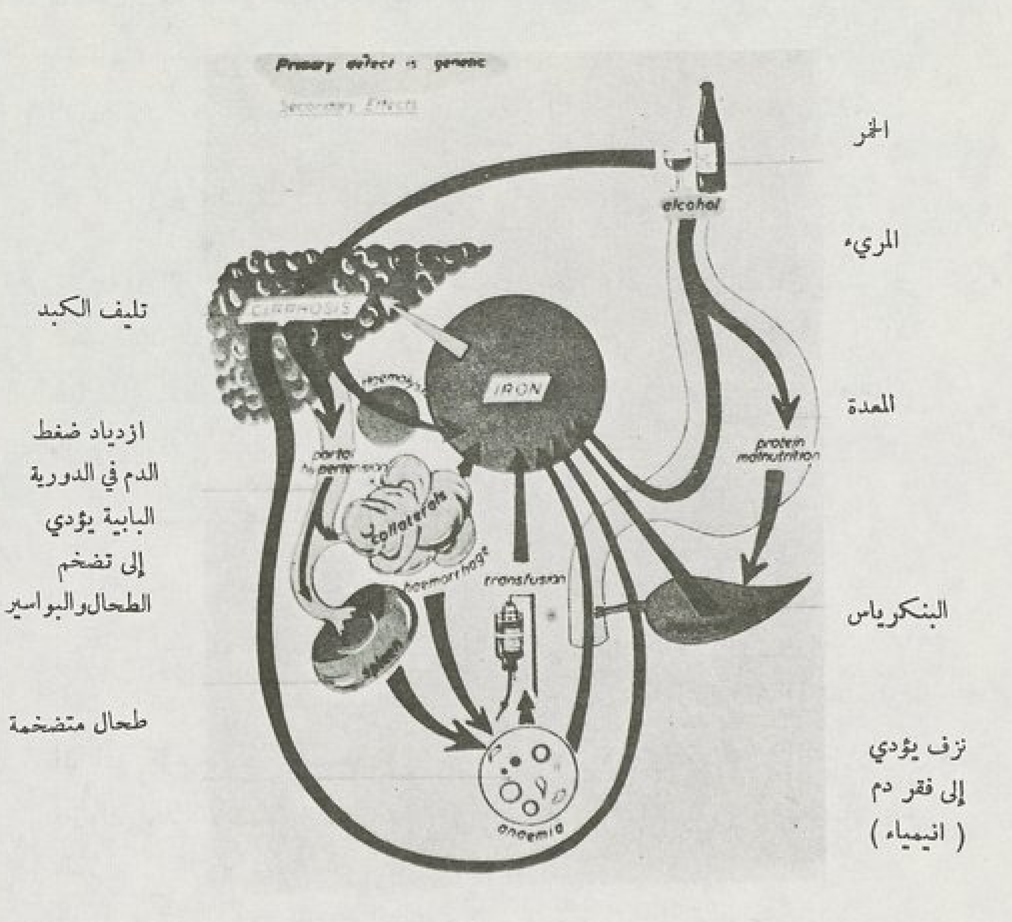
بما أن الوريد البابي الذي يحمل الدم من الجهاز الهضمي والطحال يصب في الكبد فإن الضغط في هذا الوريد يزداد عند وجود التليف بالكبد .. إذ أن التليف يضغط على هذه الأوردة في الكبد ويعيق مرور الدم بها فيرتفع الضغط. ويؤدي ارتفاع الضغط هذا الى :

أ - تضخم الطحال :

وتتضخم الطحال فتبلغ عدة أضعاف حجمها ووزنها العادي.. ولا نستطيع أن نحس الطحال السليمة بالفحص الاكلينيكي إلا بعد أن يتضـــاعف وزنها ثلاث مرات .. أما مريض التليف الكبدي فتتضخم طحـــاله إلى عشرات المرات ويؤدي تضخم الطحال إلى زيادة قدرتهـــا في تحطيم كرات الدم الحمراء فتزداد بذلك الأنيمياء (فقر الدم) كما تزداد بذلك كمية البيليروبين (الصفراء) بالدم .

ب -ازدياد الضغط بالوريد البابي ومنع الدم من التدفق في الكبد إلى الوريد الأجوف السفلي يؤدي إلى أن يبحث الدم عن وسائل وطرق أخرى يصل بها إلى الوريد السفلي فيزداد الاتصال بين الدورة البابية والدورة العادية .

وتتضخم لذلك الأوعية الدموية في أسفـــل المريء تكثر البواسير كما تكثر الأوعية الدموية على جدار البطن . وهذه الثلاثة تشكل أهم وسائـــل الاتصال بين الدورة البابية والدورة العادية .



آثار الكحول على الجهاز الهضمي، وعلى الكبد بصورة خاصة حيث تسبب تليف الكبد مما يسبب ارتفاع ضغط الدم في الدورة البابية الكبدية التي التي ينتج عنهـا تضخم الطحال والبواسير ودوالي المريء حيث يتكرر النزف منها ، مما يسبب فقر دم شديد .

وهكذا يجد الدم طريقة أخرى إلى الوصول إلى الوريد الأجوف السفـلي بعد أن سدت أمامه المنافذ في الكبد.. ولكن لهذا الطريق الجديد ثمناً باهظاً.

وأول ثمن لذلك هو البواسير المزعجة التي تنزف نزفـاً شديداً من حين لآخر

كما أن الاتصال بين الدورتين في المريء يؤدي إلى بواسير أخرى هناك هي دوالي المريء ويؤدي ذلك إلى نزف شديد من المريء .

وقد يكون من العسير إيقافه وقد تنتهي بهلاك المريض وملاقـــاته حتفه .
وتزداد الاصابة بالنزف للأسباب التالية :

١ – قلة المواد الهامة التي تصنعها الكبد السليمة عـــادة لمنع النزيف وهي البروترومبين والصفائح والانزيمات الهامة في التخثر مثل عامل سبعة .

٢ – نقص امتصاص فيتامين ك من الأمعاء .

٣ – ازدياد تحطيم الصفائح في الطحال المتضخمة .

٤ – الدوالي الموجودة في المريء والتي تنزف بمجرد أكل المواد الجـافة أو بوصول مادة حامضة أو بتكرر القيء .

٥ – البواسير الموجودة في الشرج .

وهذا النزف المتكرر يؤدي إلى فقر الدم .

والمصيبة أن فقر الدم هنا يأتي من كل جهة ومن كل حدب وصوب :

١ – نقص امتصاص الحديد في الطعام .

٢ – نقص امتصاص الفيتامينات المطلوبة مثل حامض الفوليك وب ١٢ .

٣ – نقص المواد البروتينية اللازمة لبناء كرات الدم الحمراء .

٤ – زيادة تكسير وتحطيم كرات الدم الحمراء في الطحال .

٥ – نقص عمر كرات الدم الحمراء من معدلها ١٠٠ يوم إلى ٥٠ يوماً .

٦ – النزف المتكرر الذي يفقد الجسم كميـــة ضخمة من الدم لا يمكن تعويضهـــا ويؤدي ذلك إلى فقر الدم الشديد والشحوب ويؤثر فقر الدم على

القلب فيصيبه بالوهط فتتمدد عضلة القلب ونسمع لغطاً عندما نضع السماعة على قلب المريض .

كما تؤثر الأنيمياء (فقر الدم) على تغذية المخ إذ أن الخضاب (الهيموجلوبين) هو المادة التي تحمل الأوكسجين من الرئتين وتوزعه على أنسجة الجسم وخلاياه .

والمخ حساس جداً لنقص الأوكسجين .. كما يقل أيضاً الجلوكوز (سكر الدم الذي هو الغذاء الأساسي للمخ) .

فيتأثر المخ من كل ناحية .

تأثير مباشر للكحول قد أفضنا في شرحه .

وتأثير غير مباشر عن طريق تصلب الشرايين الذي تسببه الكحول .. وعن طريق الأنيمياء التي تسببها الخمور وعن طريق نقص السكر في الدم الذي تسببه هذه السموم – وعن طريق النشادر والمواد السامة الأخرى التي لا تستطيع



صورة لأظافر مريض أصيب بفقر دم نتيجة نقص الحديد لاحظ أن الظفر يشبه الملعقة



تقلصات « دوبترين » Duptyrene Contractures
وهي تقلصات وتليف باليدين نتيجة شرب الخمور وتليف الكبد .

الكبد التخلص منها نتيجة لإصابة الكبد بالتليف نتيجة شرب الخمور .

فيا لها من حالة رثة كريهة .

الأمراض تعتور كل الأجهزة .. ومرض أي جهاز يؤثر على بقية الأجهزة . والجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمي .

دائرة مقفلة ومرض أي عضو يؤدي إلى أمراض أخرى في أعضـــاء أخرى وهكذا .

انظر إلى جلد مريض مدمن الخمر مثلاً تجده شاحبـاً نتيجة فقر الدم وتجده جافاً متشققاً نتيجة نقص الفيتامينات ومنها مرض البلاجرا الخبيث وتجد الجلد مصفراً نتيجة لارتفـاع نسبة الصفراء بالدم (البيليروبين) بسبب تليف الكبد

وتجد بالجلد آثار نزف تحت الجلد نتيجة نقص المواد الهامة التي تمنع النزيف .

وتجد تمدداً في الأوعية الدموية الشعرية مما يسبب وجود عناكب دموية منتشرة على جلد الرقبة والوجه وأعلى الصدر . وتعتبر هذه علامة مميزة لتليف الكبد ويبحث عنها الطبيب عند فحصه للمريض .

كما تحتقن راحة مريض تليف الكبد أما أطراف أصابعه فتكون مثل رأس العصا أما أظافره فتكون بيضاء متشققة .

كما توجد انقباضات وتليفات في راحة اليد وفي الساعد تسمى تقلصات دوبترين أما ثدي مريض تليف الكبد فيتضخم عند الرجل ويصبح كثدي امرأة .. نعم كثدي امرأة وهو ما هو معروف باسم تضخم الثدي كما تضمر الخصية عند الرجل ويفقد قدرته على العمل الجنسي .

أما المرأة فتتوقف دورتها الدموية ويقف الحيض (الطمث) . كما يزداد نمو الشعر في ساقها ويدها ووجهها وتفقد رغبتها في الجنس .

عجيب أي عجيب يتجه الرجل نحو الأنوثة وتتجه المرأة نحو الذكورة.وكل ذلك نتيجة تليف الكبد واضطراب وظائفه .

وما ذلك إلا نتيجة الانغماس في شرب الخمور .

يا لها من عقوبة رهيبة يعاني منها شارب الخمر طوال حياته . مقابل لحظات يظن فيها أنه يسعد نفسه أو ينسى شقاءه وما درى أن الشقاء كل الشقاء هو في معاقرة ابنة الحان .

يا له من مسكين يستحق الرثاء ويستحق الشفقة ويستحق المساعدة .. نعم إنه هو الذي جلب لنفسه بيديه هذه المصيبة ولكن علينا مساعدته في شرح هذه النوائب والمصائب له ومساعدته في العلاج للاقلاع عن شرب الخمر وإقناعه بمضارها ومصائبها .

دهنية الكبد :

إن أهم أسباب دهنية الكبد هو تناول الكحول وخاصة عندما تكون مصحوبة بسوء التغذية وبمجرد تناول جرام من الكحول يومياً لبضعة أيام يؤدي ذلك إلى دهنية الكبد وذلك يعادل لترين ونصف من البيرة أو ربع لتر من الويسكي أو البراندي او الجين .

وبفحص الخلية الكبدية يتبين أن هناك تغييرات مرضية في كل مكونات الخلية الكبدية عند فحصها بالمجهر الالكتروني .

فالميتوكوندريا وهي رئة الخلية تفقد قدراتها خلال ٢٤ ساعة من تناول الخمور .

كما أن ريبوزوم الخلية وهو مكون الحامض النووي الريبوزي يتأثر تأثراً شديداً . وريبوزوم الخلية الكبدية [ويدعى أحياناً ميكروسوم أو شبكية (الاندوبلازم)] هو المركز الرئيسي لإزالة السموم من الجسم فعن طريق الانزيمات الخاصة به تمكن تحويل المادة السامة إلى مواد غير سامة او على الأقل مواد اقل سمية .. كما أن الريبوزوم هو مصنع الخلية الكبدية .. وفيه تصنع بروتينات الجسم الهامة مثل الألبومبين (زلال) الهام جداً لبلازما الدم والبروثرمبين البالغ الأهمية لتخثر الدم ومنع النزف .

فاذا اصيبت الخلايا الكبدية ومكوناتها تجمع الدهن من عدة مصادر كما سبق وان ذكرنا .

١ — الدهنيات الغذائية الممتصة من الامعاء .

٢ — فشل الكبد في احراق الدهون وتحويلها الى طاقة . كما تفشل الكبد في تحويل الدهون الى مركبات دهنية بروتينية او مركبات دهنية فسفورية .

٣ — زيادة كمية الدهن الآتية من مخازن الجسم الدهنية .

ولذا تكون الصورة الاكلينيكية لدهنية الكبد قبل حصول المضاعفات هو ما يأتي :

– تضخم الكبد .

فشل بعض وظائف الكبد المخبرية مثل فحص B. S. P. وهو فحص يتم بحقن المريض بمادة ملونة في الدم ثم أخذ عينة من الدم بعد مضي ٤٥ دقيقة فنجد أن هذه المادة قد اختفت لأن الكبد السليمة قد أخذتها. فإذا زادت كمية المادة عن ٥ ٪ فإن ذلك يدل على فشل وظيفة الكبد في إزالة السموم . وهي كما نعلم وظيفة ريبوزوم الخلية الكبدية .

كما تظهر بعض الفحوصات الأخرى بعض التغييرات وأهمها أخذ عينة من الكبد وفحصه بالميكروسكوب فيرينا المواد الدهنية داخل الخلايا الكبدية . أما إذا تقدم المرض فنرى خلايا الكبد وقد تحطمت أو نرى آثار معارك تحطمها كما وصفها مالوري. وهي المادة الهلامية الحمراء التي تظهر وسط الخلايا الكبدية .

فإذا استمر المرء في تعاطي الكحول تحولت الصورة إلى دهنية الكبد المزمنة نرى بالميكروسكوب خلايا الكبد مليئة بالدهون كما نرى خلايا أخرى خالية من محتويات الخلية تماماً وهو ما يعبر عنه بالهلامية .

وهذه المرحلة تعتبر لا رجعة فيها فلا تعود الكبد لحالتها الطبيعية حتى لو توقف المرء عن تعاطي الكحول .

وهذه المرحلة لا تحصل إلا بتعاطي الكحول لمدة ثمان إلى عشر سنوات ..

فإذا استمر المرء في التعاطي رغم وصوله إلى هذه المرحلة المنذرة بالخطر الشديد فإن كبده تتحول إلى كومة من المواد الليفية الميتة .

أما إذا توقف المرء عن تناول الكحول فإن المريض يتوقف عند حده . وقد وضح ماركوفا صوراً عديدة لكبد شاب تعرض لاستنشاق الكحول مما

أدى إلى دهنية الكبد . فقد توقف الشاب عن تنـــاول الكحول أو التمرض لاستنشاقه . فبقيت كبده في نفس الحالة لمدة سنين طويلة .

وهناك حالات خاصة من دهنية الكبد متعلقة بشرب الخمور وهي :

(١) دهنية الكبد الصلبة الضخمة للشباب :

وتصيب خاصة الشابات أكثر من الشبان عندما يتعاطين كميـات كبيرة من الكحول المركزة في الأشربة التي تحتوي على نسبة عالية من الكحول مثـــل الويسكي أو البراندي والجين .

وتكون الإصابة شديدة بالكبد وتنتهي سريعاً بالوفاة أمـا علاجها فميسور إذا توقف المريض في الوقت المناسب عن شرب الخمور وأعطي غذاء خالياً من البروتينات كما يعطى له جلوكوز بالوريد ولاكتولوز بالفم مع تهدئته بعقـــار الفاليوم .

(٢) مرض زيف :

وهو مرض وصفه الدكتور زيف عام ١٩٥٨.. يصيب شاربي الخمور وعادة المدمنين منهم فتتضخم الكبد ويصاب المريض باليرقـــان (الصفراء) كما تزداد كمية الدهون في الدم زيادة شديدة . وتنحل كرات الدم الحمراء بكميـات هائلة حتى تسبب فقر دم شديد انحلالي (أنيمياء انحلالية) .

وتكون الكبد متضخمة ومؤلمة وخاصة عند اللمس كما يصاب المريض بأوجاع شديدة في أعلى البطن وعادة ما تحصل هذه الحالة عند تعاطي كميات ضخمة من الكحول وخاصة من هو مصاب بسوء التغذية .

ولكن لحسن الحظ تختفي هذه الحالة وتشفى تمامـاً بعد أربعة اسابيع الى ستة من التوقف عن شرب الخمور .

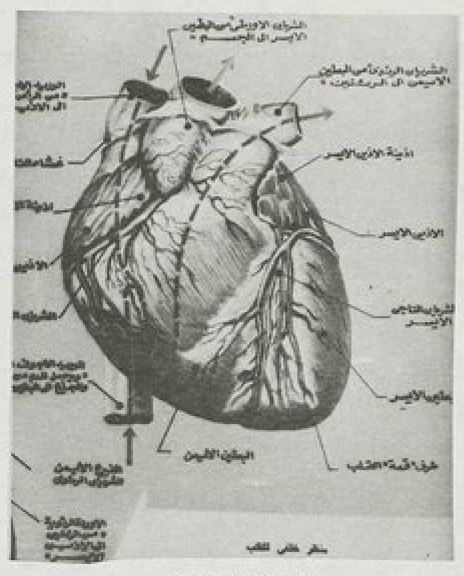
الخمر «الكحول»

وامراض القلب والدورة الدموية

تسبب الكحول العديد من أمراض القلب بعدة طرق :

فمنها ما تسببه نتيجة نقص الفيتامينات مثل فيتامين ب ١ (الثيـــامين) Thiamine وهو المرض المشهور باسم بيري بري Beriberi ومنها مـا تسببه نتيجة للتأثير السمي المباشر على عضلة القلب مثـــل اعتلال عضلة القلب الكحولي Alcoholic Cardiomyopathy ومنها مـــا تسببه عن طريق زيادة دهنية الدم Hyperlipideamia وتصلب الشرايين ويؤدي ذلك بالتـــالي إلى الذبحة الصدرة Angina Pectoris أو إلى جلطة القلب Coronary Thrombosis .

كما أن منها ما يؤثر بطريق غير مباشر مثل فقر الدم الشديد الذي يصحب كثيراً من حالات الادمان.. ومنها انخفاض ضغط الدم Postular Hypotension عند الوقوف والناتج من إصابة الجهاز العصبي التعاطفي Sympathetic Nervous System والذي يتحكم في انقباض الأوعية الدموية .. فإذا أصيب هذا الجهـــاز نتيجة شرب الخمور أدى ذلك إلى فقد التحكم في انقبـــاض الأوعية الدموية فيؤدي ذلك إلى انخفـــاض ضغط الدم عند الوقوف من وضع الاستلقاء . ويؤدي هذا الانخفاض المفاجيء إلى نقص في الدورة الدموية المغذية للمخ وللقلب فينتج عن



صورة تشريحية للقلب

ذلك إغماء وقد تكون السبب والبداية في جلطة في الأوعية الدموية للمخ فيسبب ذلك شللاً – فالج – وجلطة في الأوعية الدموية للقلب أي جلطة القلب .

مرض البربري : Beriberi

وهو مرض مشهور وأكثر وقوعه في جنوب شرق آسيا وفي المساجين وأسرى الحرب ومدمني شرب الخمور .

والسبب في ذلك هو نقص فيتامين ب ١ (الثيامين) Thiamine الموجود في قشرة القمح وقشرة الأرز وفي كثير من الفواكه والخضروات والحليب واللحوم . ويظهر هذا المرض عند من يعتمدون في غذائهم على الأرز المبشور أي بعد إزالة قشرته ويظهر عند أسرى الحرب لسوء تغذيتهم كما يظهر عند المسجونين وبين الفقراء في جنوب شرق آسيا بل أنه يصيب الطفل الرضيع إذا كانت الأم تعاني

منه فإن لبنهـــا يصبح فقيراً في هذا الفيتامين وينتج عن ذلك الاصابة بمرض البربري .

أما مدمنو الخمور فيصابون بنقص هذا الفيتامين نتيجة للعوامل التالية :

١ – سوء التغذية الناتجة عن شرب الكحول :

فمدمن الخمور فاقد لشهيته نتيجة التهاب المريء والمعدة المزمن ، كما أن تكرر القيء يفقد الجسم كثيراً من المواد الهامة . ويضـاف إلى ذلك أن مدمن الخمور ينفق أمواله في شراء الخمر ولا يهتم بشراء الطعـــام الجيد .. وهكذا تتضافر العوائق المالية مع العوامل المرضية في تسبب سوء التغذية .

٢ – سوء الهضم والامتصاص .

ويضيف هذان عوامل جديدة لسوء التغذية .. فهضم الطعـام سيء نتيجة التهاب المعدة وامتصاصه عسير نتيجة التهاب الأمعـــاء .. كما أن إصابة الكبد تجعل المخزون من الفيتامينات فيها قليل جداً .

الكحول مادة ذات سعر حراري عالٍ وكل جرام من الكحول يطلق سبع وحدات حرارية ومن المعروف أن المـــواد الكربوهيدراتية – النشوية Carrbohydrates تحتاج إلى كميات وافرة من فيتـــامين ب١ حتى يمكن تمثيلها وتحويلها إلى طاقة وماء وغاز ثاني أكسيد الكربون .

أما الكحول فإنه يحتاج إلى أضعاف تلك الكمية من فيتامين ب١ (الثيامين) .

ونحن نعرف أن جلوكوز الدم – سكر عنب – تأخذه خلايا الجسم وتحوله إلى طاقة وماء وثاني أكسيد كربون عبر عمليات كيميائية معقدة اكثر من أربعين معادلة كيميائية . ويتحول الجلوكوز ضمن هذه العمليات المعقدة إلى حـــامض البيروفيك Pyrivic Acid الذي يحتاج إلى فيتامين ب ١ لتحويله إلى حـــامض

الأوكسال أستيك Oxal Acetic أو الى حـــامض الخليك Acetic Acid اللذين يدخلان في دورة كريب الهامة .

حامض البيروفيك فيتامين ب١+ثاني أكسيد كاربون ـــــ← حامض الأوكسال أستيك .

ونتيجة لنقص فيتامين ب ١ في الجسم يزداد لذلك حـــامض البيروفيك في الجسم وفي الدم ويرتفع من نصف مليجرام في كل مـــائة سنتي من الدم الى مليجرامين في كل مائة سنتي من الدم وتزداد بذلك حموضة الدم . ويؤثر هذا بالتالي على انتاج الطاقة المطلوبة لعضلة القلب وهذا هو السبب في تأثرها .

ويحتاج الشخص البالغ الى مليجرامين من هذا الفيتامين بينما يحتاج الطفل الى مليجرام واحد .. وتزداد حاجة الأم أثناء الحمل أو الرضاعة .

ويسبب نقص هذا الفيتامين الإضطراب الذي شرحناه في إنتاج الطاقة من المواد النشوية أي من جلوكوز الدم على وجه الخصوص الذي هو الغذاء الأمثل للقلب والغذاء الوحيد للجهاز العصبي كمصدر للطاقة .

فإذا اضطرب مصدر الطاقة لهذين الجهازين الهامين تسبب ذلك في إصابتهما بالأمراض التالية :

الجهاز العصبي :

وسنوجز القول في ذكرها لأننا سبق وان ذكرناها في باب أمراض الجهاز العصبي وهي :

١ ـ التهاب الأعصاب الطرفي المتعدد Polyneuropathy المؤدي إلى شلـــل الأطراف العلوية أي اليدين والساعدين والأطراف السفلية أي القدمين والساقين.

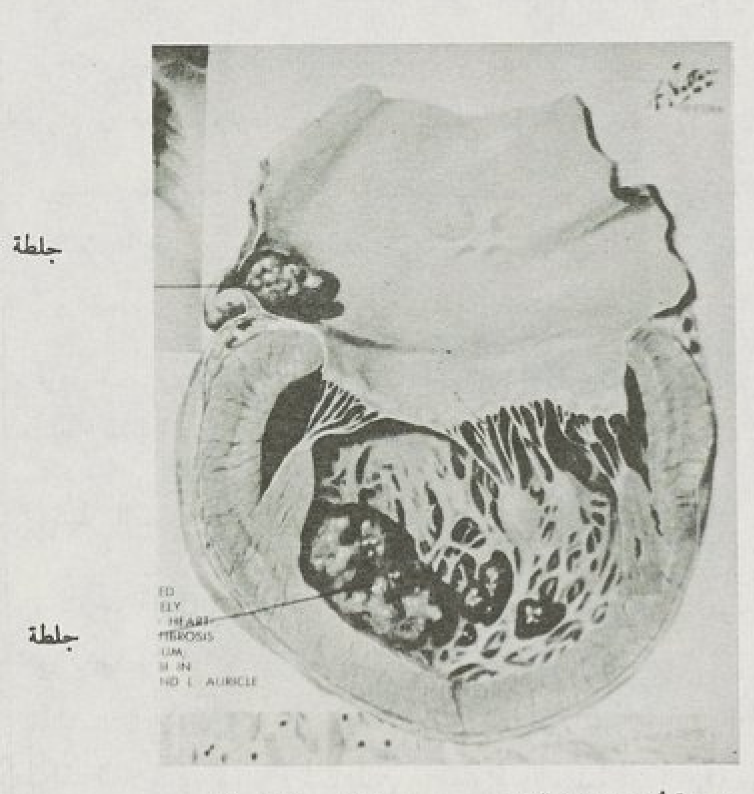
٢ ـ مرض فيرينكية الدمـــاغي Wernicke Encephalopathy الذي يصيب

المنطقة الوسطى من المخ مع إصابة أعصاب عضلة العين وعصب الرؤية .

٣ – التهاب عصب الرؤية Optic Neuritis المؤدي الى العمى .

الجهاز الدوري والقلب :

يندفع الدم في الاوردة ويصب بواسطة الوريدين الاجوف العلوي والسفلي في الاذين الايمن ومنـــه الى البطين الايمن من القلب . فيقذفه البطين الايمن الى الشريان الرئوي حيث ينقي الدم من ثاني اوكسيد الكربون ويحمل الاوكسجين



صورة لتمدد عضلة القلب مع وجود جلطات بها نتيجة تسمم كحولي بعضلة القلب

الضروري للانسجة من الرئتين الى القلب ثانية فينصب في الاذين الايسر ومنه إلى البطين الأيسر الذي يضخه الى باقي الجسم بواسطة الشريان الاورطي (الأبهر) .

وتستغرق هذه الدورة حوالي ١٣ ثانية في معدلها فتسرع اذا جرى الشخص مثلاً فتقل مدتها الى ٩ ثوان او تقل سرعتها اثناء النوم فتصل مدتها الى ١٨ ثانية . كل هذا للشخص البالغ السوي الخالي من الامراض اما مدمن الخمر فتسرع الدورة الدموية وتصل الى ٦ ثوان اي ان الدم يأتي من الأوردة ويصب في القلب ومنه الى الرئتين ثم يعود الى القلب ومنه الى الجسم بالشرايين في ست ثوان فقط اي عشر دورات كاملة في الدقيقة . وهذا الفحص يسمى دورة الساعد الى اللسان اي تحقن المريض بمادة في الوريد باليد او الساعد فتكمل الدورة ويطعمها المريض في لسانه بعد كذا ثانية .

ومعنى سرعة دورة الدم أي أن القلب يضطر الى ضخ كميات مضافة فالقلب يضخ في العادة ٥ لترات من الدم في الدقيقة عندما يكون الشخص مرتاحاً أي أي لا يبذل أي مجهود وإذا بذل مجهوداً عضلياً زاد ذلك وخاصة التمرينات الرياضية كالجري وغيره .

أما في حالة المدمن فيضخ الدم عشرة الى عشرين لتر في الدقيقة حتى وإن كان الشخص مستلقياً . ودون أن يبذل أي مجهود عضلي . أي أن عمل القلب يتضاعف .

ويضخ القلب السليم ثلاثمائة لتر من الدم في الساعة على الأقل أو ٧٢٠٠ لتر في اليوم أما مدمن الخمر فيضخ أضعاف هذه الكمية . وتصور أنت عضلة صغيرة تدفع بعشرة آلاف لتر يومياً دونما توقف أو لكل . وتدفعها عبر آلاف الأنابيب والقنوات التي نسميها بالأوعية الدموية وضد ضغط دم عال أي ضد

مقاومة تبلغ ١٢٠ مليمتر من الزئبق أو ١٥٠٠ مليمتر من الماء .

إن هذه العضلة العجيبة المعجزة تقوم بهذا العمل الجبار دون أن تشكو أو تئن طالما أنها تجد الطاقة الآتية من سكر الدم — الجلوكوز — ولكن كما شرحنا كيف تعطل الكحول إنتاج هذه الطاقة الضرورية جداً لعمل القلب الجبار .. فتكون النتيجة أن يتضاعف عمل القلب بينما الوقود الموجود لأداء هذا العمل قد قل .. ويحاول القلب جاهداً أن يعوض النقص بأن يتمدد ويتضخم فتتضخم نتيجة لذلك عضلة القلب وتزداد من وزنها الطبيعي ثلاثمائة جرام الى أضعاف ذلك .

وعندما نقوم بفحص عضلة القلب بالميكروسكوب — المجهر — نرى الخلايا العضلية للقلب متمددة وبها فراغات مليئة بسائل مائي كما نرى بعض الخلايا وقد استبدلت بألياف جامدة .

وعند فحص المريض نجد أن النبض سريع جداً كما نجد أن الفرق بين الضغط الانقباضي Systolic B. P. والضغط الانبساطي Diastolic B. P. كبير ونجد الأوداج منتفخة Jugular Venous Pressure كما نجد أقدام المريض متورمة بسبب الأوديما Oedoma وعند الاستماع الى القلب بالسماعة الطبية نسمع لغطاً — نفخة — انقباضياً Systolic Murmer وهكذا نرى بوضوح أن المريض يعاني من هبوط القلب Heart Failure وتكون الكبد متضخمة كما قد تكون البطن منتفخة بالاستسقاء .

وتصاب الكبد من عدة نواحٍ فقد أسلفنا القول في اصابة الكبد نتيجة شرب الخمور وبسطنا فيها القول . ويضاف الى ذلك الاحتقان الناتج من هبوط القلب .

وقد لوحظ أن كثيراً من هؤلاء المدمنين يتوفون بسرعة مذهلة نتيجة هبوط القلب حتى في أرقى المستشفيات ورغم العناية الطبية الفائقة .. وتحدث الوفاة أحياناً خلال ٢٤ ساعة منذ بدء الاعراض وتعـــالج هذه الحالة بعلاج هبوط القلب المعروف أي الراحة التـــامة مع أخذ الدويجوكسن ومدرات البول بالاضافة الى حقن المريض بفيتامين ب١ في الوريد أو في العضل .

وسرعان ما يشفى مريض البربري الناتج عن سوء التغذية أمـــا مريض البربري الناتج عن ادمان الكحول فإنه قد لا يشفى لأن عضلة القلب قد تكون مصابة باعتلال آخر ناتج عن سمية الكحول نفسه .

اعتلال عضلة القلب الكحولي : Alcoholic Cardiomyopathy

تصاب عضلة القلب بالاعتلال نتيجة الآثار السمية للكحول . وهذا النوع لا يشفى بإعطاء المريض فيتامين ب١ . وذلك عكس مرض البربري الذي يشفى المريض بإعطائه فيتامين ب١ .

وتتضخم عضلة القلب وتتمدد الألياف العضلية كما نجد تحللاً مائيـــاً Hydropic Degeneration في خلايا القلب عند فحصها بالميكروسكوب-المجهر- ونجد أن الفراغات بين الخلايا ممتلئة بالماء وهو ما يسمى الأوديمـا Oedoma كما نجد جلطات في جدار القلب من الداخـــل في كل من الأذين والبطين . ويصحب ذلك في العادة تليف الكبد .

وكل أنواع الخمور تصيب القلب بالاعتـــلال ولكن أخطرها وأسرعها الى إحداث الوفاة هو الكحول المثيلي - كحول نشارة الخشب .

وللأسف فإن هذا الكحول الموجود في مزيل الطلاء والذي يمكن صنعه من تقطير نشارة الخشب يضاف الى العرق في الأمـــاكن التي تصنع فيها الكحول

مراً .وقد حصلت منه وفيات عديدة في الولايات المتحدة أثنـــاء المنع أي فيما بين عام ١٩١٩ — و ١٩٣٣ .

كما أننا شاهدنا حالتي وفاة من هذا الكحول اللعين .

وغالباً ما تحصل الوفاة خلال ٢٤ الى ٤٨ ساعة منذ بدء الاعراض .

وقد تحصل الوفـاة بنفس السرعة عند شاربي الخمور الأخرى التي ليس بها كحول مثيلي .

وقد اشتهر رجال قبائل البانتو Bantu في جنوب أفريقيـــا بشرب الخمور وتسمى هناك شراب الكافر Kaffir Drink ووجد أن عدداً ليس بالقليل يصاب باعتلال عضلة القلب الكحولي كما أن كثيراً منهم يصاب بتليف الكبد .

وعند فحص المريض نجد تضخماً في القلب ولغطاً انقباضياً Systolic Murmer ولكن سرعة القلب والدورة الدموية أقل بكثير من سرعتها في مرض البربري الذي أفضنا في ذكره .. بـــل أن عضلة القلب نتيجة للوهن الذي أصابها لا تستطيع ضخ كميات الدم المعتادة أي ثلاثمائة لتر في الساعة . بل تضخ أقل من ذلك وهذا ما يسمى هبوط القلب ذي الضخ القليل Low Output Failure عكس ذلك الهبوط الذي يحصل في مرض البربري الذي يضخ القلب فيه كمية هائلة من الدم High Output Failure

وعند فحص النبض نجده مضطرباً وبه ضربات زائدة: Extrasystoles عكس تلك الموجودة في البربري إذ يكون النبض سريعاً ومنتظماً أما هنـــا فهو غير منتظم وقد يصاب القلب بذبذبة أذنية Auricular Fibrillation .

وقد يظهر اعتلال مفاجيء بعضلة القلب بصورة وباء عند من يشربون البيرة ونبيذ التمر .

كما ظهر ذلك عند شاربي نبيذ الطـــاري، وهو مشروب متخمر من شجرة تشبه النخلة وتوجد في أماكن متفرقة من العالم .

أما العلاج فيكون بالراحة التـامة والتوقف عن شرب الخمور البتة وأخذ علاج القلب المعروف لدى الأطباء مثـــل الديجوكسين ومدرات البول والاوكسجين .

ويعطى المريض غذاء جيداً غنياً بالبروتينات والفيتامينات وخـــاصة فيتـامين ب ١ الذي يعطى على هيئة حقن في الأيام الاولى ثم على هيئة أقراص بعد ذلك .

دهنية الدم والكحول :

إن شرب الخمور يؤدي الى زيادة في دهنيات الدم فترتفع نسبة التراجلسريد Triglycerides وهي مادة دهنية تتكون بالتفاعل بين الجلسرين وأحماض دهنية :
٣ أحماض دهنية + جلسرين (حلوين) = ثلاثي الجلسرين .

كما ترتفــع نسبة الكوليسترول Cholesterol وذلك لان شرب الخمور يؤدي الى زيادة كمية الدهون الممتصة من الامعـاء الى الكبد كما أن الكبد تفقد قدرتها على أكسدة الاحماض الدهنية وتحويلها الى طاقة فتتجمع هذه الاحماض على هيئة تراجليسريد باتحادها مع الجلسرول .

وتفقد الانسجة أنزيمها الخاص بإزالة المواد الدهنية أو تتعطــل وظيفة هذا الانزيم Lipoprotein Lipase .

فيؤدي ذلك الى عدم قدرة الانسجة على تخزين الدهون .

وهكذا تتضافر هذه العوامــل لتسبب الزيادة الملحوظة في دهنية الدم لدى من يتعاطـون الخمور ومن المعروف أن بعض الأشخاص لديهم استعداد وراثي

لزيادة الدهون في الدم فإذا ما شرب مثل هذا الشخص الخمور فإن عليه أن يواجه متاعب عديدة لا حصر لها إذ سرعان ما ترتفع نسبة الدهون في دمه الى أرقام عالية جداً وتترسب في جدار الأوعية الدموية مما يؤدي الى تصلب الشرايين ومن ثم الى جلطات .

يصاب بعض مدمني الخمور بمرض زيف Zeive's Syndrome وهو مرض خطير لا يصيب سوى المدمنين . وقد ذكرناه في باب أمراض الكبد ولكن نعيد فنوجز شرحه .

تظهر على المريض علامات فقر دم شديد نتيجة تكسر كرويات الدم الحمراء في مجرى الدم وفي الطحال بكمية هائلة تفوق تلك التي تتحطم في الشخص الطبيعي مرات عديدة .

ففي الشخص الطبيعي يحتوي كل مليمتر من الدم – والمليمتر واحد من الألف من اللتر– على خمسة ملايين كرة دم حمراء وبالجسم الانساني خمسة لترات من الدم ومعدل عمر كرة الدم الحمراء هو مائة وعشرة يوماً وتتحطم في كل ثانية ٢,٥٠٠,٠٠٠– مليونين ونصف – كما يخلق الله مثلها في كل ثانية . أو مائتي مليار كرة دم حمراء يومياً أما المريض بفقر الدم الانحلالي Hoemolytic Anaemia فتتحطم أضعاف هذه الكمية فتصل الكمية المحطمة ومثلها المخلوقة من جديد الفا وأربعمائة مليار كرة دم حمراء يومياً .

وفي مرض زيف المذكور تزداد الكمية التي تتحطم من كرات الدم الحمراء حتى ينتج عن ذلك فقر دم – أنيما – شديدة .

وينتج عن زيادة تحطيم كرات الدم الحمراء وما بها من خضاب هيموجلوبين ينتج عن هذه الزيادة الكبيرة في الخضاب الهيموجلوبين Haemoglobin زيادة كبيرة في المادة الصفراء التي تتكون من عملية تحطيم الخضاب فتزداد هذه المادة الصفراء المسماة بيليروبين Bilirubin في الدم زيادة كبيرة مما يسبب اصفرار

الجسم والملتحمة بالعينين ويكون لون البول شديد الصفرة بل ويضرب قليلا الى الحمرة .

وتتضخم الكبد وتكون مؤلمة عند اللمس ويشتكي المريض من ألم في الشق الأيمن لأعلى البطن .

وترتفع دهنية الدم في هذا المرض ارتفاعاً شديداً .

كما يصاب كثير من هؤلاء المرضى بالتهاب البنكرياس الحاد Acute Pancreatitis وهو مرض خطير يؤدي الى الوفاة .

علاقة ارتفاع دهنية الدم بتصلب الشرايين

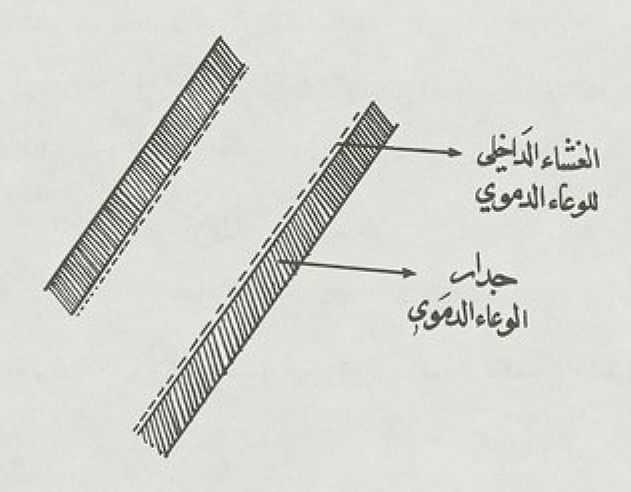
إن هناك علاقة وثيقة بين زيادة دهنية الدم وبين الاصابة بتصلب الشرايين.



صورة لجلطة دموية

فتتجمع الدهنيات وخاصة الكوليسترول تحت غشاء الاوعية الدموية مما يسبب ضيقها وتصلبها .

وإذا لم يكن الغشاء الداخلي للوعاء الدموي Intima ناعماً فإن صفائح الدم تترسب على الجدار وتتكسر وتسبب تخثر الدم Thrombosis, أي الجلطة .



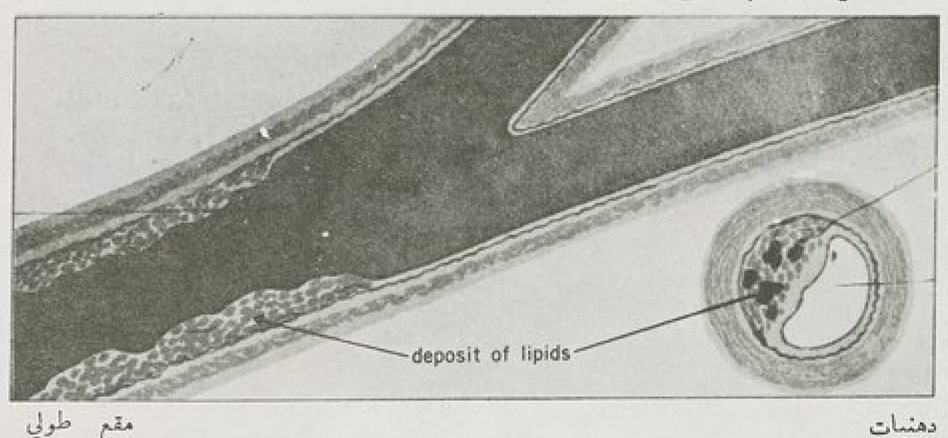
وعاء دموي : مقطع طولي لشريان سليم

وأنت ترى من الرسم أن الشريان يضيق نتيجة ترسب الدهنيات على الغشاء الداخلي للشريان Intima فتترسب الصفائح وتتكسر فتفرز خمائرها – انزيماتها – الخاصة بالتجلط والتخثر Clotting فتحصل الجلطة .

وأهم هذه الجلطات هو ما يصيب الأوعية التاجية وهي الاوعية التي تغذي عضلة القلب ويعتبر ضيق الشرايين وتصلبها أهم سبب لجلطة القلب كما تعتبر أهم سبب لجلطات الأوعية الدموية للمخ وما ينتج عنها من شلل ووفاة .

وتعتبر هذه الجلطات اهم سبب للوفاة على الاطـــلاق وتسمى في الولايات المتحدة القاتل رقم واحد .

ولا شك أن شرب الخمور يرفع نسبة الدهون في الدم . وهذا بالتالي يؤدي الى ترسيب تلك الدهنيات تحت الغشاء الداخلي للأوعية الدموية فيضيق الوعاء الدموي ومن ثم يؤدي الضيق الى الاختناق والجلطة .



مقع طولي

دهنيات مترسبة نتيجة شرب الخمور

مقطع عرضي

دهنيات مترسبة نتيجة شرب الخمور

مقطع طولي وعاء دموي لشريان ترسبت على جداره الدهنيات

وهكذا يتبين أن الخمور تؤدي الى جلطات القلب والمخ والى تصلب الشرايين بصورة عامة .

وليست كما كان يظن في السابق حتى في الدوائر الطبية من أنهـــا توسع الشرايين التاجية .

ورغم أن الخمور تساعد مؤقتاً على تمدد الأوعية الدموية في الجسم عامة وعلى الأخص الأوعية الدموية المنتشرة تحت الجلد . إلا أنها تفقد هذا التأثير بالنسبة

للشرايين التاجية المغذية لعضلة القلب .

فإذا جمعنا أثر الخمور مع أثر التدخين وكلاهما مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، إذ أننا نادراً مـا نجد من يشرب الخمر ولا يدخن أما العكس فقد نجده فإن الأمر يصبح خطيراً .

والتدخين بما فيه من مادة النيكوتين يسبب ضيقاً شديداً في الاوعية الدموية عامة ويرفع ضغط الدم ويزيد وجيب القلب – ضربات القلب – وتتعـاون المادتان الخبيثتـان في تضيق الشرايين واحدة بترسيب الدهون كما هو في الخمر والثانية بانقباض في العضلة الموجودة في جدار الوعاء الدموي وهو ما تفعـله السجائر .

وبهذه الصورة تكون الخمور وخاصة مع السجائر أحد أهم الاسباب المؤدية الى الذبحة الصدرية Angina Pectoris

وجلطة القلب Coronary Thrombosis

وقد زادت جلطات القلب في العالم زيادة مرعبة وأصبحت أهم سبب للوفاة على الإطلاق ولم تعد تصيب المتقدمـين في السن كما كان ذلك في الماضي بل انها صارت تصيب الشباب أيضاً . وقد كان من أندر النادر أن تصاب امرأة شابـة بجلطة القلب أما الآن فلم يعد ذلك نادراً وقد رأينا نحن عدة حالات من هـذا النـوع . وكانت تلك المرأة الشابة المصابة قد تعلمت التدخـين وهي في سن الخامسة .. نعم في سن الخامسة من العمر وابتدأت تشرب الخمور عندما كانت في السادسة عشرة وانتهى بها الامر إلى الجلطة في سن السادسة والعشرين ولعل القارىء سيذهل إن قلت له أن هذه المرأة لم نشاهدها في أوروبا وإنما شاهدناها في بلاد عربية مسلمة .

وجلطة القلب هي السبب الرئيسي لموت الفجاءة إذ أن ستين في المائـة من

الوفيات الناتجة من جلطة القلب تحصل في الساعات الاولى من الاصابة وثمانين في المائة من الوفيات تتم قبل مضي أربع وعشرين ساعة على الجلطة .

وكلما تقدم الطب زادت هـذه النسبة وارتفعت الاصابة بجلطات القلب — وانخفض السن الذي يصاب به المرء .

وهكذا يزداد مـوت الفجاءة مصداقاً لحديث رسول الله عن زيادة مـوت الفجاءة في آخر الزمان .

وقد زاد زيادة مرعبة حتى سمي ذلك المرض القاتل رقم واحـد . ورغم تقدم الطب وتقدم وسائله إلا أن هذا القاتل يغتـال الملايين من البشر في جميع أصقاع الأرض وخاصة البلاد المتقدمة مثل الولايات المتحدة .

هذا ما علمناه من تأثير الخمور على دهنيات الدم وعلى الجلطات، فهل لدهون الخنزير على وجه الخصوص مثل هذا التأثير .

لم تتضح بعد حسب علمي أي دراسة عن هذا الموضوع . وإن كانت الدهون الحيوانية متهمة على العموم .. ودهن الخنزير Lard به كثير من ثلاثي الجلسرايد Triglycerides وهو مكون من جلسريل+ باميتات وبه مواد أخرى كالوليسترول فهل لهذه الدهنيات على وجة الخصوص تأثير خاص ؟

لا أستطيع أن أقول أن هناك دراسات خاصة بذلك . ولكن من المؤكد أن هذه الدهنيات هي مما يسبب تصلب الشرايين وارتفـاع دهنية الدم والجلطات .

وربما يظهر في القريب أن لدهون الخنزير خصوصية في ذلك . ولن نسبق الحوادث ولكن غداً لناظره قريب .

هبوط ضغط الدم Postural Hypotension

يسبب شرب الخمور انخفاضاً في ضغط الدم عند الوقوف من وضع الاستلقاء

ويؤدي ذلك الى الشعور بالدوخة فإذا انخفض كثيراً أدى الى الإغماء . وقد يصاب المريض أثناء ذلك بجلطة في المخ أو في القلب نتيجة نقص الدم الى تلك الأعضاء .

وخاصة إذا كانت تلك الأوعية مصابة بتصلب الشرايين كما هو معهود في كثير من المدمنين نتيجة زيادة دهنية الدم وأما سبب الانخفاض في ضغط الدم فذلك لأن الأوعية الدموية تنبسط وتنقبض حسب حاجة الجسم . فإذا وقف المرء فإن هذه الأوعية تنقبض حتى لا ينخفض ضغط الدم .

وضغط الدم ناتج عن اندفاع الدم في الأوعية الدموية ومقاومة الأوعية لمروره فأنت إذا دفعت الماء في أنبوبة فإن ذلك سيولد ضغطاً على جدار الأنبوبة. ولكن الأنبوبة ثابتة القطر ولا تستطيع أن تضيق قطرها أو توسعه أما الأوعية الدموية فقد منحها الله القدرة على الانقباض أو الانبساط حسب الحالة المطلوبة وذلك بواسطة الجهاز العصبي المسمى الجهاز السمبتاوي — أي التعاطفي Sympathatic Nervous System ويقوم الجهاز السمبتاوي بتغذية جميع الأوعية الدموية ويفرز مادة الإدرينالين والنورا درينالين اللتين تقومان بتضييق أو مجرى الدم في الوعاء الدموي وذلك بجعل العضلة الموجودة في الوعاء الدموي تنقبض أو تنبسط .

ولكن شرب الخمور يصيب هذا الجهاز العجيب في الصميم فتنشل الأعصاب السمبتاوية وتبقى الاوعية الدموية بدون تحكم وكأنها أنبوبة من حديد . فإذا وقف المرء تجمع الدم أسفل الجسم وانخفض بذلك ضغط الدم فيقل الدم الذاهب الى المخ أو القلب مما يسبب الاغماء والذبحة الصدرية .

فإذا كان الانخفاض في الضغط شديداً أدى ذلك الى الجلطة .

كما أن للخمور تأثير آخر وهو تمدد الاوعية الدموية بالجلد والعضلات

والاحشاء مما يسبب هبوطاً في ضغط الدم .

وهكذا تتضافر الطريقتان في تسبب هبوط الضغط .

والعلاج يكون بالتوقف الفوري عن شرب الخمور وعدم الرجوع اليهـــا مطلقاً .

كما تعطى بعض المواد التي ترفع الضغط أو تلبس أربطة ضـــامة أو شراب ضام عند النوم بحيث إذا وقف المرء لم ينخفض الضغط انخفاضاً شديداً .

وينصح المرء بعدم الوقوف مباشرة من وضع المستلقي . بل عليه أن يجلس أولاً لعدة دقائق ثم يقف بعد ذلك .

أمراض الدم الناتجة عن شرب الخمور

الدم سائل لزج شفاف أحمر اللون يكون وردياً اذا كان محملاً بالاوكسجين في الشرايين نتيجة تأكسد – الهيموجلوبين – الخضاب كما يكون قاتماً عند حمله ثاني أوكسيد الكربون في الأوردة . وهو قلوي التفاعل وكثافته النسبية أكثر من كثافة الماء فتبلغ كثافته ١٠٦٠ .

ويتكون الدم – كما هو معروف من سائل – بلازما – الدم ومن خلايا وتتكون الخلايا من :

١ كرات دم حمراء .

٢ كرات دم بيضاء .

٣ صفائح .

ويكون الدم ٨ في المائة من جسم الإنسان . وبالإنسان البالغ خمسة لترات من الدم تكون البلازما منها ٥٦ بالمائة وتكون الخلايا الـ ٤٤ الباقية .

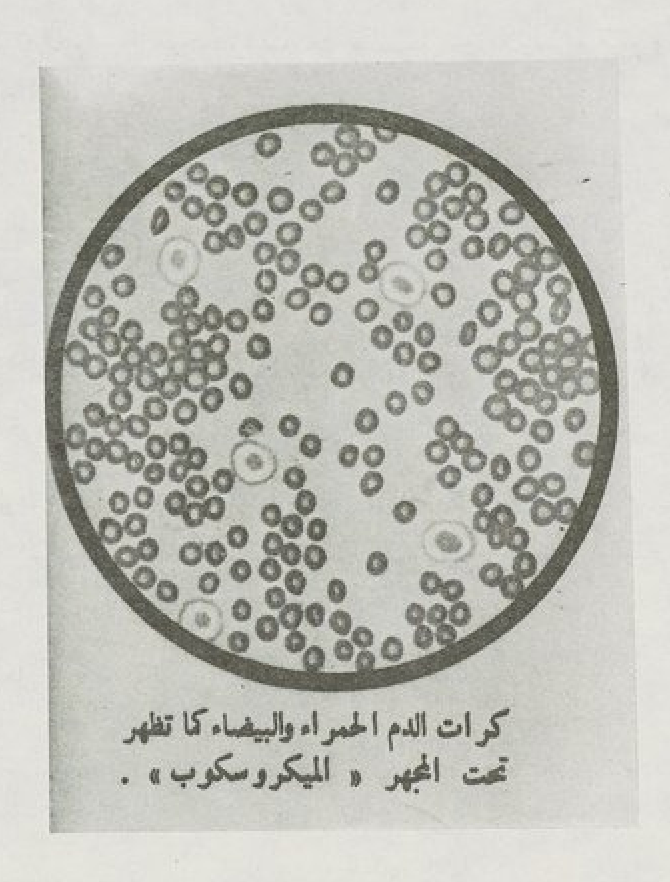
وتتكون البلازما – سائل الدم – من ماء وأملاح وبروتينات هامة هي الزلال – الالبومين – Albumen والجلوبيولين Globulin والفيبرونيوجين Fibrinogen – مولد الليفين – .

كما تحمل كل الانزيمات – الخمائر الهامة والهرمونات .

ووظائف الدم عديدة وأهمها ما يلي :

(١) نقل المواد الغذائية المهضومة من الجهاز الهضمي الى الكبد والى كافة أجزاء الجسم .

(٢) نقل الأوكسجين من الرئتين بواسطة الخضاب الهيموجلوبين Haemoglobuin الموجود بكرات الدم الحمراء الى خلايا الجسم فتقوم الخلايا بحرق الجلوكوز الذي يحمله الدم أيضاً وتحويله الى طاقة وثاني أكسيد الكربون وماء .. ومرة أخرى يقوم الدم بتحويل هذه المنتجات كلها فهو ينقل الحرارة والدفء الى



كرات الدم الحمراء والبيضاء كما تظهر تحت المجهر « الميكروسكوب » .

أجزاء الجسم كلها كما أنه ينقل الماء الى الكلي لإفرازه وينقـــل ثاني أوكسيد الكربون بواسطة الخضـــاب – الهيموجلوبين – الى الرئتين لافرازه مع هواء الزفير .

(٣) نقل مواد الاخراج اي المواد السامة التي تنتج عن تمثيل الغذاء أو غيره من المواد التي تدخـــل الجسم سواء بواسطة الحقن عضلية أو وريدية أو بطريق الفم وأهم هذه المواد هي البولينا التي تنتج من تمثيـــل المواد البروتينية وثاني أوكسيد الكربون الذي ينتج من انتاج الطـاقة من المواد النشوية أو الدهنية أو البروتينية . وقد ذكرنا أن ثاني أوكسيد الكربون ينقل الى الرئتين أما البولينا فتنقل الى الكلي لافرازها . كما تنقل مواد أخرى مثل ملح الطعام والماء مع العرق بواسطة الجلد .

(٤) نقل الهرمونات فتنقل هرمونات الغدد الصماء الهامة مثل الغدة النخامية الواقعة في أسفل الجمجمة والغدة الدرقية الموجودة في العنق والغدتين الكظريتين الموجودتين فـوق الكليتين والخصيتين أو المبيضين حسب الجنس ذكر أم أنثى وجزر لانجرهان Langerhan بالبنكرياس التي تفرز مـــادة الانسولين ذات الاهمية البالغة .

(٥) المحافظة على كمية السوائل الموجودة بالجسم وعلى درجة قـــلوية الدم والجسم .

(٦) تكوين وسائل الدفاع عن الجسم وذلك بواسطة كرات الدم البيضاء ، والمضادات البروتينية .

وتتكون الخلايا من :

١ – كرات الدم البيضاء White Blood Corpuscles .

٢ – كرات الدم الحمراء .

(١٣)

٣ – الصفائح .

ونبدأ نبذة بسيطة عن كرات الدم الحمراء :

ويحمـــل كل ملليلتر من الدم – والملليلتر واحد من الالف من اللتر – خمسة ملايين كرة دم حمراء وعددها في أي جسم بالغ هو ٢٥,٠٠٠ مليار (والمليار ألف مليون) في أي لحظة من اللحظات .

ويخلق الله ويميت منها في كل يوم مائتي مليار وفي كل ثانية مليونين ونصف كرة دم حمراء وفي حياة المرء يخلق الله ويميت ما يقارب خمسة مليون مليار أي خمسمائة كيلوجرام .

و كرات الدم الحمراء عبارة عن خلايا لا أنواء لها وهي مستديرة كالأقراص.. ووظيفتها الأساسية هي نقـل الأوكسجين من الرئتين الى خلايا الجسم والوظيفة الأقل هي نقل ثاني أوكسيد الكربون من خلايا الجسم الى الرئتين .

وأهم مادة موجودة في كرة الدم الحمراء الخضـاب – الهيموجلوبين – وهي مكونة من بروتين هو الجـلوبين Globin والصبغة وهي الهيم Haem والصبغة مكونة من مادة الحديد ومواد كيماوية أخرى .

وتأتي أهمية الحديد في الخضاب من مقدرته على حمل الأوكسجين من الرئتين الى الخلايا حيث يستعمل لتحويل الجلوكوز أو الدهنيات الى طاقة وثاني أوكسيد كربون وماء مثل أي عملية احتراق عادية تحتاج الى أوكسجين ليتم الاحتراق. ولكن الاحتراق هنا يتم ببطء وضمن أربعين عملية كيميـــائية معقدة حتى لا تنطلق الطاقة فتحرق الجسم بنارها . وإنما تنطلـــق على فترات حسب الحاجة اليها ويخزن الباقي على هيئة مادة فسفورية تدعى الأ. ت ب. A. T. P. .

وتصنع كرات الدم الحمراء في نخاع العظام .

وخاصة المفلطحة منها Flat Bones وأطراف العظام الطويلة عند البالغين أما الاطفال أو في حالات فقر الدم الشديد فإن النخاع بأكمله يشترك في صنع كرات الدم الحمراء . كما قد تساهم الكبد والطحال في مثل هذه الحالات .

وأهم عامل يؤدي الى زيادة انتاج كرات الدم الحمراء هو نقص الاوكسجين . ويستطيع النخاع أن يزيد من انتاج كرات الدم الحمراء من مائتي مليار يومياً الى ألف وأربعمائة مليار اذا لزم الامر .

ويحتاج النخاع الى المواد التالية كي يصنع كرات الدم الحمراء :

١) بروتينات

٢) حديد

٣) فيتامين ب ١٢ وحامض الفوليك

كما يحتاج الى مواد اخرى بكميات ضئيلة مثل الكوبالت وفيتامين ــ ج

أمراض كرات الدم الحمراء عند مدمن الخمر :

بما أن صنع كرات الدم الحمراء يحتاج الى عناصر غذائية هامة هي البروتينات والحديد وفيتامين ب ١٢ وحامض الفوليك مع مواد أخرى بكميات ضئيلة مثل الكوبالت فان أي نقص في هذه المواد يؤدي الى نقص خطير وعيب في كرات الدم المصنوعة .

ونحن قد أسلفنا القول بأن شارب الخمر يعاني من نقص شديد في التغذية فهو يعاني من فقدان الشهية ومن القيء المتكرر ومن التهاب المريء والمعدة والامعاء وما ينتج عن ذلك من سوء الامتصاص. كما أن الكبد نفسها تكون مصابة عند مدمني الخمور إصابات بالغة . والكبد مصنع هام لكثير من البروتينات وتخزن

مهم للحديد . وحامض الفوليك وفيتامين ب ١٢ أي كل العناصر المطلوبة لصنع كرات الدم الحمراء . فاذا أصيبت الكبد قل إنتاج البروتين وانخفض المخزون من الفيتامينات الهامة مثل ب ١٢ وحامض الفوليك ومن الحديد .

فقر الدم الناتج عن نقص الحديد .

ويؤدي التهاب المعدة إلى نقص افراز كلور الماء – الهيدرو كلوريك – الذي يساعد على امتصاص الحديد في الامعاء كما أن مدمن الخمر يفقد شهيته ويفقد رغبته في الطعام وحتى إذا وجدت لديه الرغبة وقليلاً ما توجد فانه ينفق ماله كله على الخمر بدلاً من الطعام الجيد .. وهكذا تتضافر هذه العوامل : تكرر النزف من دوالي المريء أو من البواسير Piles الناتجة عن تليف الكبد ويؤدي ذلك الى نقص شديد بالحديد المخزون بالجسم .

ويؤدي نقص الحديد إلى تكون عدد أقل من كرات الدم الحمراء كما أن كرات الدم الحمراء تكون أصغر من حجمها الطبيعي ويكون الخضاب في كل كرة حمراء أقل من الطبيعي وهذا يؤدي إلى نوع من فقر الدم يدعى Microcytic Anaemia أي فقر الدم ذي الخلايا الصغيرة القليلة الصبغة . وبما أن الخضاب – الهيموجلوبين – هو الناقل للاوكسجين من الرئتين إلى الخلايا فان نقص الخضاب يؤدي بالتالي إلى نقص الاوكسجين في الانسجة والخلايا ويؤدي ذلك إلى إصابة الخلايا التي تتأثر بأي نقص في الاوكسجين وأهمها خلايا المخ ثم القلب . ولذا يعاني مريض فقر الدم من الاصابة بالارهاق العقلي والجسدي . وقد تتضخم عضلة القلب كما قد نسمع لغطاً عند الاستماع إلى القلب بالسماعة الطبية ويكون اللغط نفخة انقباضية وعادة ما تكون قصيرة .

ويدخل الحديد في تركيب بعض الخمائر – الانزيمات – الهامة لتنفس الخلية مثل

انزيم صبغ الخلية . والانزيمات المؤكسدة Cytochrome, Cytochrome Oxidases.

كما يدخل الحديد في تركيب خضاب العجلات – الميوجلوبين Myoglobin ويؤدي كل ذلك الى نقص الأوكسجين بالخلايا والانسجة والعضلات .

فقر الدم الخبيث : Pernicious Auaemia

إن هذا المرض الخطير يحدث نتيجة نقص فيتامين ب ١٢ ويحصـــل إما نتيجة مرض وراثي أو نتيجة لالتهاب المعدة المزمن الذي يؤدي الى فقدان حامضية المعدة..فتصبح المعدة في هذه الحالة غير قادرة على افراز حامض كلور الماء الهيدرو كلوريك .

وبما أن شرب الخمور يعتبر من أهم أسباب التهاب المعدة المزمن المؤدي الى حالة اللاحامضية ، فإن شرب الخمور هو أحد أهم الاسبـــاب المؤدية الى هذا المرض الخطير الوبيل .

والمعدة عند الشخص السليم تفرز مادة تسمى العامل الداخلي Intrinsic Factor الذي يتحد بفيتامين ب ١٢ ويمتص في الامعاء الدقيقة أمـــا المعدة المريضة المصابة بالتهاب المعدة المزمن المؤدي الى حالة اللاحامضية Achlorohydria فإنها لا تستطيع إفراز هذا العامل الداخلي Intrinsic Factor وبالتـــالي لا تستطيع الامعاء الدقيقة أن تمتص فيتامين ب ١٢ الموجود في الطعام .

ونتيجة هذا العيب المشين يفقد النخـــاع – مصنع كرات الدم الحمراء – قدرته على انتـــاج أعداد وفيرة من كرات الدم الحمراء وتبقى الخلايا الأم في النخاع كما هي دون أن تتحول الى كرات حمراء كما ينبغي وما يتحول منهـا يكون كبير الحجم .

ولذا يدعى فقر الدم ذي الخلايا الكبيرة وتقـل كرات الدم الحمراء في الدم من خمسة ملايين الى مليون أو مليون ونصف ويقل الانتاج من مائتي مليـار كرة دم حمراء يومياً الى خمسين مليار أو أقل .

ويؤدي هذا النقص المشين في كرات الدم الحمراء الى نقصان قدرتها على حمل الاوكسجين فيقـل بالتالي الاوكسجين الى المخ والجهاز العصبي والى القلب والى بقية الاعضاء .. وبما أن القلب والجهاز العصبي هو أكثر الاعضـاء تأثراً بنقص الاوكسجين فإن ذلك يؤدي الى تضخم عضـلة القلب والى هبوط القلب . أما الجهاز العصبي فيصاب إصابات بالغة ابتداء من الجنون وانتهاء بالشلل بـأنواعه العديدة . فالنخاع الشوكي والمخ والاعصاب الطرفية كلهـا تتعرض للاصابة الشديدة .

ولخطورة هذا المرض سمي بفقر الدم الخبيث لانه عادة ما ينتهي بالوفاة إذا لم يعالج بحقن المريض بفيتامين ب ١٢ وتتحسن معظم الاعراض بعد بدء العلاج إلا أن بعضها قد يبقى حتى مع العلاج . ولكن من المؤكد أن الحـالة تتحسن ولا يسوء أي من الاعراض المذكورة .

ويؤدي نقص حامض الفوليك الى أنيمياء–فقر دم –مشابهة لتلك الأنيمياء الخبيثة الناتجة عن نقص فيتـامين ب ١٢ . وتكون كرات الدم الحمراء كبيرة الحجم وتؤدي الى هبوط القلب كما أنها قد تصيب الجهـاز العصبي إلا أنه من المؤكد أن إصابة الجهاز العصبي هي أقل بكثير من تلك التي تحدث في الأنيمياء الخبيثة الناتجة عن نقص فيتامين ب ١٢ .

وتعالج هذه بإعطاء المريض كميات من حامض الفوليك .

فقر الدم الانحلالي : Hoemolytic Anaemia

يختلف فقر الدم الانحلالي عن كل ما سبق أن ذكرناه من أنواع فقر الدم فتلك التي ذكرناها ناتجة عن نقص المواد الخـامة اللازمة للمصنع (النخاع) كي يصنع كرات الدم الحمراء . أما فقر الدم الانحلالي فالعيب ليس في نقص المواد الخـام ولا في المصنع ولا في الانتاج بل على العكس فإن الانتاج وفير .. وأكثر من المعتاد.. والانتاج اليومي هو مائتا مليار للشخص البالغ السليم.. أما في هذه الحالة فيتضاعف الانتاج حتى يصل الى ألف وأربعمائة مليار كرة دم حمراء يومياً ومع هذا فإن عدد كرات الدم الحمراء في الدم أقـل بكثير من الطبيعي . فالشخص السليم يحمل في كل ملليلتر خمسة ملايين كرة دم حمراء بينما في هذا المصاب بفقر الدم الانحلالي لا تزيد عن مليونين أو ثلاثة على الأكثر في كل مليلتر .. فما هو يا ترى السبب في هذا النقص ؟ لقد بحث الأمر ووجد أن كرات الـــدم الحمراء تتحطم وتهلك بسرعة غريبة وتلاقي حتفهـا بمجرد خروجها من المصنع أو قد تطول بها الحياة أياماً ولكنها لا تصل الى معدلها الطبيعي وهو مائة وعشرون يومياً .

وقد وجدت أسباب عديدة لانحلال كرات الدم الحمراء منها ما هو وراثي ومنها ما هو ناتج عن بعض السموم ومنهـــا ما هو ناتج عن حساسية لبعض العقاقير والأدوية ومنها وهنـا بيت القصيد ما هو ناتج عن شرب الخمور . وقد وجد أن شرب الخمور يؤدي الى زيادة دهنية الدم Hyperlipaemia وإلى فقر دم انحـلالي Hoemolytic Anaemia وإلى اصابة بالصفراء — اليرقان jaundlce وهذه الثلاثة مجتمعة تشكـل مرض زيف Zeive's Syndrome وهو مرض وصفه الدكتور زيف لدى شاربي الخمور ولا يصاب به غـيرهم قط فيصفر جسم المريض وملتحمة العينين ويكون البول أصفر قاتماً أقرب ما يكون الى الشاي الخفيف

أو الى البيبسي كولا .

ويصاب المريض بالرهق والارهاق والتعب الشديد من أي مجهود كما يصاب بآلام في عضلات الساقين عند المشي ولو لخطوات بسيطة . وكثيراً ما يصاب نتيجة لفقر الدم وزيادة الدورة الدموية بهبوط القلب .

وأول علاج لهذا المرض هو الامتناع البتة عن شرب الخمور . وقد يلزم في بعض الحالات نقل دم للمريض .

فقر الدم الناتج عن النزف : Blood Loss Anaemia

يتعرض مدمنو الخمور للنزف المتكرر وذلك للاسباب التالية :

١ — تليف الكبد .

ويؤدي تليف الكبد الى زيادة ضغط الدم بالدورة البابية Portal Hypertension مما ينتج عنه دوالي المرء Oesphageal Varices والبواسير Piles اللذان يتكرر منهما النزف ، وبهذه المناسبة نروي هذه الحادثة فقد سأل أحدهم الامام جعفر الصادق ان يشرب الخمر للتداوي من البواسير فقال الإمام جعفر : لا ولا جرعة قال ولم قال لأنه حرام وأن الله لم يجعل في شيء مما حرمه دواء ولا شفاء.فانظر كيف كان الوهم يسيطر على الناس ويجعلهم يشربون الخمر للتداوي من البواسير والخمر أحد مسبباتها . وكيف يتداوى المرء بالداء ؟ ولكن انظر الى إيمان الإمام جعفر الصادق فلا ريب لديه ولا تردد في صدق جده المصطفى عليه صلوات الله .. وهو الحق الذي لا مرية فيه . وإن قال الطب في زمنه غير ذلك . وقد رويت عن الإمام جعفر كثير من تلك الحوادث. فقد أصيب امرؤ من أتباعه بوجع فجاء الى الامام يخبره أن الطبيب قد نصحه بشرب الخمر

فقال له ما يمنعك من الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي ؟ قـــال لا يوافقني قال : فما يمنعك من العسل الذي قال الله فيه شفاء للناس؟ قال لا أجده قـــال فما يمنعك من اللبن الذي نبت منه لحمك واشتد عظمك ؟ قال لا يوافقني قـال : تريد أن آمرك بشرب الخمر ؟ لا والله لا آمرك .

وينتج عن دوالي المريء أن يتقيأ المرء دمـاً وينتج عن البواسير أن يتغوط المرء دماً فاخسيء بها من حالة . دم من أعلى ودم من أسفـل .. ويتكرر النزف حتى يودي بحياة المريض ويعتبر النزف هو أهم سبب للوفاة عند المصابين بتليف الكبد .

٢ – نقص الصفائح : Thrombocytopenia

ويقل عدد الصفائح نتيجة ازدياد تحطمها وهلاكها في الطحـــال المتضخم نتيجة تليف الكبد .

والصفائح من أهم العوامل في إيقاف النزف .

والصفائح أجزاء من خلايا وليست خلايا كاملة وفي كلا ملليلتر من الدم يوجد ربع مليون صفيحة . وللصفائح وظيفة هـامة جداً في تخثر الدم ومنع النزف عند الاصابة . فإذا ما قطعت يد بآلة حادة مثلاً فإن الدم يتدفق من الأوعية الدموية – العروق – المقطوعة .. ولكن سرعان مـا تتجمع الصفائح وتفرز مواد هامة لبدء عملية سريعة مـــن التخثر – التجلط – كما أنها تصدر أوامر سريعة للأوعية الدموية المصابة والقريبة من الاصابة بالانقباض حـتى لا يتدفق منها الدم .

وهكذا سرعان ما تقوم بوظيفتها في إيقاف النزيف .

ولنأخذ فكرة مبسطة عن كيفية تخثر الدم أو تكوين الجلطة .

إن للدم خاصية عجيبة في التخثر خلال دقيقتين وبعدها يجمد الدم مكونا ما يعرف بالجلطة الدموية Blood Clott التي تبقى عائمة في سائل يعرف بالمصل Serum وإذا دققنا النظر في الجلطة بواسطة- الميكروسكوب - المجهر وجدناها مكونة من خيوط الليفين Filbrin وفي وسطها كثير من الكرات الدموية الحمراء والبيضاء .


كرات الدم الحمراء وهي حبيسة بين خيوط الفيبرين في جلطة دموية .

وتتوقف عملية التخثر Serum على وجود :

(١) الصفائح Platlets التي تفرز مادة الثرمبوجين - مولد الجلطة .

(٢) مولد الليفين Fibrinogen وهي مادة بروتينية تصنعها الكبد .

(٣) عدة مواد وخمائر أخرى يصنع معظمها الكبد نذكر منها عامل خمسة وسبعة وعشرة ومادة البروثرمبين Prothrombin

(٤) وجود الكالسيوم بالدم .

ولذا فإن اصـــابة الكبد بالتليف عند شاربي الخمور يؤدي الى نقص المواد اللازمة للتخثر وأهمها مولد الليفين والخمائر الهامة كمعامـل خمسة وسبعة التي تصنعها الكبد .

فـإذا نقصت هذه المواد أدى أي خـدش بسيط الى نزيف مستمر وخاصة من المـــريء نتيجة وجود دوالي المريء Oesphageal Varices والشرج حيث البواسير ويكون من العسير إيقاف هذا النزيف وقد يودي بحياة المريض .

وهكذا يصاب مدمن الخمر بالنزف المتكرر نتيجة عدة عوامل :

(١) وجود دوالي المريء والبواسير .

(٢) نقص الصفائح .

(٣) نقص المواد الهامة لمنع النزيف مثـــل مولد الليفين Fibrinogen والبروثرمبين Prothrombin وعامـــل خمسة وسبعة وأحد عشر وكلها تصنعها الكبد .

وهكذا تتضافر هذه العوامل جميعاً فيتكرر النزف لدى مدمن الخمرويصاب نتيجة لذلك بفقر دم وتكون كرات الدم الحمراء في هذه الحـــالة في حجمها الطبيعي في معظم الأحيان وهو ما يعرف بـ Normocytic Aneamia أي فقر دم ذي الخلايا العادية .. وأحياناً ينتج عن ذلك فقر دم ذو خلايا صغيرة .

كرات الدم البيضاء :

وتعتبر كرات الدم البيضاء أحد أهم وسائل الدفـــاع بالجسم .. وهي على أنواع وكل نوع منها متخصص في وظيفة معينة من وظائف الدفـاع عن الجسم ضد الأجسام والميكروبات الغازية .

ويتراوح عددها في الدم ما بين أربعة إلى عشرة آلاف كرة دم بيضاء في كل ملليلتر من الدم . وهو عدد أقـــل بكثير من عدد كرات الدم الحمراء التي تبلغ

خمسة ملايين . وينتج معظم خلايا الدم البيضاء النخاع وما تبقى منهـا نتيجة الغدد اللمفاوية والطحال ولا تبقى هذه الخلايا بالدم كثيراً وإنما تذهب إلى الانسجة ومواقع المعارك في الجسم حيث تشترك اشتراكاً فعلياً في التهـام العدو أو على الأقل إيقاف نشاطه المعادي ويهلك الكثير منها أثناء هـذه العمليات الدفاعية المجيدة . ولم يحدث أن فرت قط من معركة بل تقاتل حتى الموت .

وما الصديد والقيح إلا جثث هذه الخلايا التي قتلها العدو مع جثث الأعداء والناتجة عن هجوم العدو .

فماذا تفعل بهذه الخلايا ؟ إن أهم وظيفة لهذه الخلايا البيضاء هي قدرتها على الحركة والتوجه فوراً إلى ميدان المعركة فهي أدوات قتالية متحركة لا تنتظر حتى يهجم عليها العدو بل تسارع إلى مواقعه بعد تلقيها الاشارة من مكان الاصابة أو مواقع الهجوم على الجسم فتغادر مسرعة الدم إلى تلك البقـــاع ولكن الخمر تسكر هذه الخلايا وتفقدها قدرتها على الانطلاق والاندفـــاع والحركة نحو الاهداف المطلوبة فتبقى مترنحة في مسرى الـــدم دون أن تقوم بوظيفتها الأساسية . وليس هذا الكلام تشبيهاً أدبياً وإنما هو الواقع الفعلي الذي تقوم به الخمر وهو ما يعرف بالانجليزية Immobilisation أي فقـــدان القدرة على الحركة والتوجه .

وهكذا تفقد كرات الدم البيضاء قدرتها على التوجه السريع لميدان المعارك لمواجهة القوى الغازية المعتدية عند مدمني الخمور . فماذا تكون النتيجة ؟

لا يحتاج القارىء إلى كثير من الخيـــال ليتصور تلك النتيجة المرعبة لهجوم الأعداء على الجسم الإنساني وأهم وسائل دفاعه مشلولة .

فتجد الميكروبات والقوى الغازية نفسها بدون مقـــاومة تذكر فتشدد من هجومها ولا تجد من يصدها فيقع الجسم فريسة لها .. وهكذا تعتور الأمراض مدمن الخمر ولا يقتصر الهجوم على جهاز دون جهاز وإنما يشملها كلها .. ولكن

أهم الأجهزة التي تصاب بالانتانات Infections الناتجة عن الهجمات الميكروبية هو الجهاز التنفسي فتكثر الالتهابات الرئوية وفي كثير من الأحيان تكون مميتة .

ليس ذلك فقط بل تقوم المخلوقات الموجودة في أجسامنا والتي تعيش معنا في وئام وسلام Symbiosis تقوم هذه المخلوقات التي نضيفها في أجسامنا دون علمنا بهجوم ساحق ماحق عندما ترى الضعف يستولي علينا ، وعندما تعلم أن أجهزة الدفاع وأهمها كرات الدم البيضاء مشلولة نتيجة لشرب الخمور. وهكذا نرى المخلوقات الصغيرة تهاجم أجسام مدمني الخمور من كل حدب وصوب حتى تلك التي يستضيفها الجسم عادة دون أن تؤذيه .

تلك نبذة موجزة ما تفعله الخمر بالجهاز الدموي ولسنا نريد الاطالة ففيما ذكرنا الكفاية لمن أراد أن يرعوي وينتهي وإلا فهي نفسه وجسمه وعقله يحطمه ويرديه ويورده حتفه . ولسنا نملك له سوى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والله الهادي إلى سواء السبيل .

مشكلة الادمان

ان ادمان شرب الخمور مشكلة عميقة الجذور.. ولا يمكن حلها بنظارة سطحية او بمعالجة اسبابها الظاهرة فقط .. وقد أصبحت المشكلة خطيرة جداً في أوروبا وأمريكا حيث الخمور في متناول الجميع .. فقد ارتفعت نسبة الادمان وارتفع عدد المدمنين في الولايات المتحدة من أربعة ملايين في أوائل الستينات الى ما يقرب من عشرة ملايين في أوائل السبعينات كما ذكرها المرجع الطبي سيسل ولوب طبعة ١٩٧٢ م . كما ان المدمنين في بريطانيا قد قاربوا المليون في السبعينات بينما كانوا أقل من نصف مليون في الستينات .. واذا حسبنا ذلك بالنسبة الى مجموع السكان فيكون ذلك ٤ أو ٥ في المائة من مجموع سكان الولايات المتحدة واثنين في المائة من مجموع سكان بريطانيا . كما ترتفع النسبة في بعض أقطار أوروبا الى ٨ في المائة وهي نسبة جد مرتفعة .

والدوائر الطبية في أوروبا وأمريكا منزعجة أشد الانزعاج لارتفاع نسبة المدمنين عاماً بعد عام . كما أن المقبلين على استخدام أكثر من عقار يزدادون باضطراد فمدمنو الخمر يمكن أن يكونوا مدمنين أيضاً على الحشيش او الافيون او الباربيتوارت أو مادة ال . س . د L. S. D. (مادة الهلوسة) .

وقد لوحظ أن موجة الادمان هذه يصحبها ارتفاع مفاجيء في الاصابة

بالامراض التناسلية فالسيلان وصل الآن الى أرقام خيالية .. وقد أصبح علاجه عسيراً بعـــد أن كان من أسهل الامراض علاجاً وذلك لتخلق بكتيريا مضادة للمضادات الحيوية كما أن الزهري وهـــو أخطر الامراض التناسلية ابتدأ في الظهور مرة أخرى بعد أن كاد يندثر بعد اكتشاف البنسلين في الاربعينات .

وإذا عرفنا أن عـــدد المدمنين لا يزيد عن عشرة في المائة من مجموع الذين يشربون الخمر في المناسبات الاجتماعية فإننا سنواجه مئات الملايـين الذين يقعون من حين لآخر تحت سيطرة هذا العقـــار اللعين . ففي الولايات المتحدة مثلاً يشرب الخمر ما يقارب من مائة مليون شخص وهؤلاء يدعون Social Drinkers أي شاربي المناسبات الاجتماعية .. ومن هؤلاء عشرة ملايين شخص لا يستطيعون فكاكاً من أسر الخمر . وهؤلاء هم المدمنون .

والمدمن هو الشخص الذي يتعود على عقار معين مثـــل الخمر مثلاً فلا يستطيع أن يتوقف عن شربها رغم إرادته ورغم محاولاته اليائسة في التوقف. فالمدمن يجد دوافع نفسية قوية لا يستطيع أن يكبح جماحها لتنـــاول الخمر في أوقات متقاربة بحيث لا يعود له هم ولا تفكير إلا في طريقة حصوله عليها .. فينفق وقته وماله وتفكيره كله فيها بحيث تشل حياته شللاً بالغاً .

وإذا توقف المدمن عن الشرب فجأة اضطرب كيـــانه النفسي والجسمي حتى يعب منها كؤوساً مترعة .

وبما أن مفعول المادة المسببة للادمان يقل باستمرار فـإن المدمن يضطر الى زيادة الكمية المتعاطاة باضطراد .. فالكأس تصبح كأسين والكـــأسين ثلاثة وهكذا .. كما أن الفترات الزمنية التي يقضيها بدون شرب الخمر تقل كذلك. فإذا كان يشرب في المساء فقط وهو ما كان يدعى عنـــد العرب الغفوق فإنه

يضطر الى شربها صباحاً وهـو ما كان يدعيه العرب في الجاهلية الصبوح .. ثم يضطر الى تناولها أثناء العمل وفي فترة الغداء .. وهكذا تزداد الكمية تباعاً حتى لتحدث له نوبة سحبها أثناء نومه فيضطر الى القيـام من نومه ليعب منها كأساً أو كأسين .

وأسباب الادمان غير معروفة بوضوح الى الآن .. وهناك عوامـل كثيرة متداخلة وتتفاعل جميعاً لتسبب الادمان .

وأول هذه العوامل هو **وفرة الخمر وسهولة الحصول عليها** فهي في متناول أي شخص في أوربا وأمريكا وفي كثير من البلاد العربية والاسلامية التي تبيح قوانينها شرب الخمور واستيرادها وبيعها وصناعتها والاعلان عنها .. بـل أن بعض هذه الدول تقوم بصنع بنفسها الخمور وبيعها للشعب المسلم .. فمصانع البيرة في مصر مثلاً هي ملك للدولة وتقوم هي بالاعلان عنها وترويج بيعهـا .. كما أن بعض الكتّاب نذكر منهم أمينة السعيد تنادي بأن تقوم الدولة بتوزيع البيرة الى أعماق الريف المصري الذي لم تصل اليه الخمور بعد . وتدعي أن تلك هي الوسيلة الناجعة لمحاربة الحشيش . وما علمت ان الخمر أسوأ فتكاً وضرراً من الحشيش . ومعالجة مشكلة الحشيش لا تكون بإيجاد مشكلة الخمر وكلاهما يدل على الجهل المطبق بتأثير المادتين .. ولعلها تريد أن تزيد الطين بلة وتفتح المجال على مصراعيه لإدمان الخمور بالاضافة الى ادمان الحشيش .

يقول الدكتور أوبري لويس أستاذ الأمراض النفسية في جـامعة لندن في « مرجع برايس الطبي » وهو أشهر مرجع طبي بريطـاني .. إن الكحول هو السم الوحيد المرخص بتناوله على نطاق واسع في العالم كله .. ويجده تحت يده كل من يريد أن يهرب من مشاكله .. ولذا يتناوله بكثرة مضطربو الشخصية ..

كما يؤدي هو إلى اضطراب الشخصية ومرضها Psychopathic Anomaly إن جرعة واحدة من الكحول تسبب التسمم وتؤدي إلى الهيجان أو الخمود . أما شاربو الخمر المزمنون فيتعرضون للتحلل الأخلاقي الكامل مع الجنون .

وثاني هذه العوامل: هو اضطراب الشخصية .. وقد يكون ذلك ناتجاً عن عوامل وراثية أو بيئية .. إن إدمان الخمور في بلد ما قد يزيد بعد النكبات والكوارث أو بعد الثورات العنيفة وخاصة منها الثورات البلشفية حيث تتحطم قيم المجتمع القديم قبل أن تحل محلها قيم جديدة .. وتتفكك حينئذ روابط الأسرة والمجتمع كما تحل النكبات والكوارث بكثير من الأفراد وأسرهم .. وعندئذ يهرب كثير من أولئك الأشخاص الى الخمر .

ولا شك أن أمراض الشخصية Psycopaths تزداد في مثل تلك الفترات العنيفة .. التي تهز كيان المجتمع من الأعماق كما تهز كيان الأفراد وقد لوحظ ذلك حتى في بعض البلاد العربية التي خضعت لسيطرة الأحزاب الشيوعية وانتشرت حالات الادمان حتى في أعضاء التنظيم نفسه .. إذ أن كثيراً من أعضاء التنظيم اليساري ذاته يواجهون صراعات نفسية عنيفة بين بقايا الأخلاق التي يسمونها الرجعية والباقية في أعماق النفس وبين التحلل الأخلاقي الكامل المدعي التقدمية .

وليس من اليسير على البدوي الذي انخرط في سلك التنظيم أن يرى أخته أو زوجته أو ابنته مع رفيقه .. وحين يقال له أن مشاعر الغيرة هي من مخلفات الرجعية والبرجوازية والأخلاق الكمبرادورية .. وان عليه أن يكون مثالاً للالتزام الايدلوجي الماركسي اللينيني اللاديني فإنه إما أن يكفر بتلك المبادىء أو يتناسى أفكاره الرجعية ومخلفات البرجوازية والاقطاعية والعشائرية بالخمر .

أما ثالث هذه العوامل فهي المصاعب والمشاكل التي يواجهها المرء في حياته. كالفشل في العمل أو الدراسة أو الزواج أو إخفاق من أي نوع كان .. أو العيش في أوضاع لا يطيقها ولا يرضى عنها . فيجد حينئذ شارب الخمر سلواه وعزاءه وملاذه في الكأس فيهرع اليها .. ويجد أنها تنسيه مشاكله لساعات وتخفف عنه ما يكابده ويعانيه .. وما هي إلا أيام وليال حتى تصبح الخمر هي مشكلته الكبرى وبلاؤه الأعظم ويحاول الفكاك منها فلا يجد منها مهرباً ولا محيصاً .. وكلما شرب منها ليرتوي زاد ظمأه وتأجج السعير الذي بداخله حتى ينجرف الى قاع الهاوية .

وليس من الحكمة في شيء أن نقرب النار من مواد قابلة للاشتعال لأن ذلك قد يحدث حريقاً هائلاً يصعب إطفاؤه . وهذا ما حدث بالفعل في أوروبا وأمريكا وبعض أقطار أفريقيا كجنوب أفريقيا حيث تدمن قبائل البانتو على شراب يدعى « شراب الكافر » Kaffir's Drink وهو نوع من الأنبذة .. وكما يحدث في أماكن متفرقة من العالم .

وبما أن الخمر تشرب في العادة لمجاراة الأصدقاء والخلان وفي الحفلات الاجتماعية أول الأمر وبما أن خاصيتها تسبب الإدمان فإن شاربها يتعرض لخطر الادمان بمجرد مواجهته لمصاعب مالية أو اجتماعية أو نفسية .. وسرعان ما يلجأ اليها كمتنفس لفشله وخيبته أو لمداواة جراحه النفسية .

ولهذا السبب نفسه نجد أن أعداد المدمنين قد بلغت الملايين ففي الولايات المتحدة عشرة ملايين مدمن خمر وفي بريطانيا مليونان وفي فرنسا أربعة ملايين. وهؤلاء هم الذين استعبدتهم الخمر وصاروا لا يستطيعون فكاكاً من ربقتها وأسرها .. ويعانون من جراء الخمور من أمراض نفسية وجسدية ومصاعب

اجتماعية بالغة الخطورة .

وليس من السهل أن تقنع شخصاً يواجه مشكلة عنيفة ومرارة نفسية أن يقلع عن الخمر وهي في متناول يده . ودون أن توجد له البديل .. إلى من يشكو ؟ إلى من يلجأ ؟ من يفك عنه أسره ؟ من يرفع عن كاهله وزره ؟ إذا لم يجد أحداً يحنو عليه ويرأف به ويرنو به إلى آفاق عليا ويستشرق ببصره إلى النور الألق الممتد عبر الظلم والظلمات .. إذا لم يجد هذا كله فلا مندوحة له من الوقوع في براثن الادمان ، إن لم يكن بالخمر فبالأفيون والحشيش . وبما أن الخمر أقربها تناولاً فهي أكثرها انتشاراً .

لهذا أقول المشكلة أعمق من أن ننظر إلى ظاهرها فقط .. ولا يكفي فيها بيان أضرار الخمر ومساوئها . فالذي يشرب الخمر ويدخن السجائر لا يجهل في أغلب الأحيان أضرارها على الجملة إن فاته معرفة التفاصيل..ولكنه يتناولها رغم معرفته هذه الأضرار .

واضرب لذلك مثلاً حياً .. فقد قامت الولايات المتحدة بتجربة رائدة في القرن العشرين .. فقد أقر الكونجرس الأمريكي بالإجماع تقريباً منع الخمر بقانون صدر في ١٦ يناير ١٩١٩ وينفذ من بداية يناير ١٩٢٠وهو القانون المشهور باسم التعديل الثامن عشر .. ويحرم القانون صناعة الخمور سراً وجهراً وبيعها وتصديرها واستيرادها ونقلها وحيازتها.. وكل من يخالف ذلك يعاقب بالسجن أو الغرامة أو كليهما معاً .. وقد وافق الكونجرس على هذا القانون بعد دراسة مستفيضة قدمها الأطباء وعلماء الاجتماع والسياسيون عن أضرار الخمر ..وسبق المنع حملة واسعة من التوعية في جميع وسائل الاعلام وفي المدارس والمصانع وصار تدريس أضرار الخمر جزءاً من المواد الدراسية التي يدرسها الطالب في

الابتدائي والثانوي والجامعة .. وأجرى استفتاء عام قبل منعها فوافقت الأغلبية الساحقة على ذلك الاجراء ثم قام الكونجرس وأعقبه مجلس الشيوخ بالموافقة على ذلك الاجراء .

وبذلت جهود جبارة في التوعية حتى لقد سودت تسعة ملايين صفحة تبين أضرار الخمر الطبية والاجتماعية والأخلاقية . وبلغت تكاليف الحملة الاعلامية في ذلك العام فقط خمسة وستون مليون دولاراً.

ولكن لم يكد يمضي على إغلاق الحانات ومصانع الخمر أيام قلائل إلا ابتدأت تنتشر آلاف الحانات السرية المدعاة Blind Pigs (الخنازير العمياء) تسمية عجيبة أليس كذلك ؟

وفي غضون أشهر قليلة زاد شاربو الخمر عما كانوا عليه قبل المنع .. فحاول القانون أن يفرض المنع بالقوة وقدم إلى المحاكمة ملايين الأشخاص .. وكان نتيجة ذلك أن سجن نصف مليون شخص لإدانتهم بشرب الخمر أو الاتجار فيها أو حيازتها وذلك ما بين الفترة الواقعة من يناير ١٩٢٠ إلى أكتوبر ١٩٣٣ أي الفترة التي منعت فيها الخمر في الولايات المتحدة ..

كما قدم إلى القضاء في تلك الفترة مجرمون عتاة ارتكبوا جرائم مريعة بسبب الخمر وقد أدانت المحاكم الكثير منهم وصدرت الأحكام باعدام مائتين من عتاة المجرمين الذين قاموا بجرائمهم من أجل الخمر .. كما قامت الحكومة بمصادرة املاك الحانات ومصانع الخمر السرية وبلغ قيمة الأموال المصادرة أربعمائة مليون دولار. ومع هذا فقد انتشرت العصابات الاجرامية مثل عصابات آل كابوني الشهيرة وافلت كثير منها من قبضة القانون .

ومما ذكرنا يبدو واضحاً ان الحكومات المتعاقبة في الولايات المتحدة في فترة

المنع (٢٠ – ١٩٣٣) كانت جادة في تطبيق القانون . فقد بذلت في ذلـــك جهوداً جبارة ولكن كل تلك الجهود المضنية باءت بالفشل .. وصار من المحتم على الحكومة الاميركية والكونجرس الاميركي ان يعيد النظر في قرار المنع ذلك .. اذ وجدت الحكومة الاميركية ان ملايين الامريكيين قد أقبلوا على شرب الخمور السرية الرديئة وزاد الاقبال عليها وخاصة بين الشباب.. وظهرت فئة لم تكن تعرف من قبل وهم باعة الخمر المتجولون الذين يبيعون الخمر الى طلبة المدارس والمكاتب والمتنزهـــات والفنادق ويدعون Boot Leggers ولم يكن يثنيهم عن جهودهم تلك خوف القانون ولا بطش البوليس ولا شدة العقوبـــة فقد كانت المغريات كثيرة والربح سهل ووفير . ومعظم الناس يتعاونون معهم ويخفون أمرهم عن القانون .. حتى اتهم بعض رجال الشرطة أنفسهم بالتعاون مع هؤلاء الخمارين .

واعترف رئيس سابق لقسم منع الخمور بأنه لم يتمكن من العثور إلا على عشرة في المائة من مصانع الخمر السرية . وقد قدرت الكمية التي تشرب من الخمر في اعوام المنع بمائتي مليون جالون سنوياً .

وانتشر استعمال الخمور الرديئة .. وكل الخمور رديئـة إلا انها تتفاوت في درجة الرداءة فالابسنث الذي يحتـــوي على مادة الثوجون Thujone يسبب الصرع . وخمر نشارة الخشب Wood Spirit يحتوي على السم الزعاف وهـــو الكحول المثيلي ويسبب العمى وتسمم عضلة القلب فالوفاة* .

وقد نشرت آنذاك احصاءات مرعبة عن الوفيات الناتجة عن استعمال تلك الخمور الرديئة او قل تلك السموم الناقعة ، ففي عام ١٩٢٧ هلك من استعمال تلك السموم الناقعة سبعة آلاف وخمسمائة شخص ، كما أصيب بأمراض وبيلة من جراء شربها احدى عشر الفاً في نفس العام . وازدادت نسبة الجرائم كلهـا من

هتك للاعراض وسرقة وقتل وتضاعف عدد المجرمين ثلاثة اضعاف ما كان عليه قبل المنع . وصرح الكولونيل موسى رئيس المجلس الوطني للجريمة National Crime Council في ذلك الوقت بقوله : ان واحداً من كل ثلاثة امريكيين يتعاطون الجرائم . وقد ازدادت جرائم القتل ثلاثمائة في المائة عما كانت عليه من قبل .

وكانت نتيجة هذه الإحصاءات والمعلومات المرعبة أن اجتمع الكونجرس والحكومة وأعادوا النظر في منع الخمور . وقرر الكونجرس في أبريل ١٩٣٣ إصدار قانون بإباحة البيرة والسيدر فقط أي الخمور التي تحتوي على ثلاثة بالمائة من الكحول فقط ثم لم تمض بضعة أشهر حتى رفع قرار الحظر بالكلية في ديسمبر ١٩٣٣ . وبذلك عادت الولايات المتحدة إلى السماح بصناعة الخمور وبيعها والاتجار بها . وأوكل الكونجرس إلى كل ولاية إصدار القوانين الخاصة بتنظيم صناعة الخمر وبيعها وتداولها واحتفظ الكونجرس بقانون يعاقب السائقين على شرب الخمر إذا بلغت نسبة الكحول في الدم مائة مليجراماً أو أكثر .

ومن الواضح الجلي أن قرار إباحة الخمر لم يصدر لوضوح حقائق جديدة تلغي المفاهيم والمعلومات القديمة عن أضرارها .. بل على العكس من ذلك ازدادت الأبحاث الطبية والاجتماعية التي توضح مضار الخمر ومساوئها .. ولكن المنع لم يؤد إلى النتيجة المطلوبة بل إلى عكسها فزاد شرب الخمر وزاد الإجرام وزادت نسبة الوفيات من الخمر الرديئة وزاد الادمان فكان لا بد من إعادة النظر في القرار على هذا الأساس يقول صمويل ميلس في كتابه : Learning About Alcohol

«إن قرار منع الخمر لم يلغ على اساس أن الخمر جيدة أو سيئة ،ضارة أو غير ضارة . إن القرار قد ألغي على أساس واقعي هو أن المنع قد فشل . »

هذا المثل يوضح لنا بجلاء كيف أن معرفة أضرار الخمر أو أي مادة أخرى لا يكفي لمنع تداولها وتناولها بل على العكس قد يؤدي قـــرار المنع المبني على العلم وحده إلى مضاعفات خطيرة كما حدث بالنسبة للولايات المتحدة ..

إن هذه الواقعة تعطينا بعداً جديداً لمعــالجة المشكلة .. لقد فشلت التجربة الأمريكية في منع الخمر وهي مدعمة بالعلم الحديث وبوسائل الإعلام الجبـــارة ومنذ قرار رفع المنع وهي تجرب وسائل أخرى للحد من آثار الخمر الضارة.. ولم تعد تأمل في التوصل إلى المنع بعد ذلك الفشل الذريع . ومع هذا فإن الادمان في ازدياد وأمراض الخمر أكثر انتشاراً ممـا كانت عليه ، ولنترك الآن أمريكا وأوروبا في محاولاتها اليائسة البائسة ولنلتفت إلى تجربة سبقتها بـــألف وأربعمائة عام .

لننظر الآن إلى المجتمع العربي الجاهلي الذي كان يحب الخمر ويــكاد يعبدها فقد كانت الخمر ديمنهم وأبدعوا في أسمائها وصفاتها وأوقـــات شرابها . وكان الاعتقاد السائد لديهم أنها دواء كما ذكرنا ذلك في حديث طـــارق بن سويد الحضرمي الذي قال لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله إن بأرضنا أعناباً نعصرها فنشرب منها ؟ قال لا . فراجعته قلت : انا **نستشفي للمريض** . قال إن ذلك ليس بشفاء ولكنه داء . وكذلك قول طارق الجعفي : إنما أصفها للدواء. فقال له رسول الله ﷺ إنه ليس بدواء ولكنه داء .

فانظر إلى الفارق بين النظريتين : أمة جاهلة أمية تكاد تعبد الخمر وتعتقد أنها غذاء ودواء . وأمة شابة فتية أوتيت من كل شيء وسخر الله لهـا الكون بأمره حتى لتطير في الفضاء وتصل إلى القمر وتعرف الشيء الكثـير عن الخمور وأضرارها .. وتعلم علم اليقين أنها داء . ثم تجمع هذه الأمة الأخيرة على منعها. أفلا يكون حرياً بها أن تفلح في ذلك؟ ولكنها بالتجربة المريرة تفشـــل أسوأ

الفشل وتذوق مرارة الخيبة وتبوء بالخسران في معركتها مع الخمر .

وهذه الأمة الجاهلة الامية البدوية التي تكاد تعبد الخمر ينقلها الاسلام العظيم والتعاليم الربانية متدرجاً بها إلى الامتناع عن شرب الخمر البتة دون خوف من سلطان أو رقيب إلا سلطان الله ورقابته الدائمة .

ولهذا لم يأت الاسلام أول الامر ليمنع الخمر ولكنه أولاً ثبت أركان العقيدة وكما يقول الشهيد سيد قطب « لم يبدأ المنهج الاسلامي في معالجة هذه التقاليد في أول الأمر لأنها إما تقوم على جذور اعتقادية فاسدة فعلاجها من فوق السطح قبل علاج جذورها الغائرة جهد ضائع حاشا للمنهج الرباني أن يفعله . إنما بدأ الاسلام من عقدة النفس البشرية الأولى عقدة العقيدة .. بدأ باجتثاث التصور الجاهلي الاعتقادي جملة من جذوره وإقامة التصور الاسلامي الصحيح .. إقامته من أعماق القاعدة المرتكزة إلى الفطرة — بين للناس فساد تصوراتهم عن الألوهية وهداهم إلى الإله الحق. وحين عرفوا إلههم الحق بدأت نفوسهم تستمع إلى ما يحبه منهم هذا الإله الحق وما يكرهه. وما كانوا قبل ذلك ليسمعوا أو يطيعوا أمراً ولا نهياً . وما كانوا ليقلعوا عن مألوفاتهم الجاهلية مهما تكرر لهم النهي وبذلت لهم النصيحة .. إن عقدة الفطرة البشرية هي عقدة العقيدة وما لم تنعقد هذه العقدة أولاً فلن يثبت فيها شيء من خلق أو تهذيب أو اصلاح اجتماعي .. إن مفتاح الفطرة البشرية ها هنا وما لم تفتح بمفتاحها فستظل سراديبها مغلقة ودروبها ملتوية وكلما كشف منها زقاق انبهمت أزقة ، وكلما ضاء منها جانب أظلمت جوانب وكلما حلت منها عقدة تعقدت عقد، وكلما فتح منها درب سدت دروب ومسالك إلى ما لا نهاية » .

« لذلك لم يبدأ المنهج الاسلامي في علاج رذائل الجاهلية وانحرافاتها من هذه

الرذائل إنما بدأ من العقيدة . بدأ من شهادة ان لا إله إلا الله . وطـــالت فترة إنشاء لا إله إلا الله هذه في الزمن حتى بلغت ثلاثة عشر عاماً لم يكن فيهـا غاية إلا هـذه الغاية : تعريف النــاس بإلههم الحق وتعبيدهم له وتطويعهم لسلطانه حتى إذا خلصت نفوسهم لله وأصبحوا لا يجدون لأنفسهم خيرة إلا ما اختـاره الله عندئذ بدأت التكاليف بما فيها الشعائر التعبدية . وعندئـــذ بدأت عملية تصفية رواسب الجاهلية الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والأخلاقية والسلوكية . بدأت في الوقت الذي يأمر الله فيطيع العبـــاد بلا جدال لأنهم لا يعلمون لهم خيرة فيما يأمر الله به أو ينهى عنه أياً كان » .

« ومع هذا فلم يكن تحريم الخمر وما يتصل بها من الميسر أمراً مفاجئــاً فلقد سبقت هذا التحريم القاطع مراحل وخطوات في علاج هذه التقـــاليد الاجتماعية المتغلغلة المتلبسة بعادات النفوس ومألوفـاتها والمتلبسة كذلك ببعض الجوانب الاقتصادية وملابساتها » . أ هـ

نزلت أول آية تشير إلى الخمر من بعيد .. قال الله تعالى في سورة النحـل : ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً .. « فجعـل الرزق الحسن مقابل السكر، ثم نزلت الآية التالية في سورة البقرة :«يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ، واثمها اكبر من نفعهما » .

وتوضح هذه الآية بجلاء للمؤمنين أن أضرار الخمر والميسر أكثر بكثير من تلك المنافع المادية التي يجدونها وتلك الأموال التي يجمعونها من جراء بيع الخمر ولعب الميسر .. وهي منافع لفرد وضرر بالغ على المجتمع بأسره. أما المنافع الطبية فأغلبها موهوم أو سريع الزوال وتعقبه المضرة والحسرة . وأول تلك المنـافع الموهومة فتح الشهية . وقد أفضنا القول في الفصول السابقة كيف تفتح الخمر

الشهية في أول الأمر ثم تعقبها التهابات المعدة والمريء وفقـــدان الشهية والقيء المتكرر ولن نعيد هنا ما قلناه في باب الخمر والجهاز الهضمي فليرجع اليه من شاء .. ومن تلك المنافع الطبية الموهومة التدفئة . فقد أوضح الطب الحديث أن ذلك من قبيل الوهم وهو الدفء الكاذب الذي يجعل الجسم يفقد حرارته ويؤدي به إلى الهلاك إذا تعرض للبرد القارس .

وليس لأحد أن يحتج بهذه الآية على منافع الخمر فهي منافع محدودة ووقتية وتعقبها المضرات والحسرات والآهات .. وقـد ورد أيضاً أن الله لما منع الخمر سلبها المنافع جملة .. وذلك ما أورده الامير الصنعاني في كتابه سبل السلام . « وكل ما يقوله الاطباء من المنافع في الخمر وشربها كان عند شهادة القرآن أن فيها منافع للناس قبل . وأما بعـد نزول آية المائدة «انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. الآية . فإن الله تعالى سلبها المنافع جملة وبهـذا تسقط مسألة التداوي بالخمر . وفيه حديث أسنده الثعلبي وغيره أن النبي ﷺ قال : إن الله تعالى لما حرم الخمر سلبها المنافع » .

وهكذا تكون هـذه الآية وحدها رادعاً لكثير من المؤمنين بالابتعاد عن الخمر ولكنها لم تكن مانعة قاطعة فيعيد المسلمون السؤال على لسان عمـر بن الخطاب رضي الله عنه : « اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافيا ». بعد أن صلى بعض الناس وهم سكارى فكثر غلطهم وهذيانهم في الصلاة ، فنزلت الآية «يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » الآية ،النساء ٢٤٣ . فأدى ذلك إلى امتناع طائفة كبيرة من المؤمنين عن الخمر والصلوات موزعة على اليوم كله تبدأ بالفجر فالظهر فالعصر فالمغرب فالعشاء.. فمتى إذن يبقى وقت الشراب ، ولم يبق لمن يريد الشراب إلا بعـــد العشاء . وبذلك انفطمت أنفس كثيرة عن الشراب ولم يعـــد لها من مجال للشرب إلا في وقت محدود وبذلك

تنكسر عادة الادمان فالذي تعود الصبوح والغبوق وشربها أثناء النهار يضطر إلى تركها إلى ما بعد صلاة العشاء . هكذا يتدرج القرآن في منعها . فإذا أمكن انفطام كثير من الانفس بهذا التدبير الرباني نزلت الآية القاطعة المانعة في سورة المائدة :

«يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون . وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا . فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين » المائدة ٩٠ — ٩٣ .

وكان الامر فيها واضحاً لا لبس فيه : اجتنبوه فاجتنبه المؤمنون منذ ذلك اليوم إلى أن يرث الله الارض ومن عليها .. وانظر إلى تلك الطاعة الفورية لأمر الله وأمر رسوله عندما نادى منادي رسول الله بان الخمر قد حرمت .. فقال عمر رضي الله عنه عند سماعه الآية فهل أنتم منتهون « انتهينا ربنا .. انتهينا ربنا .. وقال أنس رضي الله عنه : حرمت الخمر ولم يكن للعرب يومئذ عيش أعجب منها وما حرم عليهم شيء أشد من الخمر . قال فأخرجنا الحباب إلى الطريق فصببنا ما فيها . فمنا من كسر رجبه (الدن) ومنا من غسله بالماء والطين . ولقد غودرت أزقة المدينة بعد ذلك حيناً كلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت ريحها » .

وقال أنس بن مالك : « كنت ساقي القوم في بيت أبي طلحة وما شربهم إلا فضيح البسر والتمر فإذا مناد ينادي فقال القوم : أخرج فانظر .. فإذا مناد ينادي : الا أن الخمر قد حرمت قال فجرت أي الخمر في سكك

المدينة فقال لي أبو طحلة أخرج فاهرقها فهرقتها ». وقيل كان رجل يشرب الخمر وأوشكت الكأس أن تمس شفته إذا بداخل دخل عليه فقرأ آية التحريم فانفصلت الكأس من فيه للحال ولم يذق لسانه قطرة مما فيها بعد ذلك .

ومنذ ذلك اليوم والمسلمون في جميع أصقاع الارض على حرمتها والابتعاد عنها ولا يشربها فيهم إلا وهو شاعر بذنبه مقر بخطئه نادم على فعله الا ما نــدر . ونظرة الناس إليه نظرة ازدراء واحتقار منذ ذلك العقد البعيد حتى الاجيال القريبة الماضية بل قل حتى جيلنا هذا مع ضعف الإيمان وقلة التربية ونفاد الزاد ووعورة الطريق وظلام السبل .

ولا يزال من يشربها يفعل ذلك وقرارة نفسه تضطرب وتقلق وتضيق بما يفعل وإن تظاهرت بغير ذلك تغطية لحقيقة شعوره .

فانظر بنفسك إلى الفارق بين المجتمعين وإلى البون الشاسع بينهما : مجتمع العرب الاميين المتخلفين الذين كانوا يعبدون الخمر والمجتمع الأمريكي الفتي الذي أوتي حظاً كبيراً من العلوم الحديثة وعرف مضار الخمر وآثامها .. وانظر بعد ذلك كيف استطاع الإسلام بآيات قليلة أن يمنع شربها دون اللجوء إلى القوانين والشرطة ودون اللجوء إلى وسائل الاعلام الباهرة .. ودون اللجوء إلى الأطباء والاخصائيين والعلماء ليوضحوا مضار الخمر وآثامها .. وكل تلك الوسائل فعلتها أمريكا وقامت بحملتها الضخمة تلك ومع هذا فشلت فشلاً ذريعاً مخجلاً .. ولم تستطع الامة الامريكية أن تفطم شهوة شرب الخمر لديها. فما هو السر يا ترى؟

إن السر يكمن في كلمة بسيطة تفعل أكثر مما يفعل السحر .. تلك هي كلمة الايمان .. تلك الكلمة العجيبة المتصلة بـنور الله فتنداح أمامها الغياهب كما تنداح الظلمات أمام أشعة الشمس .. تلك الكلمة التي حولت سحرة فرعون من

ظلام الكفر وغياهب السحر إلى نور الإيمان والاسلام وجعلتهم وهم يبحثون عن الأجر المادي الرخيص حيث كانوا يقولون لفرعون : أأن لنا لاجراً إن كنا نحن الغالبون ؟ يتحولون إلى أولئك الأبطـــال الذين استرخصوا أرواحهم لله فيقولون لفرعون الجبار الطاغية مدعي الألوهية : لن نؤثرك على ما جـــاءنا من البينات والذي فطرنا ، فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا . إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى. وإنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا ومن يأته مؤمناً قد عمـل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العليا . « هكذا كان ردهم على فرعون الطاغية الجبار عندما تهددهم وتوعدهم وقال لهم : أآمنتم له قبل أن آذن لكم. إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنـــكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى . «طه . فكان الرد الثـابت كالرواسي الشامخ كالطود : فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا . » لم يرهبهم الصلب ولا تقطيع الأيدي والارجـــل من خلاف حتى الموت .. لا لم يرهبهم ذلك وإنما دفعهم الايمان العجيب الذي أضاء نفوسهم منذ هنيهات قليلة إلى ذلك البذل وإلى تلك التضحية وإلى ذلك الصمود وإلى ذلك الثبات العجيب .

كل ذلك بفعل الايمان .. انقلبت الموازين والقيم .. وانقلبت المفاهيم والمثل .. قبل هنيهات كانوا يطالبون بالأجر والمال والمركز فإذا هم بعد أن قذف الله في قلوبهم نور الايمان وانزاحت عنهم ظلمات الكفر وغشاوة الجهـــل إذا هم تلك الصفوة المختارة التي تبذل كل شيء في سبيل إيمانها بربها وبعقيدتها .

ذلك هو السر الرهيب الذي جعل الأمة الأمية الجاهـــلة تتحول إلى تلك الامة الفذة التي لم يعرف لها التـــاريخ مثيلاً ولا نظيراً .. تلك الامة التي تؤمر فتطيع دون حاجة إلى رقيب أو عتيد فالرقيب في النفس والله حاضر شاهد ..

تراه عين البصيرة وتتملا وجوده ولا يغيب عنها قط . وتتمثـــل قول الرسول صلوات الله عليه : إن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فـــإنه يراك .. فتكون تلك الطاعة الفورية لأوامر الله ونواهيه.. بينما تفشل كل وسائل الاغراء والايضاح والعلم لأمة مزهوة بعلمها مغرورة بقوتها وحصيلتها من العلوم الدنيوية وتفشل كل تلك الوسائل في منعها من معاقرة الخمر حتى بعد أن وافقت أغلبيتها الساحقة على قرار المنع ذاك .

تلك هي ثمرة الايمان ولا بد من غرس بذرة الايمان أولاً حتى نقتطف الثمار . ولن يجدينا إذا فقدنا الايمان أن نوضح بالارقام والعلوم والطب وكل وسائـــل الاعلام اضرار الخمر أو الزنا أو الربا .. لن يجدي ذلك مع فقد الايمـــان .. والايمان حتى بدون هذه الوسائل جميعها يجدي في شفائنـــا من جميع الادواء والاسقام والعلل والمحن .. ومن ذلك الشقـــاء والتعاسة والنكد التي تعيشه الانسانية اليوم ولا حـــل آخر غير الاسلام ولا ملجأ من الله إلا إليه وإلا فهي حياة الضيق والكآبة والقلق والادمان والانتحار . وصدق الله العظيم إذ يقول:

«ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » .



المراجع العربية

(١) أصول الطب الشرعي وعلم السموم — د . محمد سليمان .

(٢) نحن والحضارة الغربية — أبو الأعلى المودودي .

(٣) في ظلال القرآن — الجزء السادس — سيد قطب .

(٤) الموسوعة الفقهية — الأشربة — اصدار الكويت .

(٥) الطب النبوي — ابن القيم .

(٦) فقه السنة — سيد سابق .

(٧) الكحول والمسكرات والمخدرات — لبيب بيضون .

(٨) سبل السلام في شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام — للأمير الصنعاني .

(١٥)

المراجع الانجليزية

1. Prices Textbook of Medicine, 10th Edition.
2. Cecil & Leob Textbook of Medicine, 13th Edition 1971.
3. Brain's Diseases of the Nervous System By Lord Brain 7th Edition 1969.
4. Textbook of Medical Treatment' 12th Edition 1971 By Stanely Alstead, Alastair Macgregor, Ronald H Girdwood.
5. Diseases of the Liver and Biliary System By S.Sherlock 4th Edition 1969.
6. Clinical Pharmacology By Dr. Laurence 1967.
7. Alcoholism Explained By Dr. L.Williams, 1967 (Evans)..
8. The fractioner Vol. 210 May 1973.
9. Gazatta Sanitaria English Isue Vol. XXII / No. I / 1973.
10. Diseases of the Heart & Circulation 3rd. Edition. Paul Wood.
11. Learning About Alcohol By Samuel Miles.
12. Primer on Alcoholism By Marty Man , eigth Impression.

الفهـــرس

الصفحة

	الصفحة
١ ــ خلل وظائف الكبد	١٥٨
٢ ــ آثار التليف الميكانيكي	١٦٣
دهنية الكبد	١٦٩
١ ــ دهنية الكبد ا لصلبة الضخمة للشباب	١٧١
٢ ــ مرض زيف	١٧١
الخمر وامراض القلب والدورة الدموية	**١٧٢**
مرض البربري	١٧٣
الجهـاز العصبـي	١٧٥
الجهاز الدوري والقلب	١٧٦
اعتلال عضلة القلب الكحولي	١٧٩
دهنية الدم والكحول	١٨١
علاقة ارتفاع دهنية الدم بتصلب الشرايين	١٨٣
هبوط ضغط الدم	١٨٧
أمراض الدم الناتجة عن شرب الخمور	**١٩١**
امراض كرات الدم الحمراءُ عند مدن الخمر	١٩٥
فقر الدم الناتج عن نقص الحديد	١٩٦
فقر الـدم الخبيث	١٩٧
فقـر الدم الانحلالي	١٩٩
فقر الـدم الناتج عن النزف	٢٠٠
تليف الكبد	٢٠٠
نقـص الصفـائح	٢٠١
كرات الـدم البيضـاء	٢٠٣
مشكلة الادمـان	٢٠٧
المراجع العربيـة	٢٢٥
المراجـع الانكليزيـة	٢٢٧
الفهـــرس	٢٢٨